النظرات الإلهية
في المدائح المحمدية

العلامة الحجة المقدس

الشيخ منصور بن الحاج عبدالله البيَات القطيفي

(رضوان الله تعالى عليه)

(الجزء الثاني)

صححه وخرج مصادره

أحمد بن حسين الغبيدان

دار الكرامة - قم المقدسة

النظرات الإلهية

في المدائح المحمدية

العلاّمة الحجّة المقدّس

الشيخ منصور بن الحاج عبد الله البَيَات القطيفي

(رضوان الله تعالى عليه)

الجزء الثاني

صححه وخرّج مصادره

أحمد بن حسين العبيدان الأحسائي

النظرات الإلهية

في المدائح المحمدية

(الجزء الثاني)

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ ـ ٢٠٢١ م

دار الكرامة

دار الكرامة للطباعة والنشر

قم المقدسة

هدية للبنت العزيزة...

بحبي للوصي أبي تراب　　　اسمّى في البرية رافضيا
فربي والنبي وجبرئيل　　　روافض إذ همو أحبو علياً

منصور عبد الله البيات

قال الشاعر:

لي خمسة أطفى بهم حرّ الجحيم الحاطمة

المصطفى والمرتضى وابناهما والفاطمة

وقال آخر:

على اللَّه في كلّ الأمور توكَّلى

وبالخمس أصحاب الكساء توسّلي

محمّد المبعوث وابنيه بعده

وفاطمة الزّهراء والمرتضى علي

تقريظ الكتاب

بقلم الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله

وبعد:

تتمخض قضايا العقيدة عن عطاء فكري ضخم، متى أشبعها التفكير العلمي دراسة معمقة ومستوعبة تتوفر على حل مشاكلها وفتح مغلقاتها، ومتى عرض الباحث بأسلوب لفظي مشرق العبارة ومبسّط العرض.

فقد عُرفت العقيدة كوناً حافلاً بمختلف المفاهيم الثقافية التي تُفلسف المبدأ والمعاد وما بينهما وما يرتبط بينهما من أصول من قريب أو بعيد، وبخاصة نصوص القرآن الكريم وسنة أهل البيت عليهم السلام ، تلكم الدراسات التي دارت حول فكرة الإمامة في شتى ملابساتها وشؤونها، فقلَّ أن نقرأ كتاباً احتوى بحوثاً فلسفية أو علمية عن قضايا العقيدة غير ذي عطاء من الفائدة المطلوبة، وقل أن نجد باحثاً عقائدياً لا يعود على قارئيه بفوائد جمَّة تنير أمامهم سبل التفكير، وتوقفهم على واقع شأن من شؤون العقيدة.

وعَرف الفكر الإمامي ـ بصورة خاصة ـ خصوبة مثمرة فيما دوّن وبُحث دائراً في فلك العقيدة وحولها، ومدونات وبحوث العلماء الإماميين من أروع ما يُحتفى به شاهداً على ذلك.

ومن هذه المدونات الإمامية التي تضمنت بحوثاً حول قضايا العقيدة الإسلامية: هذه المدونة القيمة التي بين يدي القارئ الكريم (النظرات الإلهية في الممادح المحمدية) لمؤلفها صاحب الفضيلة العلمية الشيخ منصور البيات (دام تأييده) ، فقد توفّر فيها مؤلفها من دراسة كثير من مهمات القضايا العقائدية دراسة وُفّق فيها إلى حل الكثير من مشكلاتها وإيضاح العديد من غوامضها بما أوتي من حدّة ذكاء في التفكير، وسلامة ذوق في الاختيار، ودقّة محاكمة في المناقشة، وإشراقة في تعبير البيان، فأضاف إلى المكتبة الإسلامية والعربية سِفراً لا يَستغني عنه العالم والخطيب وغيرهما ممن يُعنى بقضايا العقيدة الإسلامية.

جزاه الله تعالى عن جهوده المشكورة في هذا العمل القيّم خير ما يجزي العاملين من أجله وفي سبيله، إنه ولي التوفيق وهو الغاية.

النجف الأشرف

٥ ذي الحجة ١٣٨٥هـ

عبد الهادي الفضلي

وعلق سماحة حجة الإسلام الشيخ مرتضى آل ياسين (دام ظله) على الكلمة السابقة بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

أود أن أضيف إلى هذه الكلمة الطيبة المدونة أعلاه رجاءً أتوجه به إلى إخواننا المؤمنين وفقهم الله، طالباً إليهم أن لا يفوتهم الانتفاع بهذا الكتاب المستطاب. فإن فيه من الفوائد الجليلة الجميلة ما يجعله جديراً بالاقتناء من كل مؤمن يعتز بذكرى مناقب نبيه وأهل بيت نبيه عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

١٣٩٢/١/٢٨هـ

مرتضى آل ياسين

خطبة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الحمد الله ربّ الحمد ووليه، وكيف أستطيع القيام بحمده تعالى والحمد والشكر نعمة منه علي، كما أشار إلى ذلك الكليم عليه السلام.

فمن نعمه علي أن وفقني للقيام ببعض خدمة حبيبه وصفيه، سر التكوين، سيدنا ونبينا محمد (صلى الله عليه وآله الطاهرين).

ومن ذلك كتابنا الموسوم بـ (النظرات الإلهية) فقد انتهى الجزء الأول منه وطُبع في سبع نظرات، آخرها بشهادة الغربيين في حقه صلى الله عليه وآله.

وهذا الجزء الثاني ماثل للقارئ في عدة نظرات... أرجو منه الدعاء لمؤلفه والنظر إلى ما قيل لا إلى من قال، ويكون ممن يعرف الرجال بالحق لا ممن يعرف الحق بالرجال.

المؤلف

تمهيد

الكلام في معاجزه ومناقبه والتبشير به ﷺ

لقد عرفتَ لحاظنا في (الجزء الأول) الأخذ من كل نوع منها عدداً مباركاً، ومنها العدد خمسة؛ موافق للخمسة: محمد رسول الله ﷺ، ونفسه علي عليه السلام، وزوجته الصديقة فاطمة بنت محمد رسول الله عليها السلام، وولداها الحسن والحسين عليهما السلام، وهم أهل آية التطهير التي تظافرت بتخصيصها بهم روايات[1] الكساء عند الفريقين.

---

1) من ذلك حديث الكساء المقبول عند شيعتهم ومن مصادره: (المنتخب) لفخر الدين، عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، وكذلك في كتاب (المحجة) لأحد أجلاء طرفنا في أوائل القرن الثالث، وفي كتاب (ضياء الصالحين) للحاج محمد صالح الجوهرجي النجفي المعاصر، عن كتاب (العوالم) للجليل الشيخ عبد الله البحراني رحمه الله تلميذ المولى المجلسي رحمه الله بسند معتبر عن جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله عن فاطمة الزهراء عليها السلام .

وممن رواه السيد عبد الرزاق المقرّم النجفي المعاصر.

وقد نظمه ثلة من العلماء العظماء، منهم: المولى السيد بحر العلوم قدس سره والحجة الشيخ علي الجشي قدس سره وخالنا الشيخ الفاضل الشيخ عبد علي بن التقي المرحوم الحاج محمد علي الماحوزي، وأستاذنا الشيخ فرج العمران، ومعاصرنا الفاضل السيد هاشم اللعيبي البصري... قال الله تعالى في حقهم لما اجتمعوا تحت الكساء: «يا ملائكتي وسكان سماواتي، وعزتي وجلالي إني ما خلقت سماءً مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا فلكاً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فلكاً يسري، إلا في محبة هؤلاء

الخمسة الذين هم تحت الكساء. فقال الأمين جبرائيل: يا رب ومن تحت الكساء؟ فقال تعالى: هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، وهم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها... إلى آخر الحديث».

وفيه خطاب جبرائيل عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى قد أوحى إليكم بقوله (عز وجل): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾».

وورد من طريق آخر من طرق الجمهور رواية تتضمن دخول جبرئيل عليه السلام معهم وتلاوة الآية.

وروى الحافظ ـ وهو من أهل السنة ـ قول الحسين عليه السلام:

نحن جبريل غدا سادسنا ولنا الكعبة ثم الحرمين

قال الشيخ القندوزي في (الينابيع) في آخر الباب الثالث والثلاثين: قال المحب الطبري: إن هذا الفصل صدر منه صلى الله عليه وآله وسلم مكرراً... إلى آخر الحديث.

وقال الشريف السمهودي: كلمة (إنما) للحصر، تدل على أن إرادته تعالى منحصرة على تطهيرهم، وتأكيده بالمفعول المطلق دليل على أن طهارتهم كاملة في أعلى مراتب الطهارة. انتهى. [ينابيع المودة: ج ص ٣٢٣].

فتدبره، ففيه إشارة إلى ما ندّعيه معشر الشيعة من الدلالة على عصمتهم عليهم السلام، وقد حققنا ذلك في (النظرة النفسية) وذكرنا فيها تحقيقاتِ أجلاء علمائنا (رضوان الله عليهم).

هذا، ولا يخفى عليك أن قول المحب الطبري بتكرار فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قضية الكساء إنما يتأتّى في القضايا المشابهة بعضها بعضاً، الصادرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم في موضوع الكساء.

أما الحديث المروي عن السيدة الزهراء عليها السلام ـ المشار إليه آنفاً ـ فلا؛ إذ لا جامع بين تلك القضايا المشار إليها وبينه إلا اجتماعهم تحت الكساء ونزول الآية المذكورة في تطهيرهم، وقد أسلفنا الإشارة في اعتبار سنده.

وبعد ذلك التحرير بمدة وقفتُ على سنده في منتخب المفاتيح للسيد الجليل شهاب الدين [المرعشي] النجفي عن كتاب (العوالم) فاستحسنت جداً تحريره؛ تشرّفاً باتصالي بأولئك الأجلاء العلماء الأبرار، فإليك نصه:

في المجلد الحادي عشر من كتاب (عوالم العلوم) للشيخ الجليل الثقة الثبت المحدث الحافظ الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني ما هذه لفظه: (حديث الكساء وجلُّ فضائلها عن السيد هاشم...) ، وأنهى سلسلة السند إلى السيدة الزهراء عليها السلام، وبما أن لي الاتصال من طريق الرواية بالسيد المذكور فأنا أرغب أن أتشرف بإنهاء السلسلة المذكورة بروايتي، فإني أروي إجازةً من الأستاذ الفاضل التقي الشيخ فرج العمران عن آية الله فقيه العصر ومرجع الشيعة السيد محسن الطباطبائي الحكيم قدس سره عن آية الله الميرزا محمد الحسين النائيني، عن الشيخ ميرزا حسين النوري، عن الشيخ مرتضى الأنصاري، عن الشيخ أحمد النراقي، عن والده الشيخ مهدي، عن الشيخ يوسف البحراني، عن الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن جعفر الماحوزي ـ(وهو أحد أجدادي لأمي)ـ عن الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله البحراني، عن السيد هاشم بن السيد سليمان البحراني المذكور المتوفي سنة ١١٠٧هـ ، عن شيخه الجليل السيد ماجد البحراني، عن الشيخ الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني، عن المقدس الأردبيلي، عن الشيخ عبد العالي الكركي، عن الشيخ علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ أحمد بن فهد الحلي، عن الشيخ علي بن الخازن، عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد الأول، عن أبيه، عن فخر المحققين، عن شيخه العلامة الحلي، عن شيخه المحقق، عن شيخه ابن نما الحلي، عن شيخه محمد بن إدريس الحلي، عن ابن حمزة الطوسي صاحب (الثاقب) ، عن الشيخ الجليل محمد ابن شهر آشوب، عن الطبرسي صاحب (الاحتجاج) ، عن شيخه الجليل الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي، عن أبيه شيخ الطائفة، عن شيخه المفيد، عن شيخه ابن قولويه القمي، عن شيخه الكليني، عن علي ابن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البيزنطي، عن القاسم بن يحيى الجلاء الكوفي، عن أبي بصير، عن أبان بن تغلب، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن فاطمة الزهراء (سلام الله عليها).

والذي وقفتُ عليه من طريق الجمهور: أربع عشرة رواية، لسنا هنا بصدد تفصيلها؛ لما عرفتَ من أن موضوع كتابنا هذا في مدائح نبينا ﷺ، والتعرض لهذه الفائدة الشريفة إنما هي رشحة من بحر خيره، فهو العامُّ لكل الأكوان.

وغير خفي خصوصيته ﷺ بأهل بيته المعصومين عليهم السلام، فخيرهم من أول فيوضات خيره ﷺ، ولهم الفضل ببركاته ﷺ من بعده.

النظرة الأولى

في تبشير الأنبياء والكتب السماوية بالنبي وآله المعصومين ومدائح الكتابيين لهم، وإشارة خاصة بفضل أهل الكساء

قد عرفت اعترافنا وغيرنا بالعجز عن إدراك كنه فضله، وعدم القدرة على القيام ببعض شؤون حقه ﷺ، وإنما الغرض دخولنا في زمرة المتعبّدين ببعض الثناء عليه ﷺ وذكر محامده، ونشر مزايا فضله وشرفه، فقد علا به الشرف وشمخ به الفخر والمجد، فهو أعلى مظاهر الكمال.

ومن ذلك: طهارة آبائه ﷺ من الكفر، وأمهاته من العِهر، وقد تقدّم ثبوت ذلك بإجماع الفرقة المحقّة[١]، وذِكْر نسبه إلى عدنان، وفيه كفاية، ولا شك أن علو شرفهم به ﷺ؛ إذ كل من انتمى إليه به يُشرّف، فهو مُفيضُ كل فضل، فضله أجل من أن يوصف.

وقد أفدناك أن ليس المراد من ذلك إلاّ خدمته ﷺ، ومنها: ما حررناه في شهادة الأغيار في حقه ﷺ، وأفدناك آنفاً[٢] أننا اخترنا من كل نوع

---

١) انظر: ج ١ ص ١٧ النظرة الأولى، الآية السابعة.

٢) انظر: ج١ ص ٢٠٥ وما بعدها، النظرة السادسة.

عدداً مباركاً؛ خشية التطويل، لبلوغ إحصائها، من كتاب (المعجزة الخالدة) وكتاب (محمد والقرآن الكريم) ما يزيد على الثلاثمائة، وبعد ذلك وقفتُ على شهادة الإنجيل بتبشير الله لآدم، بنقل الأستاذ الفاضل التقي شيخنا الشيخ فرج العمران (أيده الله) من كتاب (الأزهار) من إنجيل (برنابا) فجذبني مغناطيس الحب إلى تحريرها، فإليكها:

قال بعد ذكره الإنجيل: فتصفحت فيه آونةً من الوقت حتى رأيت منه الأعداد الأربعة عشر عدداً ميموناً من الفصل التاسع والثلاثين، فراقني معناها فاستحسنتها، وإليك نصها:

(١٤ـ فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس، نصها: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" ـ ١٥ـ ففتح حينئذ آدم فاه وقال: أشكرك أيها الرب، إلهي لأنك تفضلت فخلقتني ـ ١٦ـ ولكن أضرع إليك أن تُنبئني ما معنى هذه الكلمات: محمد رسول الله؟

ـ ١٧ ـ فأجابه الله: مرحباً بك يا عبدي آدم ـ ١٨ ـ وإني أقول لك إنك أول إنسان خلقتُ ـ ١٩ ـ وهذا الذي رأيته إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة ـ ٢٠ ـ وسيكون رسولي الذي لأجله خلقت كلَ الأشياء ـ ٢١ ـ الذي متى جاء سيعطي نور العالم ـ ٢٢ ـ الذي كانت نفسه موضوعة في بهاءٍ سماوي ستين ألف سنة قبل خلق كل شيء.

ـ ٢٣ ـ فضرع آدم إلى الله قائلاً: يا رب، هبني هذه الكتابة على أظفار يدي ـ ٢٤ ـ فمنح الله الإنسان الأول تلك الكتابة على إبهاميه، على ظفر إبهام

اليد اليمنى ما نصه: لا إله إلا الله ـ ٢٥ ـ وعلى ظفر إبهام اليد اليسرى محمد رسول الله ـ ٢٦ ـ فقبّل الإنسان الأولُ بحنو أبوي هذه الكلمات ـ ٢٧ ـ ومسح عينيه، وقال: بورك ذلك اليوم الذي ستأتي فيه إلى العالم)[١]. انتهى ما أردت نسخه من الإنجيل المذكور.

ثم قال (أيده الله):

أقول: انظر ـ أيها الباحث المنقّب ـ وتأمل قليلاً في هذه الأعداد ريثما تمرّ عليها، تجدها في غاية الظهور والصراحة على ثبوت رسالة نبي الإسلام محمد ﷺ، لذكره المجدُ، وأنه العلّة الغائية في خلق العالم ـ كما هو معتقد الإمامية وكثير من غيرهم من المسلمين ـ.

ومن البيّن جداً أنّ كل من اطّلع من المسيحيين على هذه الأعداد ولم يعتنق دين الإسلام فهو مصرّ على العناد أو مقلّد للآباء والأجداد، نسأل الله الهداية والعصمة من كل زلة ووصمة.

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل[٢]، [٣]

الكلام في العلة الغائية

أقول: إن هذا لهو الحق اليقين، ولا يُشكَلُ على شيخنا المذكور في قضية العلة الغائية بأن يقال: ربما يوجد أفراد من الشيعة لا يقولون بها، إذ هو

---

١) انجيل برنابا: ص ٥٨ ـ ٥٩، فقرة ١٦ ـ ٢٨، الفصل ٣٩.

٢) البيت لأبي الطيب المتنبي، وفيه (الأفهام) بدل (الأذهان). يتيمة الدهر: ج ١ ص ٢٥٢.

٣) الأزهار الأرجية: المجلد الأول: ج ٣ ص ٥٨١ ـ ٥٨٢، وفي نسخة: ج ٣ ص ١٠١ ـ ١٠٢.

مُحرِّرٌ ما يعتقدهُ، ولو فَرض أحد ممن لم يقل بذلك ولم يجده هو، لا ينافي ما قاله، فالمتيقّن أن جُلّ الشيعة تعتقده، كما تعرضنا إليه في كتابنا (النظرات)[١] وكتابنا (النظرة النبوية)[٢]، فقد حررنا فيهما من ذلك طرفاً جليلاً، أفدنا أن هذا المضمون مستفيض، فممن تعرض لذلك من الجمهور: الشيخ سليمان القندوزي، فقد روى في (الينابيع) أربعة أخبار أو أكثر في (باب سبق نوره)[٣] و (باب شرف آبائه)[٤].

ومنا: غير واحد، منهم: الشيخ المجلسي، والسيد الجزائري، والسيد محمد الكاظمي المعاصر في كتابه (ضياء المنصفين)[٥] المؤلَّف سنة ١٣٧٤هـ ، والكتاب فيه أمور كثيرة مشتملة على فصول عديدة، فيها مطالب جليلة، كلها في محمد وآله، ومن ذلك: فصل معقود في التبشير بمحمد رسول الله ﷺ من الكتب السماوية، وهو الفصل الثاني من الأمر السادس، فلنجتبي منه بعضاً؛ لتعلّق غرضنا به كما عرفت.

---

١) يعني الجزء الأول من هذا الكتاب وهو النظرات الإلهية.

٢) مفقود، فُقد فيما فقد في العراق أيام النظام البعثي البائد.

٣) ينابيع المودة: ج ١ ص ٤٥.

٤) ن، م، ص ٥١.

٥) "ضياء المصنفين في المواعظ والحكم" أو "هدى الراغبين في ولاية أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين وبيان أوصافهم وأخلاقهم" للسيد محمد علي بن السيد محمد باقر الموسوي الخفري، الشيرازي الأصل، النجفي المولد، نزيل الكاظمية.

تبشير الكتب السماوية به صلى الله عليه وآله وسلم

نقل (أعزه الله) عن العالم الفاضل الحاج ملاّ أحمد النراقي كلاماً جليلاً من كتابه المسمى بـ (سيف الأمة)[(١)] استخرجه من بعض الكتب السماوية بإخبار أحد أنبياء بني إسرائيل عن الله تعالى، ومحل الشاهد منه قوله:

(كل ما كتبتُ في هذا الكتاب عن أمرٍ تلقيته، وأن تكونوا في انتظار الراعي ـ يعني النبي الأمي ـ لأنه يهب لكم الراحة الأبدية، ولأن خروجه ورسالته قريبٌ، هو الشخص الذي يكون رسول آخر الزمان، ومعه الراحة والهداية والنجاة من عقوبة الخالق)[(٢)]. انتهى.

ونقل السيد المذكور عن الشيخ المجلسي أيضاً عن (جاماست الحكيم)[(٣)] كلاماً أيضاً جاء فيه ما نصه:

---

١) "سيف الأمّة وبرهان الملّة" (باللغة الفارسية) في مبحث النبوة والدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإثبات أتمّية وخاتمية نبوته، كتبه رداً على القس الإنجليزي "پادرى مارتين" الذي أنكر نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأورد كثيراً من الشبهات حول إعجاز القرآن.

٢) ضياء المنصفين: ص ٦٢.

٣) ذكر الشيخ الصدوق رحمه الله أن المجوس كان لهم نبي اسمه دامست (داماست) فقتلوه، وكتاب يقال له: جاماست. من لا يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٥٣ ذيل ح ١٦٧٨.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: «أما إن للمجوس كتاباً يقال له: جاماسف، كان يقع في اثني عشر ألف جلد ثور فحرقوه». من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ١٢٢ ح ٥٢٥٢.

وروى الشيخ الطوسي بإسناده عن أبي يحيى الواسطي قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المجوس، فقال: «كان لهم نبي قتلوه، وكتاب أحرقوه، أتاهم نبيهم بكتابهم في اثني عشر ألف جلد ثور، وكان يقال له جاماست». تهذيب الأحكام: ج ٦ ص ١٧٥ ح ٣٥٠.

(النبي المتكلم العليم العاقل الذي يدعو الناس إلى الله الذي هو الملك القهار، ويخرج بعد سنين، ويذكّر الناس بالجنة والفردوس، وأليم نار الجحيم والويل، وهو الصراط المتكلم العاقل، وأسراره ومناجاته مع الله، وهو يظهر آخر الزمان مع دين الحق، وجميعاً كونوا على طريق رجائه وانتظاره لعلكم تفلحون به إن كنتم ملوكاً أو رعايا، إن كان رجلاً عاصياً وإن كان مطيعاً، تمسّكوا بحبل رحمته، وهو آخر الأنبياء، ودولته ودينه إلى الأبد، أسرعوا إليه وطأطأوا رؤوسكم عنده، وابكوا وتضرعوا وسلموا رقابكم له إن كنتم ملوكاً وإن كنتم رعية، واسمه سين، وهو كالنور والكوكب الدري، وهو نبي آخر الزمان وآخر الأنبياء)[1]. انتهى.

وقال السيد: إن معنى (السين) إشارة إلى ﴿يس﴾[2].

وقال: وأيضاً قال الحاج النراقي (طاب ثراه) نقلاً عن المجلسي رحمه الله عن لسان زرادشت، عند ذكر الأنبياء، ذكر خاتم النبيين، وقال: (هذا النبي من العرب، وهو آخر الأنبياء وخاتمهم الذي يظهر ويخرج من بين جبال مكة، ويركب الجمل، وقومه ركّاب الجمل، ولم يكن له شاخصُ فيءٍ ـ أي لم يكن له ظل عن شخصه إذا قام وإذا جلس وإذا مشى في الشمس ـ ويتواضع مع أمته صغاراً وكباراً، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه من غير التفات،

١) ضياء المنصفين: ص ٦٢.

٢) وإليك نصه حرفياً: (والذي قال اسمه سين مطابق بصراحة واضحة لمفاد سورة ﴿يس * والقرآن الحكيم﴾ كالشمس في وسط الزوال) من ص٦٣. (منه رحمه الله).

ويرى من جميع الجهات، ودينه أشرف الأديان، وكتابه يُبطل ويَنسخ جميع الكتب السماوية، ودولته تُجلي الظلام، ويكسر جميع الأصنام، ويهدم دين المجوس والبهلوي، ويهدم ويطفيء غدير نيران الكفَرَة، وتنتهي أيام الشدّادين والنماردة والكيانية والأشكانية والفراعنة والكُسروية)[١]. أنتهى.

ثم نقل السيد عن الشيخ النراقي المذكور أنه قال في كتابه (سيف الأمة) المذكور: إن في كتاب (جاماست) ذِكرُ الحجة ابن الحسن في ذيل صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لكنه بلسان أعجمي، وترجمه إلى العربية.

فلنأخذ منه كلمات قيّمات؛ لما فيها من صريح الدلالة ـ مطابقة ولزوماً ـ على المطلوب من التبشير بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال ما معناه: (إنه مرقومٌ بأن أحد أولاد بنت ذلك النبي العربي... ـ أي الزهراء في العالم (صلوات الله عليها)ـ ثم قال: إنها سيدة النساء... ـ إلى أن قال ـ أي أن أحد أولادها يكون ملكاً عامّاً...). ثم وصفه بأنه يحكم بحكم الله، ثم عرّفه بأنه أحد خلفاء ذلك النبي القرشي، وبعدها صرح بأن ملكه باقٍ إلى يوم القيامة... إلى آخره، فراجعه لتزداد سروراً.

مدائح بعض الكتابيين لأهل البيت عليهم السلام

اعلم أن اقتران ذكره صلى الله عليه وآله وسلم بذكر آله غير عزيز، بل هو معروف عند غير المسلمين ممن قرأ الكتب السماوية، وربما ذكروهم في أشعارهم مادحين، فمنهم نعثل اليهودي حين أسلم ـ كما في رواية قدمنا بعضها في (الجزء

---

١) ضياء المنصفين: ص ٦٣.

الأول)[1] عن (فرائد السمطين)، ومنها ـ مما لم نذكره آنفاً ـ: قوله ﷺ عند ذكر المهدي وآبائه عليهم السلام: «فحينئذ يأذن الله (تبارك وتعالى) له بالخروج، فيظهر الله الإسلام به، فيجدده. طوبى لمن أحبهم وتبعهم، والويل لمن أبغضهم وخالفهم، وطوبى لمن تمسك بهداهم». فأنشأ نعثل شعراً:

صـــلى الإلـــه ذو العلـــى	عليـــك يـــا خيـــر البشـــر
أنـــت النبـــي المصـــطفى	والهاشـــــمي المفتخـــــر
بكـــــم هــــدانا ربنـــا	وفيـــك نرجـــو مـــا أمـــر
ومعشـــــر ســـــميتهم	أئمـــــة اثنـــــي عشـــــر
حبـــــاهم رب العلـــــى	ثـــم اصـــطفاهم مـــن كـــدر
قـــد فـــاز مـــن والاهـــم	وخـــاب مـــن عـــادى الزُهـــر
آخـــرهم يســـقي الظمـــاء	وهـــو الإمـــام المنتظـــر
عترتـــك الأخيـــار لـــي	والتـــابعين مـــا أمـــر
من كان عنهم معرضـــــاً	فسوف تصلاه سقـــر[2]

تبشير قس الأيادي بالنبي وآله الطاهرين عليهم السلام

ومثل هذا المعنى غير واحد، فمن ذلك: ما في كتاب (مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر) للشيخ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن

---

١) انظر: ج ١ ص ٨٠.

٢) فرائد السمطين: ج ٢ ص ١٣٢ ـ ١٣٥ ح ٤٣١.

عبد الله بن الحسين بن عياش[١]، عن تميم بن دعلة المري، قال: حدثني الجارود بن المنذر العبدي ـ وكان نصرانياً قارئاً للكتب عالماً بتأويلها ـ وقد وفد مع قومه بني عبد القيس على النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإسلام، وساق الحديث وهو طويل جليل في فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدونك مرادنا منه:

قال الجارود مادحاً النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

يا نبي الهدى أتتك رجال ... قطعت فدفداً وآلاً فآلاً[٢]

إلى أن قال:

أنبأ الأولون باسمك فينا ... وبأسماء بعده تتلالا

وأخذ في الحديث حتى قال: ولقد أسلمتُ على علم بك ونبأ فيك علمته من قبلُ، ثم سألهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن خبر قس الأيادي، فأخبره الجارود بخبره وصفته، وما قاله من الحكمة، وبعضاً من ترجمة حياته، وأنه أدرك الحواريين، وأخبره بمواعظه للناس، وبإشارته في دعائه بقَسَمه بمحمد وأوصيائه، علي والأحد عشر من ولده المعصومين عليهم السلام حتى أنشد شعراً أنشأه قس بن ساعدة، وهو بمرادنا قمين[٣]، فإليكه:

---

١) ابن عيّاش الجوهري، محدث إمامي. كان أبوه وجده من وجهاء بغداد، وكانت أسرته ـ من جهة أمه ومن جهة أبيه ـ من أهل العلم، كما كانوا على علاقة بأبي القاسم الحسين بن روح النوبختي. وكان له مشايخ عدّة منهم: ابن عقدة الهمداني، وأحمد بن محمد بن يحيى العطار. ومن تلامذته: ابن شاذان القمي والنجاشي والخراز القمي.

٢) الآل: هو السراب يلمع في الضحى، أو هو خاصٌّ بما في أول النهار وآخره.

٣) قمين من (قَمَنَ) وتعني جدير. الصحاح: ج ٦ ص ٢١٨٤.

أقسم قسٌّ قسما ليس به مكتما
لو عاش ألفي عمرا لم يلق منها سأما
حتى يلاقي أحمدا والنقباء الحكما
هم أوصياء أحمد أفضل من تحت السما
يعمى العباد عنهم وهم جلاء للعمى

ومن الحديث قول النبي ﷺ : «**ليلة أسري بي إلى السماء أوحى الله (عزّ وجل) إليّ: أن سل ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ على ما بعثوا، فقلت: على ما بعثتم؟ قالوا: على نبوتك وولاية علي بن أبي طالب والأئمة منكما**، ثم التفت النبي ﷺ إلى يمين العرش بأمر الله فرأى أمثلة الأئمة عليٌّ ووُلده المعصومين عليهم السلام، وعدّهم ﷺ بأسمائهم حتى ذكر المهدي عليه السلام، إلى أن قال ﷺ: **فقال الرب تعالى: هؤلاء الحجج أوليائي، وهذا المنتقم من أعدائي**. قال الجارود: فقال لي سليمان: يا جارود، هؤلاء المذكورون في التوراة والإنجيل والزبور[1]. انتهى.

ثم اعلم أن (قساً) المذكور هو قس بن ساعدة بن حداق بن زهر بن أياد بن نزار. كذا ذكره الشيخ المجلسي رضي الله عنه في (البحار)، وذكر أنه عاش ستمآئة سنة، وأنه من العارفين بالنبي ﷺ والمبشرين بخروجه[2].

---

١) مقتضب الأثر: ص ٦٧ ـ ٧٤ ح ٢١.

٢) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ١٨٦.

وفي الكتاب المذكور غير واحد من الأخبار بالتبشير بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، منها: خبر بحيرة الراهب[١] المشهور الذي ذكره الشيخ البكري[٢] وغيره، وهو الذي بشر أبا طالب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنها: ما في حديث طويل آخر سنده عن الحسن الزكي بن علي بن أبي طالب عليه السلام في إسلام نفر من اليهود على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فيه: فسأله أعلمُهم عن أشياءَ، فأجابه صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم، وأخرج رقّاً أبيض فيه جميع ما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق نبياً، ما استنسختها إلاّ من الألواح التي كتبها الله (عزّ وجل) لموسى بن عمران عليه السلام، ولقد قرأتُ في التوراة فضلك حتى شككت فيه ـ يا محمد ـ ولقد كنت أمحو اسمك منه أربعين سنة من التوراة، وكلما محوته وجدته مثبتاً فيها، ولقد قرأتُ في التوراة أن هذه المسائل لا يخرجها غيرك.. إلى آخره[٣].

---

١) يقال "بحيرا" و "بحيرى"، كان راهباً نصرانياً في دَير ـ لايزال إلى اليوم يعرف باسمه ـ في منطقة بُصرى الواقعة في جنوب بلاد الشام.

٢) أبو الحسن أحمد بن عبد الله البكري الأشعري المذهب، له ثلاثة كتب هي من مصادر بحار الأنوار: الأنوار في مولد النبي محمد صلى الله عليه وآله، مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وفاة فاطمة الزهراء عليها السلام، وله كتابه المعروف به "الأنوار ومصباح السرور والأفكار وذكر نور محمد المصطفى المختار".

٣) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ١٨١.

تبشير سيف بن ذي يزن[1] بالنبي ﷺ :

وفيه في حديث طويل سنده ينتهي إلى ابن عباس، يحدّث في قصة وفد قريش على سيف بن ذي يزن، وفيه قال سيف لرئيس الوفد عبد المطلب عليه السلام بكلام جليل ـ وفيه سرور الأفئدة في حق النبي ﷺ ـ ومنه:

إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا واخترناه دون غيرنا، خبراً عظيماً وخطراً جسيماً، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة، ورهطك كافة، ولك خاصة.

فقال عبد المطلب: مثلك ـ أيها الملك ـ مَن سَرَّ وَبَرَّ، فما هو، فداك أهل الوبر زمناً بعد زمن؟ فقال: إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة.

فقال له عبد المطلب: أبيتَ اللعن، لقد أبْتُ بخير ما آبَ بمثله أحدٌ، وإنه لولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من أسراره ما أزداد به سروراً.

فقال ابن ذي يزن: هذا حينُه الذي يولد أو قد ولد فيه، اسمه محمد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه، وقد ولداه سراراً، والله باعثه جهاراً، وجاعل له منا أنصاراً، يُعز بهم أولياءه، ويُذل بهم أعدائه، ويضرب بهم

---

١) سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس... أحد رؤساء وملوك حِمْيَر اليمنية، زاره عبد المطلب عليه السلام جد النبي ﷺ ، حكم قومه تحت ظل السيطرة الفارسية على اليمنية، بقي فيهم مدة أربعة أعوام إلى أن قتله الأحباش سنة ٥٧٤ م. انظر: ج ١ من كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

الناس عن عرض، ويستفتح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان، ويُخمد النيران، ويَعبد الرحمن، ويَزجر الشيطان، قوله فصلٌ، وحكمه عدلٌ، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر ويبطله... الخ[١]، انتهى مرادنا.

بشارة أخرى من قس:

وفيه بشارة أخرى من قس من (كنز) الكراجكي: أن رجلاً يحدث رسول الله ﷺ بقضية حسنة عن قس صرحت بتوحيده وانقطاعه لربه حينما رآه بين قبرين لأخويه، قال له كلام جليل ذكر فيه ولد إسماعيل وانحرافهم عن دين أبيهم، حتى قال: وسوف تعمهم من هذه الرحمة ـ وأومأ بيده نحو مكة ـ برجل أبلج من ولد لؤي بن غالب، يقال له محمد ﷺ يدعو إلى كلمة الإخلاص، وما أظن أني أدركه، ولو أدركت أيامه لصفقت يدي في يده، ولسعيت معه من حيث يسعى. فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أخي قسّاً، يحشر يوم القيامة أمة واحدة»[٢].

تبشير سطيح الكاهن بالنبي ﷺ:

ومما فيه كلام حق من سطيح الكاهن قال لربيعه بن نصر اليماني حينما استخبره عن طيف رآه، فأخبره به وبتأويله، ومنه قوله: نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي. قال: وممن هذا النبي؟ قال: رجل من ولد غالب بن

---

١) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

٢) ن، م، ص ٢٣٥، وانظر: كنز الفوائد: ص ٢٥٦.

فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر. قال: وهل للدهر ـ يا سطيح[١] ـ من آخر؟ قال: نعم، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، ويسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون... إلى آخره[٢].

ثم استخبر وشيق (أو وشق) الكاهن فأخبره بالمعنى المذكور. ومما فيه: خروج زيد بن عمرو بن نُفَيل من مكة لطلب دِين إبراهيم عليه السلام حتى لقي راهباً في الشام فسأله عن ذلك، فأجابه بما نصه: إنك لتسأل عن دِينٍ ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، لقد درس علمه، وذهب من كان يعرفه، ولكنه قد أظلك خروج نبي يبعث بأرضك التي خرجتَ منها بدين إبراهيم الحنيفية، فعليك ببلادك... فآب إليها وقُتل في الطريق.

وفيه: أن سعيداً ابنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاستغفار لأبيه، فاستغفر له وقال: «إنه يجيء يوم القيامة أمة واحدة»[٣].

---

١) قال ابن عباس: لم يكن شيء من بني آدم يشبه سطيحاً، إنما كان لحماً على وَضم، ليس فيه عظم ولا عصب إلا في رأسه، وعينيه وكفيه، وكان يُطوى كما يُطوى الثوب من رجليه إلى عنقه، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه. البداية والنهاية: ٢ / ٣٢٩.
وسمّاه المسعودي: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان.
وسماه "سطيح الغساني" في موضع آخر. انظر: مروج الذهب: ج ٢ ص ١٦٠.
وسمّاه غيره "سطيح الذئبي". انظر: حياة الحيوان: ج ٣ ص ٢١٠، سيرة ابن إسحاق: ص ٤٧، عجائب المخلوقات: ص ٣١٠، دلائل النبوة: ص ١٢٦، الأغاني: ج ٤ ص ٣٠١.
٢) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٣٣.
٣) ن، م، ص ٢٠٤ و ٢٠٦.

تبشير الأحبار بالنبي ﷺ:

ومن ذلك: ما رواه رحمه الله عن ابن عباس قال: لما دعا رسول الله ﷺ بكعب بن أسد ليضرب عنقه فأخرج، وذلك في غزوة بني قريظة، نظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «يا كعب أما نفعك وصية ابن حواش الحِبر المقبل من الشام، فقال: تركت الخمر والخمير، وجئت إلى البؤس والتمور، لنبي يبعث، هذا أوان خروجه، يكون مخرجه بمكة، وهذه دار هجرته، وهو الضحوك القتّال، يجتزئ بالكسرة والتمرات، ويركب الحمار العاري، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه، لا يبالي بمن لاقى، يبلغ سلطانُه منقطع الخف والحافر؟». قال: قد كان ذلك يا محمد(١).

صفة النبي ﷺ من التوراة:

وفيه: روى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: إن الله أمر نبيه أن يدخل الكنيسة ليدخل رجلاً الجنة، فلما دخلها ومعه جماعة، فإذا هو بيهود يقرؤون التوراة وقد وصلوا إلى صفة النبي ﷺ فلما رأوه أمسكوا، وفي ناحية الكنيسة رجل مريض. فقال النبي ﷺ: «ما لكم أمسكتم؟». فقال المريض: إنهم أتوا على صفة النبي فأمسكوا، ثم جاء يحثو(٢) حتى أخذ

---

١) ن، م، ص ٢٠٦.

٢) الظاهر أن المراد أنه يحثو التراب في زحفه على ركبتيه ويديه لعدم طاقته القيام، قال فخر الدين في المجمع ما نصه: حثا الرجل التراب يحثوه حثواً ويحثيه حيثاً من باب رمى ـ لغة ـ إذا أهاله بيده أهـ ولعل بهذا نستدل على أن المريض المذكور يسرع في

التوراة فقرأها حتى أتى على آخر صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمّته، فقال: هذه صفتك وصفة أمتك، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، ثم مات. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ولّوا أخاكم». وفي نسخة: «صلّوا على أخيكم»[١]، فعلى الأولى يكون «ولوا» بمعنى تولوا.

تنبيه لطيف:

ينبغي أن نتدبر فيما أشعرت به الأخبار الثلاثة من سعادة هذا المريض في آخر نفس من حياته، الدالة على حسن ذاته، وسعادة زيد بن عمرو بن نفيل المذكور الكاشفة عن طيبه الذاتي، وشقوة كعب بن أسد اللازمة لخبث ذاته مع قيام حجة الله تعالى عليه باعترافه المذكور في آخر حياته.

فبذلك نعرف أن لا خير إلاّ من الله تعالى وله الحجة البالغة إذ هدانا النجدين، ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[٢]، فاقرأ كلمة الإمام سيد الساجدين عليه السلام: «**مِنْ أَيْنَ لِيَ الخَيْرُ يا رَبِّ وَلا يُوجَدُ إلاّ مِنْ عِنْدِكَ؟ وَمِنْ أَيْنَ لِيَ النَّجاةُ وَلا تُسْتَطاعُ إلاّ بِكَ؟**»[٣]، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾، وما هو إلا دليلُ طِيبِ ذواتنا معشر

زحفه لشده رغبته في تنفيذ إرادته. فطوبى له وحسن مآب. (منه رحمه الله). وانظر: مجمع البحرين: ج ١ ص ٩٥ مادة (حثا).

١) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢١٦.

٢) سورة الإنسان، الآية ٣.

٣) مصباح المتهجد: ٥٨٢، من دعاء أبي حمزة الثمالي في أدعية السحر.

الشيعة. وإلى ذلك يشير الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة بقوله: **«وَجَعَلَ صَلاتَنا عَلَيْكُمْ وَما خَصَّنا بِهِ مِنْ وِلايَتِكُمْ طِيباً لِخَلْقِنا وَطَهارَةً لأنْفُسِنا وَتَزْكِيَةً لَنا»**، فالحمد لله على ولايتهم والبراءة من أعدائهم، وله الشكر أن جعلنا من خدّامهم والقارئين في سِيَرهم ومُحرري مآثرهم، فإنَّا إن شاء الله لم نزل مسرورين بمناقبهم الغنية بشهرتها عن ذكرها، لكنَّا نذكرها تعبداً لله وتلذذاً بها، فالشمس لا تحتاج إلى دليل، وخصوصاً ما كان من فضل سيدنا وسيدهم سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم .

تبشير شمعون بالنبي وآله وصفتهم (صلى الله عليهم):

ومن ذلك ما نقلناه من (البحار) وغيره، فلا تستكثر الخير، ومنه ما نقله عن (كتاب سليم) بالتبشير بنبينا العظيم، فإليكه منه حرفياً:

أبان، عن سليم قال: أقبلنا من صفين مع أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فنزل العسكر قريباً من دير النصراني، إذ خرج علينا من الدير شيخ كبير جميل حسن الوجه، حسن الهيئة والسَمت، ومعه كتاب في يده، حتى أتى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فسلم عليه بالخلافة، فقال له علي عليه السلام: «مرحباً يا أخي شمعون بن جون، كيف حالك رحمك الله؟» فقال: بخير ـ يا أمير المؤمنين وسيد المسلمين ووصي رسول رب العالمين ـ إني من نسل حواري أخيك عيسى بن مريم عليه السلام. وفي رواية أخرى: أنا من نسل حواري أخيك عيسى بن مريم (صلوات الله عليه)، من نسل شمعون بن يوحنا، وكان أفضل حواري عيسى بن مريم الاثني عشر وأحبهم إليه وآثرهم عنده، وإليه

أوصى عيسى، وإليه دفع كتبه وعلمه وحكمته، فلم يزل أهل بيته على دينه متمسكين بملته، لم يكفروا ولم يبدّلوا ولم يغيّروا، وتلك الكتب عندي، إملاء عيسى بن مريم وخط أبينا بيده، وفيه كل شيء يفعل الناس من بعده مَلكٌ وما يَملكُ، وما يكون في زمان كل مَلكٍ منهم، حتى يَبعثَ الله رجلاً من العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الله، من أرض تهامة، من قرية يقال لها مكة، يقال له أحمد، الأنجَل العينين، المقرون الحاجبين، صاحب الناقة والحمار والقضيب والتاج ـ يعني العمامة ـ له اثنا عشر اسماً...

ثم ذكر مبعثه ومولده وهجرته، ومن يقاتله ومن ينصره ومن يعاديه، وكم يعيش، وما تلقى أمته من بعده إلى أن ينزل الله عيسى بن مريم من السماء، فذكر في الكتاب ثلاثة عشر رجلاً من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الله (صلى الله عليهم)، هم خير مَن خلق الله وأحب مَن خلق الله إلى الله، وأن الله وليُ من والاهم وعدو من عاداهم، من أطاعهم اهتدى ومن عصاهم ضل، طاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، مكتوبة فيه أسماؤهم وأنسابهم ونعتهم، وكم يعيش كل رجل منهم واحداً بعد واحد، وكم رجل منهم يستتر بدينه ويكتمه من قومه، ومن يظهر حتى ينزل الله عيسى عليه السلام على آخرهم فيصلي عيسى خلفه، ويقول: إنكم أئمة لا ينبغي لأحد أن يتقدمكم، فيتقدم فيصلي بالناس وعيسى خلفه إلى الصف الأول، أوّلهم وأفضلهم وخيرهم ـ له مثل أجورهم وأجور من أطاعهم واهتدى بهداهم ـ أحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واسمه محمد، ويس، والفتاح، والحاشر، والعاقب،

والماحي[١]، والقائد، وهو نبي الله، وخليل الله، وحبيب الله، وصفيه، وأمينه، وخيرته، يرى تقلّبه في الساجدين[٢]، ويكلمه برحمته، فيُذكر إذا ذُكر، وهو أكرم خلق الله على الله، وأحبهم إلى الله، لم يخلق الله خلقاً ـ ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، آدم فمن سواه ـ خيراً عند الله ولا أحب إلى الله منه، يُقعده يوم القيامة على عرشه، ويشفّعه في كل من شَفَع فيه، باسمه جرى القلم في اللوح المحفوظ في أم الكتاب، ثم أخوه صاحب اللواء إلى يوم المحشر الأكبر، ووصيه وخليفته في أمته وأحب خلق الله إلى الله بعده، علي بن أبي طالب، ولي كل مؤمن بعده، ثم أحد عشر إماماً من ولد محمد، وولده الاثني عشر، اثنان سميّا ابنَيْ هارون (شبّر وشبير)[٣]، أولهم شبّر والثاني شبير، وتسعة من شبير، واحداً بعد واحد[٤]، آخرهم الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم، فيه تسمية كل من يملك منهم، ومن يستتر بدينه، ومن يظهر. فأول[٥] من يظهر منهم يملأ جميع بلاد الله قسطاً وعدلاً، ويملك بين المشرق والمغرب حتى يظهره الله على الأديان كلها.

---

١) وفي نسخة أخرى مكان (الماحي) (الفتاح). (منه رحمه الله)

٢) وفي نسخة أخرى: نراه وتقلبه في الساجدين. يعني في أصلاب النبيين. (منه رحمه الله).

٣) وفي نسخة أخرى ثم أحد عشر من ولده وولد ولده. (منه رحمه الله).

٤) وفي نسخة: وتسعة من ولد أصغرهما ـ وهو الحسين ـ واحداً بعد واحد. (منه رحمه الله).

٥) راجعنا نسخة البحار المصححة في طهران سنة ١٣٧٩هـ فوجدنا كلمة أول كذلك، وهي بحسب الظاهر تصح أن تكون آخر من يظهر منهم عليه السلام، لكن تُصحح لفظة أول بنحو من التأويل بأن يراد بظهورهم في الرجعة الكبرى فبناء عليها هو عليه السلام أولهم.(منه رحمه الله).

فلما بعث النبي ﷺ وأبي حي، صدق به وآمن به، وشهد أنه رسول الله، وكان شيخاً كبيراً ولم يكن له شخوص، فمات وقال: يا بني إن وصي محمد وخليفته الذي اسمه ونعته في الكتاب، سيمر بك إذا مضى ثلاثة من الأئمة[١] يسمون بأسمائهم وقبائلهم ـ فلان وفلان وفلان ـ ونعتهم، وكم يملك كل واحد منهم، فإذا مرّ بك فاخرج إليه وبايعه وقاتل عدوه، فإن الجهاد معه كالجهاد مع محمد ﷺ، والموالي له كالموالي لمحمد ﷺ، والمعادي له كالمعادي لمحمد ﷺ.

وفي هذا الكتاب: يا أمير المؤمنين إن اثني عشر إماماً من قريش... إلى أن قال: يا أمير المؤمنين، أبسط يدك أبايعك، فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أنك خليفة رسول الله في أمته ووصيه، وشاهده على خلقه وحجته في أرضه، وأن الإسلام دين الله، وأني أبرأ من كل دين خالف دين الإسلام فإنه دين الله الذي اصطفاه لنفسه، ورضيه لأوليائه، وأنه دين عيسى بن مريم ومن كان قبله من أنبياء الله ورسله، وهو الذي دان به من مضى من آبائي، وإني أتولاّك وأتولى أولياءك، وأبرأ من عدوك، وأتولى الأئمة من ولدك، وأبرأ من عدوهم ومَن خالفهم وبرئ منهم وادعى حقهم وظلمهم من الأولين والآخرين.. ثم تناول يده وبايعه، ثم قال له أمير المؤمنين عليه السلام: «ناولني كتابك». فناوله إياه، فقال علي عليه السلام لرجل من أصحابه: «قم مع الرجل فانظر ترجماناً يفهم كلامه

---

١) المراد بهم أنهم غير المعصومين. (منه رحمه الله).

فلينسخه لك بالعربية». فلما أتى به قال لابنه الحسن عليه السلام: «يا بني، آتني بالكتاب الذي دفعته إليك، يا بني اقرأه، وانظر أنت يا فلان في نسخة هذا الكتاب فإنه خطي بيدي وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» . فقرأه، فما خالف حرفاً واحداً، ليس فيه تقديم ولا تأخير، كأنه إملاء واحد على رجلين، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «الحمد لله الذي لو شاء لم تختلف الأمة ولم تفترق، والحمد لله الذي لم يَنْسني ولم يُضع أمري، ولم يُخمل ذكري عنده وعند أوليائه، إذ صغر وخمل عنده ذكر أولياء الشيطان وحزبه» .

ففرح بذلك من حضر من شيعة علي عليه السلام وشكر، وساء ذلك كثيراً ممن حوله، حتى عرفنا في وجوههم وألوانهم[1]. انتهى.

وبالجملة، ما جاء من التبشير بنبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عمن سبقه من الأنبياء إخباراً بلسانهم وتحريراً في كتبهم كثيرٌ يحتاج لإفراد كتاب كبير، وقد ذكرنا[2] جملة منها في عنوان (آيات التبشير)، وقد أشرنا إلى تكفل (البحار)[3] بذلك، حيث خصصه بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مولده ومبعثه وهجرته وغزواته إلى غير ذلك من شؤونه، وفيه طَرفٌ جليل من مناقبه وخصائصه ومعاجزه صلى الله عليه وآله وسلم .

---

١) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٩، وانظر: كتاب سليم: ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥.

٢) لاحظ الجزء الأول، النظرة الأولى.

٣) انظر: ج ١٥، الباب الثاني، ص ١٧٤ ـ ٢٤٨.

النظرة الثانية

في أجوبة الإمام الكاظم عليه السلام لليهود عن آيات النبوة من (البحار) واعترافهم بها

فأقول: ومما نازعتني نفسي إليه شوقاً، خبر طويل عن الكاظم عليه السلام، قاله عليه السلام وهو ابن خمس سنين بين يدي أبيه عليهما السلام بأمره، جواباً لأسئلة جماعة من اليهود عن آيات نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه أدلة قاطعة وجملة من معاجزه صلى الله عليه وآله وسلم، لكن حيث إن فيها مما قدمناه من (مناقب ابن شهر آشوب) و (روضة الواعظين) و (الدعوة الإسلامية) بطريق آخر، فلنحرر ما لم نذكره آنفاً، فإليك المراد:

قال (عليه الصلاة والسلام): أما أول ذلك فإن أنتم[1] تقرّون أن الجن كانوا يسترقون السمع قبل مبعثه، فمنعت في أوان رسالته بالرجوم وانقضاض النجوم وبطلان الكهنة والسحرة. ومن ذلك: كلام الذئب يخبر بنبوته واجتماع العدو والولي على صدق لهجته وصدق أمانته، وعدم جهله أيام

---

١) هكذا النسخة، والظاهر أن الصحيح على ما ينبغي (فإنكم تقرّون..) إلى آخره، أو (فأنتم تقرّون) على ما حُرر، والفاء ساقطة من قوله: (فمنعت)، والأحسن من الثاني أن لفظة (قد) ساقطة بين الفاء و (منعت) ، فيكون الجواب: (فقد منعت). (منه رحمه الله).

طفولته وحين أيفع وفتىً وكهلاً، لا يُعرف له شكل ولا يوازيه مثل. ومن ذلك: أن أبرهة بن يكسوم قادَ الفيلة إلى البيت الحرام ليهدمه قبل مبعثه، فقال عبد المطلب: إن لهذا البيت رباً يحميه، ثم جمع أهل مكة فدعا، وهذا بعدما أخبره سيف بن ذي يزن فأرسل الله (تبارك وتعالى) عليهم طيراً أبابيل فدفعهم عن مكة وأهلها[1].

في خضوع العدو له ﷺ

ومن ذلك: أن أبا جهل ـ عمرو بن هشام المخزومي ـ أتاه وهو نائم خلف جدار، معه حجر يريد أن يرميه به، فالتصق بكفه.

ومن ذلك: أن أعرابياً باع ذوداً[2] له من أبي جهل فماطله بحقه، فأتى قريشاً فقال: أعدوني[3] على أبي الحَكَم فقد لوى بحقي، فأشاروا إلى محمد ﷺ وهو يصلي في الكعبة، فقالوا: ائتِ هذا الرجل فاستعدِ به عليها، وهم يهزؤون بالأعرابي، فأتاه، فقال له: يا عبد الله، أعْدِني على عمرو بن هشام فقد منعني حقي، قال: نعم. فانطلق معه، فدقّ على أبي جهل بابه، فخرج إليه متغيراً، فقال له: ما حاجتك؟ فقال: أعط الأعرابي حقه. قال: نعم، وجاء الأعرابي إلى قريش فقال: جزاكم الله خيراً، انطلق معي الرجل الذي دللتموني عليه فأخذ بحقي. وجاء أبو جهل فقالوا: أعطيت الأعرابي حقه؟

---

١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٢٢٦ ـ ٢٣٦.

٢) الذود من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشر، وقيل: ما بين الخمس إلى التسع.

٣) أعدى فلان على فلان نصره وأعانه عليه.

قال: نعم، قالوا: إنما أردنا أن نغريك بمحمد ﷺ ونهزأ بالأعرابي، فقال: ما هو إلا دقَ بابي فخرجت إليه فقال: اعط الأعرابي ـ و[كان] فوقه مثل الفحل ـ فاتحاً فاه، كأنه يريدني، فقال: أعطه حقه، فلو قلت: لا، لابتلع رأسي، فأعطيته.

اعتراف اليهود بنبوته ﷺ وقهر أعدائه

ومن ذلك أن قريشاً أرسلت النضر بن الحارث وعلقمة بن أبي معيط بيثرب إلى اليهود وقالوا لهما: إذا قدمتما عليهم فاسألاهم عنه، وهما قد سألاهم عنه، فقالوا: صفا لنا صفته، فوصفاه، وقالوا: من تبعه منكم؟ فقالوا: سفلتنا. فصاح حبر منهم فقال: هذا النبي الذي نجد نعته في التوراة، ونجد قومه أشد الناس عداوة له. انتهى.

ومن ذلك: أن قريشاً أرسلت سراقة بن جعشم حتى يخرج إلى المدينة في طلبه، فلحق به، فقال صاحبه: هذا سراقة يا نبي الله، فقال ﷺ: «اللهم اكفنيه»، فساخت قوائم فرسه، فناداه: يا محمد! خل عني بمواثق أعطيكها أن لا أناصح غيرك، وكل من عاداك لا أصالح، فقال النبي ﷺ: «اللهم إن كان صادق المقال فأطلق فرسه»، فأُطلق، فوفى، وما انثنى بعد ذلك.

اعتراف أعدائه بعلمه ﷺ بالمغيبات

ومن ذلك: أن عامر بن الطفيل وأزيد بن قيس أتيا النبي ﷺ، فقال عامر لأزيد: إذا أتيناه فأنا أشاغله عنك فاعْلُه بالسيف، فلما دخلا عليه قال عامر: يا محمد حائر؟ قال: «لا، حتى تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأني

رسول الله»، وهو ينظر إلى أزيد، وأزيد لا يَخبر شيئاً... فلما طال ذلك نهض وخرج وقال لأزيد: ما كان أحد على وجه الأرض أخوف على نفسي فتكاً منك، ولعمري لا أخافك بعد اليوم. فقال له أزيد: لا تعجل فإني ما هممت بما أمرتني به إلا ودخلت الرجال بيني وبينك حتى ما أبصر غيرك فأضربك.

ومن ذلك: أن أزيد بن قيس والنضر بن الحرث اجتمعا على أن يسألاه عن الغيوب، فدخلا عليه، فأقبل النبي ﷺ على أزيد فقال: يا أزيد، أتذكر ما جئت له يوم كذا ومعك عامر بن الطفيل؟ وأخبر بما كان منهما، فقال أزيد: والله ما حضرني وعامر أحد وما أخبرك بهذا إلا ملك من السماء، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك رسول الله.

ومن ذلك: أن نفراً من اليهود أتوه فقالوا لأبي الحسن جدي عليه السلام: استأذن لنا على ابن عمك نسأله، قال: فدخل عليٌّ فأعلمه، فقال النبي ﷺ: «وما يريدون مني؟ فإني عبد من عبيد الله لا أعلم إلا ما علمني ربي؟». وقال: «ائذن لهم»، فدخلوا عليه، فقال: «أتسألونني عن ذي القرنين؟». قالوا: نعم، قال: «كان غلاماً من أهل الروم، ثم ملك، وأتى مطلع الشمس ومغربها، ثم بنى السد فيها»، قالوا: نشهد أن هذا كذا.

ومن ذلك: أن وابصة بن معبد الأسدي أتاه فقال: لا أدع من البر والإثم شيئاً إلا سألته عنه، فلما أتاه قال له بعض أصحابه: إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ. فقال النبي ﷺ: دعه، ادن يا وابصة، فدنوت، فقال: أتسأل عما جئت له أو أخبرك؟ قال: أخبرني، قال: جئت تسأل عن البر والإثم، قال:

نعم، فضرب بيده على صدره ثم قال: يا وابصة، البر ما اطمأنت به النفس، والبر ما اطمأن به الصدر، والإثم ما تردد في الصدر وجال في القلب ... إلخ.

في إبرائه المجنون وشيء من معاجزه ﷺ

ومن ذلك: أنه أتاه وفد عبد قيس فدخلوا عليه فلما أدركوا حاجتهم عنده قال: ائتوني بتمر أهلكم مما معكم، فأتاه كل رجل منهم بنوع منه، فقال النبي ﷺ: «هذا يسمى كذا وهذا يسمى كذا»، فقالوا: أنت أعلم بتمر أرضنا؟ فوصف لهم أرضهم فقالوا: أدخلتها؟ قال ﷺ: «لا، ولكن فُسح لي فنظرت إليها»، فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله، هذا خالي وبه خَبل، فأخذ بردائه ثم قال: «اخرج عدو الله»، ثلاثاً، ثم أرسله فبرأ.

وأتوه بشاة هرمة، فأخذ أحد أذنيها بين أصابعه فصار لها ميسماً ثم قال: «خذوها فإن هذه السمة في آذان ما تلد إلى يوم القيامة»، فهي توالد وتلك في آذانها معروفة غير مجهولة.

ومن ذلك: أنه كان في سفر فمرّ على بعيرٍ وقد أعيا[1] وقام مبركاً على أصحابه، فدعا بماء فتمضمض منه في إناء وتوضأ وقال: افتح فاه، فصب في فيه، فمرَّ بذلك الماء على رأسه وحرَّكه ثم قال: «اللهم احمل خلاداً وعامراً ورفيقيهما» ـ وهما صاحب الجمل ـ فركبوه، وإنه ليهتز بهم أمام الخيل.

---

١) أي تعبَ وكلَّ.

ومن ذلك: أن ناقة لبعض أصحابه ضلت في سفر كانت فيه فقال صاحبها: لو كان نبياً يعلم أمر الناقة! فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «الغيب لا يعلمه إلا الله، انطلق ـ يا فلان ـ فإنّ ناقتك بموضع كذا وكذا وقد تعلق زمامها بشجرة»، فوجدها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن ذلك: أنه مرّ على بعير ساقط فتبصبص له، فقال: «إنه يشكو شر ولاية أهله له»، وسأله أن يخرج عنهم، فسأل عن صاحبه فأتاه، فقال: بعه وأخرجه عنك، فأناخ البعير يرغو ثم نهض وتبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «يسألني أن أتولى أمره»، فباعه من علي عليه السلام[1] فلم يزل عنده إلى أيام صفين.

ومن ذلك: أنه كان في مسجده إذ أقبل جَملٌ نادٍ[2] حتى وضع رأسه في حجره، ثم خرخر فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يزعم هذا أن صاحبه يريد أن ينحره في وليمة على ابنه فجاء يستغيث»، فقال رجل: يا رسول الله، هذا لفلان وقد أراد به ذلك، فأرسل إليه وسأل أن لا ينحره ففعل.

ومن ذلك: أنه توجّه إلى الشام قبل مبعثه مع نفر من قريش، فلما كان بحيال بحيرا الراهب نزل بفناء ديره، وكان عالماً بالكتب، وكان قد قرأ في التوراة مرور النبي صلى الله عليه وآله وسلم به، وعرف أوان ذلك، فأمر فدعا إلى طعامه، فأقبل

---

١) لا يخفى على القارئ ما في هذه النكتة من اتصال علي عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث طلب البعير من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتولى أمره، فلبَّاه صلى الله عليه وآله وسلم بأن جعله تحت ولاية علي عليه السلام بالبيع عليه إشعاراً منه صلى الله عليه وآله وسلم للمتنبه بأنّ ولاية علي عليه السلام ولايته صلى الله عليه وآله وسلم. (منه رحمه الله).

٢) نَدَّ البعير أي نفر وفرّ شارداً.

يطلب الصفة في القوم فلم يجدها، فقال: هل بقي في رحالكم أحد؟ فقالوا: غلام يتيم، فقام بحيرا الراهب، فاطلع فإذا هو برسول الله ﷺ نائم وقد أظلته سحابة، فقال للقوم: ادعوا هذا اليتيم، ففعلوا، وبحيرا مشرف عليه وهو يسير والسحابة قد أظلته، فأخبر القوم بشأنه وإنه سيبعث فيهم رسولاً وما يكون من حاله وأمره، فكان القوم يهابونه ويحللونه، فلما قدموا أخبروا قريشاً بذلك، وكان معهم عبدُ خديجة بنت خويلد فرغبت في تزويجه وهي سيدة نساء قريش وقد خطبها كل صنديد ورئيس فأبتهم، فزوجته نفسها بالذي بلغها من خبر بحيرا.

في معاجزه ﷺ بتكثيره الطعام ونطق الجماد

ومن ذلك: أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «دخلت السوق فابتعت لحماً بدرهم وذرة بدرهم، وأتيت فاطمة عليها السلام حتى فرغتْ من الخَبز والطَبخ، قالت: لو دعوت أبي، فأتيته وهو مضطجع وهو يقول: أعوذ بالله من الجوع ضجيعاً، فقلت له يا رسول الله ﷺ إن عندنا طعاماً، فقام واتكى عليّ ومضينا نحو فاطمة، فلما دخلنا قال: هلمي طعامك يا فاطمة، فقدّمَت إليه البرمة والقرص فغطى القرص فقال: اللهم بارك لنا في طعامنا، ثم قال: اغرفي لعائشة، فغرفَت، ثم قال: اغرفي لأم سلمة، فما زالت تغرف حتى وجهت إلى نسائه التسع قرصة ومرقاً، ثم قال: اغرفي لابنيك وبعلك، ثم قال: اغرفي وكلي واهدي لجارتك، ففعلَت». وبقي عندهم أياماً يأكلون.

ومن ذلك: أن امرأة عبد الله بن مسلم أتته بشاة مسمومة ومع النبي ﷺ بشر بن البراء بن عازب، فتناول النبي ﷺ الذراع وتناول بشر الكراع، فأما النبي ﷺ فلاكها ولفظها وقال: إنها تخبرني أنها مسمومة، وأما بشر فلاك المضغة وابتلعها فمات، فأرسل إليها فأقرت، فقال لها: ما حملك على ما عملت؟ قالت: قتلت زوجي وأشراف قومي، فقلت: إن كان ملكاً قتلته، وإن كان نبياً فسيطلعه الله (تبارك وتعالى) على ذلك.

ومن ذلك: أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: رأيت الناس يوم الخندق وهم يحفرون، ورأيت النبي ﷺ يحفر وبطنه خميص، فأتيت أهلي فأخبرتها، فقالت: ما عندنا إلا هذه الشاة ومحرزة من ذرة، قلت: فاخبزي. وذَبح الشاة وطبخوا[١] شقها وشووا الباقي، حتى إذا أدرك أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله اتخذت طعاماً فائتني أنت ومن أحببت، فشبك النبي ﷺ أصابعه في يده ثم نادى: «ألا إن جابر يدعوكم إلى طعامه»، فأتى أهله مذعوراً خجلاً فقال لها: هي الفضيحة، قد جفل[٢] بها أجمعين، فقالت: أنت دعوتهم أم هو؟ قال: هو، قالت: فهو أعلم بهم، فلما رآنا أمر بالأنطاع، فبُسطت على الشوارع، وأمره أن يجمع التواري ـ يعني قصاعاً كانت من خشب ـ والجفان، ثم قال: ما عندكم من الطعام؟ فأعلمته، فقال:

---

١) هكذا في النسخة بتفاوت الضمير، ويجوز أن تكون بإسناد: طبخوا وشووا لجماعة من عائلة جابر مع زوجته وهو معهم. (منه رحمه الله).

٢) في نسخة من البحار (حفل)، وفي نسخة أخرى: فدخل، ومعنى جفل: أي أسرع.

غطوا السدانة والبرمة والتنور واغرفوا، وأخرجوا الخبز واللحم وغطوا، فما زالوا يغرفون وينقلون ولا يرونه ينقص شيئاً حتى شبع القوم، وهم ثلاثة آلاف، ثم أكل جابر وأهله وأهدوا، وبقي عندهم أياماً.

ومن ذلك: أن سعد بن عبادة الأنصاري أتاه عشية وهو صائم فدعاه إلى طعامه، ودعا معه علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما أكلوا، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «نبي ووصي، أبا سعد! أكل طعامك الأبرار، وأفطر عندك الصائمون، وصلّت عليك الملائكة». فحمله سعد على حمار قطوف وألقى عليه قطيفة فرجع الحمار وإنه لهلاّج ما يسايَر(١).

ومن ذلك: إخباره عن الغيوب وما كان وما يكون، فوجدوا ذلك موافقاً لما يقول:

ومن ذلك: أنه أخبر صبيحة التي أُسرِي به بما رأى في سفره، فأنكر ذلك بعضٌ وصدّقه بعضٌ، فأخبرهم بما رأى من المارة والممتارة وهيئتهم ومنازلهم وما معهم من الأمتعة، وأنه رأى عيراً أمامها بعير أورق(٢) وأنه يطلع يوم كذا من العقبة مع طلوع الشمس، فعدوا يطلبون تكذيبه للوقت الذي وقَّته لهم، فلما كانوا هناك طلعت الشمس، فقال بعضهم: كذب الساحر، وبصر آخرون بالعير قد أقبلت يقدمها الأورق، فقالوا: صدق، هذه، نعم، قد أقبلت.

---

١) الهلجة مشي يشبه الهرولة، ويراد به هنا السرعة. (منه رحمه الله).

٢) الأورق الذي في لونه بياض إلى السواد. (منه رحمه الله).

في إخباره ﷺ بالغيب وتكثيره الماء:

ومن ذلك: أنه أقبل من تبوك فجهدوا عطشاً وبادر الناس إليه يقولون: الماء الماء يا رسول الله، فقال لأبي هريرة: «هل معك من الماء شيء»، قال: كقدر قدح في ميضأتي، فصب ما فيه في قدح ودعا، وأعاد وقال: «ناد من أراد الماء»، فأقبلوا يقولون: الماء يا رسول، فما زال يسكب وأبو هريرة يسقي حتى روي القوم أجمعون وملأوا ما معهم، ثم قال لأبي هريرة: «اشرب»، فقال: بل آخركم شراباً، فشرب رسول الله ﷺ، وشرب.

ومن ذلك: أنه أقبل من بعض أسفاره فأتاه قوم فقالوا: يا رسول الله، إن لنا بئراً إذا كان القيظ اجتمعنا عليها وإذا كان الشتاء تفرقنا على مياه حولنا، وقد صار من حولنا عدو لنا، فادع الله في بئرنا، فتفل ﷺ في بئرهم ففاضت المياه المغيّبة، وكانوا لا يقدرون أن ينظروا إلى قعرها بعدُ من كثرة مائها، فبلغ مسيلمة الكذاب فحاول مثله من قليب قليل ماؤه فتفل الأنكد في القليب فغار ماؤه وصار كالجبوب.

في معاجزه ﷺ :

ومن ذلك: أن سراقة بن جعشم حين وجَّهته قريش في طلبه ناوله نبلاً من كنانته وقال: «ستمر برعايتي، فإذا وصلت إليهم فهذه علامتي، إطعَم عندهم واشرَب»، فلما انتهى إليهم أتوه بعنز حايل، فمسح ﷺ ضرعها فصارت حاملاً ودرّت حتى ملأ الإناء وارتوا.

ومن ذلك: أن أم جميل ـ امرأة أبي لهب ـ أتته حين نزلت سورة تبت، ومع النبي ﷺ أبو بكر بن قحافة، فقال: يا رسول الله، هذه أم جميل مُحْفِظَةٌ، أي مُغضبة، تريدك ومعها حَجر تريد أن ترميك به، فقال ﷺ: «إنها لا تراني»، فقالت لأبي بكر: أين صاحبك؟ قال: حيث شاء الله، قالت: لقد جئته ولو أراه لرميته فإنه هجاني، واللات والعزى إني لشاعرة، فقال أبو بكر: يا رسول الله لم تَرك، قال: «لا، ضرب الله بيني وبينها حجاباً».

في معاجزه ﷺ وإسلام اليهود واعترافهم بالحق لأئمتنا عليهم السلام

ومن ذلك: كتابه المهيمن الباهر لعقول الناظرين مع ما أعطي من الخلال التي إن ذكرناها لطالت، فقال اليهود: وكيف لنا بأن نعلم أن هذا كما وصفت؟ فقال لهم موسى [الكاظم] عليه السلام: «وكيف لنا أن نعلم أن ما تذكرون من آيات موسى على ما تصفون؟». قالوا: علمنا ذلك بنقل البررة الصادقة، قال لهم: «فاعلموا صدق ما آتيناكم به بخبر طفل لقنه الله من غير تلقين ولا معرفة عن الناقلين»، فقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنكم الأئمة والقادة والحجج من عند الله تعالى على خلقه، فوثب أبو عبد الله عليه السلام فقبل بين عينيه، ثم قال: «أنت القائم من بعدي...»، فلهذا قالت الواقفة: إنه حي وإنه القائم. ثم كساهم أبو عبد الله عليه السلام ووهب لهم، وانصرفو[1]. انتهى.

---

١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٢٢٦ ـ ٢٣٥.

وفي الكتاب المذكور من هذا القبيل كثير، ومما فيه باب يناهز ثلاثين صفحة تقريباً أفرده في فضائله وخصائصه، وفيه عدة من آيات القرآن الحكيم تتضمن مدائحه صلى الله عليه وآله وسلم، ولما كان غرضنا متعلقاً بمدائحه صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الكريم، إذ هو موضوع كتابنا، وقد أسلفنا في صدره ما يقارب أربع عشرة أية مع تفاسيرها الجليلة، يحسن جداً أن نختار من هذا الباب ما يناسب المقام مما لم نذكره آنفاً من الآيات والأخبار.

النظرة الثالثة

في فضله وشرفه وتفضيله على الأنبياء
وما جاء فيه من الآيات المشيرة إلى افتقاره لمولاه

فمن ذلك: ما أشعر بافتقاره إلى ربه وهو مما افتخر به ﷺ، قوله تعالى ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

قال الشيخ المجلسي رحمه الله في تفسيرها ما نصه: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا﴾ أي جلب نفع ولا دفع ضرر، وهو إظهارٌ للعبودية والتبري من ادعاء العلم بالغيوب من قبل نفسه. ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من ذلك فيلهمني إياه ويوفقني له. ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ أي لو كنت أعلم الغيب من قبل نفسي بغير وحي من الله، لكنت أستعمله في جلب المنافع ودفع المضار، ولكني لما كنت أعلمه بالوحي لا جرم أني راض بقضائه تعالى، ولا أسعى في دفع ما أعلم وقوعه عليّ من المصائب بقضائه تعالى، فلا ينافي ما سيأتي

أنهم كانوا يعلمون ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، كذا خطر بالبال والله يعلم حقيقة الحال[١].

ومن ذلك قوله تعالى في فضله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[٢].

قال الشيخ المجلسي رحمه الله في تفسيرها ما نصه: قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ قال الطبرسي رحمه الله: أي وحياتك ـ يا محمد ـ ومدة بقائك، قال ابن عباس: ما خلق الله (عزّ وجل) ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد إلا بحياته[٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا * وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا * وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[٤].

قال الشيخ المجلسي رحمه الله في تفسيرها ما نصه: ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾، قال الطبرسي رحمه الله: خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، أي فصلِّ بالقرآن. ولا يكون التهجد إلا بعد النوم، عن مجاهد وأكثر المفسرين. وقال بعضهم: ما يتقلب به في

---

١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٠١.

٢) سورة الحجر، الآية ٧٣.

٣) ن، م، ص ٣٠٣.

٤) سورة الإسراء، الآية ٦٩ ـ ٨١.

كل الليل يسمى تهجداً، والمتهجد: الذي يلقي الهجود ـ أي النوم ـ عن نفسه، كما يقال المخرج[١] والمتأثم، ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ أي زيادة لك على الفرائض، لأن صلاة الليل كانت فريضة على النبي ﷺ وفضيلة لغيره، وقيل: كانت واجبة عليه فنُسِخ وجوبها بهذه الآية، وقيل: إن معناه فضيلة لك وكفارة لغيرك، وقيل: نافلة لك ولغيرك، وإنما اختصه بالخطاب لما في ذلك من دعاء الغير للاقتداء به، ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ ، ﴿عسى﴾ من الله واجبة، والمقام بمعنى البعث، فهو مصدر من غير جنسه، ﴿أن يبعثك﴾ يوم القيامة بعثاً أنت محمود فيه. ويجوز أن يجعل البعث بمعنى الإقامة، أي يقيمك ربك مقاماً تحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة يشرّف فيه على جميع الخلائق يسأل فيُعطى ويشفع فيُشفَّع، وقد أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذي يشفع فيه للناس، وهو المقام الذي يُعطى فيه لواء الحمد فيوضع في كفه فتجتمع تحته الأنبياء والملائكة، فيكون ﷺ أول شافع وأول مشفع.

وقل يا محمد: ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ ، المدخل والمخرج مصدران بمعنى الإدخال والإخراج، فالتقدير أدخلني إدخال صدق وأخرجني إخراج صدق، وفي معناه أقوال:

أحدها: أن المعنى: أدخلني في جميع ما أرسلتني به وأخرجني منه سالماً إخراج صدق.

---

١) الظاهر أن الكلمة (متحرج) حتى توافق (متأثم) و(متهجد) في باب التفعل. (منه رحمه الله).

ثانيها: أدخلني المدينة وأخرجني إلى مكة للفتح.

ثالثها: أنه أمر بهذا الدعاء إذا دخل في أمر أو خرج من أمر، والمراد أدخلني في كل أمر مُدخل صدق.

رابعها: أدخلني القبر مُدخل صدق وأخرجني منه عند البعث مُخرج صدق، ومدخل الصدق ما تُحمد عاقبته في الدنيا والدين.

﴿**وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا**﴾ ، أي اجعل لي عزاً أمتنع به ممن يحاول صدي عن إقامة فرائضك، وقوةً تنصرني بها على من عاداني فيك.

وقيل: اجعل لي مُلكاً عزيزاً أقهر به العصاة، فنُصر بالرعب حتى خافه العدو على مسيرة شهر. وقيل: حجة بينة أتقوى بها على سائر الأديان، وسمّاه نصيراً لأنه يقع به النصرة على الأعداء، فهو كالمعين.

﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾ وقل يا محمد: ﴿**جَاءَ الْحَقُّ**﴾ أي ظهر الحق وهو الإسلام والدين، و ﴿**زَهَقَ الْبَاطِلُ**﴾ أي بطل الباطل وهو الشرك، عن السدي. وقيل: الحق التوحيد وعبادة الله، والباطل عبادة الأصنام، عن مقاتل. وقيل: الحق القرآن والباطل الشيطان، وزهُوقاً: بطل واضمحل، عن قتادة.

وروي عن عبد الله بن مسعود قال: دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها ويقول: ﴿ **جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقا**﴾، أورده البخاري في الصحيح. قال الكلبي: فجعل الصنم

ينكب لوجهه إذا قال ذلك، وأهل مكة يقولون: ما رأينا رجلاً أسحر من محمد، ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ أي مضمحلاً ذاهباً هالكاً لا ثبات له[١].

انتهى مرادنا من فضله ﷺ من آي الكتاب، وهو نعم الحجة التي لا تقاوم فإنه ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، آيات خمس عددها مبارك موافق لعدد الخمسة ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٢] وهم عليهم السلام ذكر الله تعالى هم: محمد رسول الله ﷺ، وعلي ولي الله، وفاطمة، وابناها الحسن والحسين (عليهم الصلاة والسلام) و هم أصفياء الله. فلنذكر من فضل أبيهم وسيدهم رسول الله ﷺ ـ فهو أصل كل فضل ـ ما وعدنا به من فضائله وخصائصه مما نصطفيه من الأخبار.

في خصائصه ﷺ وعلو شرفه

مما ورد في هذا الباب من الأخبار مع شيء من بيانها:

١ـ قال الشيخ رحمه الله ما نصه: عن ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين ابن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن إسماعيل الجعفي أنه سمع أبا جعفر عليه السلام يقول: «قال رسول الله ﷺ: أُعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحل لي المغنم، ونصرت بالرعب، وأعطيت جوامع الكلم، وأعطيت الشفاعة».

---

١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٠٤ـ٣٠٦.

٢) سورة الرعد، الآية ٢٨.

قال الشيخ في بيانه ما نصه: قوله ﷺ «مسجداً» أي مصلىً، بخلاف الأمم السابقة، فإنهم كانوا لا يجوز لهم الصلاة اختياراً إلا في بِيَعهم وكنائسهم أو ما يصح السجود عليه، والأول أشهر.

و «طهوراً» أي ما يتطهر به من الأحداث بالتيمم، ومن الأخباث لبعض الأشياء، كباطن القدم والخُف ومخرج النجس في الاستنجاء بالأحجار والمدر.

و«المغنم» بالفتح ما يصاب من أموال المشركين في الحرب، والمشهور أن حِلّ المغنم من خصائصه وخصائص أمته ﷺ وأن الأمم المتقدمة منهم من لم يُبَح لهم جهاد الكفار، ومنهم من أبيح له لكن لم يبح لهم الغنائم، وكانت غنائمهم توضع فتأتي نار فتحرقها، فأباحها الله لهذه الأمة.

وقوله ﷺ: «ونصرت بالرعب» وكان مما خصه الله تعالى به أنه كان يخافه العدو وبينه وبينه ﷺ مسيرة شهر.

وقيل المراد بجوامع الكلم القرآن، حيث جمع الله فيه معاني كثيرة بألفاظ يسيرة، وقيل: سائر كلماته الموجزة المشتملة على حِكَمٍ عظيمة ومعانٍ كثيرة[(١)].

٢ـ الطالقاني، عن الجلودي، عن يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن الحسين بن الربيع، عن الأعمش، عن عباية بن ربعي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله (عز وجل) قسّم الخلق قسمين، فجعلني في

---

١) ن، م، ص ٣١٣ ـ ٣١٤.

خيرهما قسماً؛ وذلك قوله (عز وجل) في ذكر أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ـ وأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين ـ ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرهما ثلثاً، وذلك قوله (عز وجل): ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾[1]، وأنا من السابقين وأنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قوله (عزّ وجل): ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2] وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله (جل ثنائه) ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، وذلك قوله (عزّ وجل): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[3].

٣ـ وفيه أيضاً ما نصه: أبو عمرو عبد الواحد بن محمد بن مهدي، عن ابن عقدة، عن الحسن بن جعفر بن مدرار، عن عمه طاهر، عن الحسن ابن عمار، عن عمرو بن حرة، عن عبد الله بن الحرث، عن علي عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر. وأنا أول من تنشق الأرض عنه، ولا فخر. وأنا أول شافع وأول مشفع»[4].

---

١) سورة الواقعة، الأيات ٨ ـ ١٠.

٢) سورة الحجرات، الأية ١٣.

٣) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣١٥.

٤) ن، م، ص ٣٢٦.

٤ـ وفيه أيضاً ما نصه: إسماعيل بن منصور القصاب، عن محمد بن القاسم بن محمد بن محمد العلوي، عن سليمان بن عبد الله بن دينار، عن أم هاني بنت أبي طالب قالت: قال رسول الله ﷺ: «أظهر الله (تبارك وتعالى) الإسلام على يديَّ، وأنزل الفرقان على يدي، وفتح الكعبة على يدي، وفضّلني على جميع خلقه، وجعلني في الدنيا سيد ولد آدم، وفي الآخرة زين القيامة، وحرم دخول الجنة على الأنبياء حتى أدخُلها أنا، وحرمها على الأمم حتى تدخُلها أمتي، وجعل الخلافة في أهل بيتي من بعدي إلى النفخ في الصور، فمن كفر بما أقول كفر بالله العظيم»(١).

في تفضيله ﷺ على الأنبياء عليهم السلام

٥ـ وفيه أيضاً ما نصه: عن ابن عباس، قال: خرج من المدينة أربعون رجلاً من اليهود، فقالوا: انطلقوا بنا إلى هذا الكاهن الكذاب حتى نوبخه في وجهه ونكذبه فإنه يقول: أنا رسول رب العالمين، فكيف يكون رسولاً وآدم خير منه ونوح... وذكروا الأنبياء؟ فقال النبي ﷺ لعبد الله بن أسلم: «التوراة بيني وبينكم». فرضيت اليهود بالتوراة، فقالت اليهود: آدم خير منك؛ لأن الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، فقال النبي ﷺ: «آدم أبي، وقد أعطيت أنا أفضل مما أعطي آدم». فقالت اليهود: وما ذاك؟ فقال ﷺ: «إن المنادي ينادي كل يوم خمس مرات: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ولم يقل آدم رسول الله. ولواء الحمد بيدي يوم القيامة

---

١) نفس المصدر.

وليس بيد آدم». فقالت اليهود: صدقت يا محمد، وهو مكتوب في التوراة. فقال ﷺ : «هذه واحدة».

قالت اليهود: موسى خير منك، قال النبي ﷺ: «ولم؟». قالوا: لأن الله (عزّ وجل) كلمه بأربعة آلاف كلمة ولم يكلمك بشيء، فقال النبي ﷺ: «لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك». قالوا: وما ذاك؟ قال ﷺ: «قوله (عز وجل): ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾[١]، وحُملت على جناح جبرئيل حتى انتهيت إلى السماء السابعة، فجاوزت سدرة المنتهى ﴿**عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**﴾[٢]، حتى تعلقت بساق العرش، فنُوديت من ساق العرش: إني أنا الله لا إله إلا أنا، أنا السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الرؤوف الرحيم، ورأيته بقلبي وما رأيته بعيني، فهذا أفضل من ذلك». فقالت اليهود: صدقت يا محمد، وهو مكتوب في التوراة. فقال رسول الله ﷺ : «هذه اثنتان».

قالوا: نوح خير منك، قال النبي ﷺ : «ولم ذاك؟». قالوا: لأنه ركب في السفينة فجَرَت[٣] على الجودي. قال النبي ﷺ: «لقد أعطيت أنا أفضل من ذلك». قالوا: وما ذاك؟ قال: «إن الله (عزّ وجل) أعطاني نهراً في الجنة

---

١) سورة الإسراء، الأية ١.

٢) سورة النجم، الأية ١٥.

٣) هكذا في النسخة، والظاهر أنها غلط، فلنصحح المعنى بقولهم: فجرت حتى استوت على الجودي، أو يقارب هذا المعنى، والله العالم (منه رحمه الله).

مجراه من تحت العرش، وعليه ألف ألف قصر، لبنة من فضة ولبنة من ذهب، حشيشها الزعفران، ورضراضها الدر والياقوت، وأرضها المسك الأبيض، فذاك خير لي ولأمتي، وذاك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾». قالوا: صدقت يا محمد، وهو مكتوب في التوراة، هذا خير من ذاك. فقال النبي ﷺ: «هذه ثلاث».

قالوا: إبراهيم خير منك، قال ﷺ: «ولم ذاك؟». قالوا: لأن الله اتخذه خليلاً، قال النبي ﷺ: «إن كان إبراهيم خليله فأنا حبيبه محمد». قالوا: ولم سميت محمداً؟ قال ﷺ: «سمّاني الله وشق اسمي من اسمه، هو المحمود وأنا محمد، وأمتي الحامدون». قالت اليهود: صدقت يا محمد، هذا لخير من ذاك. قال ﷺ: «هذه أربعة».

قالت اليهود: عيسى خير منك؟ قال ﷺ: «ولم ذاك؟». قالوا: لأن عيسى بن مريم كان ذات يوم بعقبة بيت المقدس فجاءته الشياطين ليحملوه، فأمر الله (عزّ وجل) جبرئيل: أن اضرب بجناحك الأيمن وجوه الشياطين وألقهم في النار، فضرب بأجنحته وجوههم وألقاهم في النار. قال النبي ﷺ: «أنا أعطيت أفضل من ذلك». قالوا: وما هو؟ قال ﷺ: «أقبلتُ يوم بدر من قتال المشركين وأنا جائع شديد الجوع، فلما وردت المدينة استقبلتني امرأة يهودية وعلى رأسها جَفنة وفي الجفنة جدي مشوي، وفي كمها شيء من سكّر، فقالت: الحمد لله الذي منحك السلامة وأعطاك النصر والظفر على الأعداء، وإني قد كنت نذرت لله نذراً إن أقبلتَ سالماً غانماً من

غزوة بدر لأذبحن هذا الجدي ولأشوينه ولأحملنه إليك لتأكله. قال النبي ﷺ: «فنزلت عن بغلتي الشهباء فضربت بيدي إلى الجدي لآكله، فاستنطق الله الجدي فاستوى على أربع قوائم، وقال: يا محمد، لا تأكلني؛ فإني مسموم». قالوا: صدقت يا محمد، هذا خير من ذاك. قال النبي ﷺ: «هذه خمسة». قالوا: بقيت واحدة ثم نقوم من عندك، قال ﷺ: «هاتوا». قالوا: سليمان خير منك، قال: «ولم ذاك؟». قالوا: لأن الله (عزّ وجل) سخّر له الشياطين والإنس والجن والرياح والسباع، فقال النبي ﷺ: «فقد سخر الله لي البراق، وهي خير من الدنيا بحذافيرها، وهي دابة من دواب الجنة، وجهها مثل وجه آدمي، وحوافرها مثل حوافر الخيل، وذنبها مثل ذنب البقر، فوق الحمار ودون البغل، سرجه من ياقوتة حمراء، وركابه من درة بيضاء، مزمومة بسبعين ألف زمام من ذهب، عليه جناحان مكللان بالدر والياقوت والزبرجد، مكتوب بين عينيه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد رسول الله ﷺ». قالت اليهود: صدقت يا محمد، وهو مكتوب في التوراة، هذا خير من ذاك، يا محمد، نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال لهم رسول الله ﷺ: «لقد أقام نوح في قومه ودعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ثم وصفهم الله فقللهم فقال: ﴿**وَمَا آَمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾ ولقد تبعني في السنين القليلة ما لم يتبع نوحاً في طول عمره وكبر سنه، وإن في الجنة عشرين ومائة ألف صف، أمتي منها ثمانون ألف صف، وإن الله (عز

وجل) جعل كتابي المهيمن على كتبهم، الناسخ لها، ولقد جئت بتحليل ما حرموا وبتحريم ما حللوا»[١].

في سماح شريعته ﷺ

من ذلك: أن موسى عليه السلام جاء بتحريم صيد الحيتان يوم السبت حتى إن الله تعالى قال لمن اعتدى منهم: ﴿**كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾، فكانوا، ولقد جئت بتحليل صيدها حتى صار صيدها حلالاً، قال الله (عز وجل): ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ**﴾، وجئت بتحليل الشحوم كلها، وكنتم لا تأكلونها، ثم إن الله (عزّ وجل) صلى عليّ في كتابه، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾، ثم وصفني الله تعالى بالرأفة والرحمة، وذكر في كتابه: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾، فأنزل الله (عزّ وجل) أن لا يكلموني حتى يتصدقوا بصدقة، وما كان لنبي قط، قال الله (عزّ وجل): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾، ثم وضعها عنهم بعد أن فرضها عليهم برحمته»[٢].

فهذا الخبر الخامس، وبه انتهى مرادنا.

---

١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٢٧ ـ ٣٣٠.

٢) ن، م، ص ٣٣٠.

النظرة الرابعة

فيما يمتاز به على من سواه من الأنبياء وغيرهم من المزايا والخصائص في الواجبات والمحرمات والمباحات له ﷺ خصوصاً وما منحه الله تعالى به من الكرامات، وهي كثيرة

لقد عرفت أن ليس غرضنا استقصاء فضله ﷺ؛ لتعسره بل تعذره كما أوضحناه في أوائل الكتاب، فكل عالم ـ بما هو عالم ـ لابد أن يعترف بذلك مهما بلغ من سعة الإحاطة، ومن أعاظمهم شيخنا المجلسي المذكور فإنه لم يألُ جهداً، فكأني به بلسان المقال أو بلسان الحال يصرح بأن كتابه (بحار الأنوار) لم يحط بعُشر العُشر من فضل النبي المختار ﷺ مع أن كتابه جمع فأوعى بتتبعه في سيره ﷺ وخصائصه.

فمما ذُكر فيه: امتيازه على من سواه من الأنبياء (صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين) بمائة وخمسين خصلة، فإليك منها تسعاً، عدداً مباركاً:

١) في باب النبوة: قوله ﷺ: «أعطيت جوامع الكلم»(١).

---

١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٢١ ح ١١. وقد رواه الشيخ الصدوق عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «أعطيت خمسا لم يُعطَها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونُصرت بالرعب، وأحل لي المَغنم، وأعطيت جوامع الكلم، وأعطيت

٢) وأرسلت إلى الخلق كافة[١].

٣) والعجز عن الإتيان بمثل كتابه ﷺ[٢].

٤) وكان ممنوعاً من الشعر وروايته ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾[٣].

٥) وتسهل شريعته ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٤].

٦) وأضعاف ثواب الطاعة ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٥].

٧) ورفع العذاب ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[٦].

٨) وفرض محبة أهل بيته ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾[٧].

٩) وبقاء دولته ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[٨].

الشفاعة». الخصال: ص ٢٩٢، الأمالي: ص ٢٨٥ مجلس ٣٨ ح ٦. رواه العامة عن أبي هريرة عنه ﷺ قال: «فُضِّلتُ على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبوة». رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة.

١) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ سورة سبأ، الآية ٢٨.

٢) ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ سورة الإسراء، الآية ٨٨.

٣) ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ سورة يس، الآية ٦٩.

٤) سورة الحج، الآية ٧٨.

٥) سورة الأنعام، الآية ١٦١.

٦) سورة الأنفال، الآية ٣٣.

٧) ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ سورة الشورى، الآية ٢٣.

٨) سورة التوبة: الآية ٣٣، سورة الفتح: الآية ٢٨، سورة الصف: الآية ٩.

وأنهاها رَحِمَهُ اللهُ إلى آخرها نقلاً من (المناقب)، ثم نقل عنه ما يقارب نيفاً وعشرين من خصائصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فحرَّر بعد ذلك أخباراً جليلة طويلة حتى انتهى الباب[1].

وعقد تذنيباً[2] ذكر رَحِمَهُ اللهُ فيه نبذة واسعة جليلة عن (تذكرة) العلامة الشيخ الجليل عمدة المؤمنين، فيا حبذا أن نحرر منها طرفاً مما نصطفيه:

قال رَحِمَهُ اللهُ: "قد ذكر علماؤنا رضي الله عنهم بعض خصائصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كتبهم، وجمعها العلامة في كتاب (التذكرة)...".

فلنورد ملخص ما ذكروه (رحمهم الله):

قال في (التذكرة): فأما الواجبات عليه دون غيره من أمته أمور:

الأول: السواك. الثاني: الوتر. الثالث: الأضحية... الرابع: قيام الليل، لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾، وإن أشعر لفظ النافلة بالسّنة ولكنها في اللغة: الزيادة، ولأن السنة جبر للفريضة، وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ معصوماً من النقصان في الفرائض، واختلف الشافعية فقال بعضهم: كان ذلك واجباً عليه، وقال بعضهم: كان ذلك واجباً عليه وعلى أمته فنسخ[3].

أقول: ذكرُ الوتر مع قيام الليل يشتمل على تكرار ظاهر، والأصل فيه أن العامة رووا حديثاً عن عائشة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «ثلاث علي فريضة ولكم

---

١) بحارا الأنوار: ج ١٦ ص ٣٣٢.

٢) ن، م، ص ٣٨٢.

٣) تذكرة الفقهاء: ج ٢٣ ص ١١.

سنة: الوتر وقيام الليل...»، فلذا جمعوا بينهما تبعاً للرواية كما ظهر من شارح الوجيزة، وتبعهم أصحابنا (رضوان الله عليهم).

وقال الشهيد الثاني قدّس سرّه: اعلم أن بين قيام الليل وبين الوتر الواجبين عليه مغايرة العموم والخصوص المطلق، لأن قيام الليل بالتهجد يحصل بالوتر وبغيره، فلا يلزم من وجوبِهِ وجوبَهُ، وأما الوتر فلما كان من العبادات الواقعة بالليل فهو من جملة التهجد، بل أفضله. فقد يقال: إن إيجابه به يغني عن إيجاب قيام الليل. وجوابه: إن قيام الليل وإن تحقق بالوتر لكن مفهومه مغاير لمفهومه، لأن الواجب من القيام لما كان يتأدى به وبغيره وبالكثير منه والقليل، كان كل فرد يأتي به منه موصوفاً بالوجوب لأنه أحد أفراد الواجب الكلي، وهذا القدر لا يتأدى بإيجاب الوتر خاصة ولا يفيد فائدته، فلابد من الجمع بينهما[1].

ثم قال في (التذكرة):

الخامس: قضاء دين من مات معسراً؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «من مات وخلّف مالاً فلورثته، ومن مات وخلّف ديناً أو كَلاّ فإليّ... إلخ»[2].

ومن خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم: تخيير نسائه بين مفارقته والبقاء معه...

وقد حرر [المجلسي] فيه كلاماً طويلاً وقال في آخر: وهذا التخيير عند العامة كناية في الطلاق، وعندنا أنه ليس له حكم، وقال الشهيد الثاني

---

١) مسالك الأفهام: ج ٧ ص ٧٥.

٢) تذكرة الفقهاء: ج ٢٣ ص ١٢.

والشيخ علي (رحمهما الله): هذا التخيير عند العامة القائلين بوقوع الطلاق بالكناية، كناية عن الطلاق. وقال بعضهم: إنه صريح فيه. وعندنا ليس له حكم بنفسه، بل ظاهر الآية أن من اختارت الحياة الدنيا وزينتها يطلقها لقوله تعالى: ﴿**إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً**﴾[1].

وبعد ذلك قال [العلامة]: وأما المحرمات فقسمان:

الأول: ما حُرِّم عليه خاصة في غير النكاح وهو أمور: الأول: الزكاة المفروضة، صيانة لمنصبه العلي عن أوساخ أموال الناس... ـ إلى أن قال ـ ويشركه في حرمتها أولو القربى، لكن التحريم عليهم بسببه أيضاً، فالخاصية عائدة إليه .. إلخ.

الثاني: الصدقة... ـ حتى قال ـ وحكم الإمام عندنا حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومما ذكره رضي الله عنه: الخامس: حرمة الخط والشعر..[2].

وقد ذكر في آخره الخلاف في أنه صلى الله عليه وآله وسلم يحسن ذلك أم لا؟ وقال: وإنما يتجه التحريم على الأول[3]. انتهى.

أقول: إن ذلك لحقٌّ بل هو لازم لكماله التام.

وأنهى (رضوان الله عليه) المحرمات في ثمان:

---

١) سورة الأحزاب، الآية ٢٨.

٢) تذكرة الفقهاء: ج ٢٣ ص ١٩ ـ ٢١.

٣) بحارا الأنوار: ج ١٦ ص ٣٨٢ـ ٣٨٧.

القسم الأول: وجملتها اثنا عشر، ومنها ما أشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ومنها ما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ أي لا تعطي شيئاً لتنال أكثر منه.. الخ.

[القسم] الثاني: ما حرم عليه خاصة في النكاح، وهو أمور:

الأول: حرمة إمساك من تكره نكاحه وترغب عنه؛ لأنه ﷺ نكح امرأة ذات جمال، فلقنت أن تقول لرسول الله ﷺ: أعوذ بالله منك، وقيل لها إن هذا الكلام يعجبه، فلما قالت ذلك، قال ﷺ: «**لقد استعذت بمعيذ**»، وطلقها. وللشافعية وجه غريب: وإن كان لا يحرم إمساكها لكنه فارقها تكرماً منه(١).

في خصائصه وعدد نسائه ﷺ

ومات رسول الله ﷺ عن تسع نسوة: عائشة، وحفصة، وأم سلمة بنت أمية المخزومي، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وميمونة بنت الحرث الهلالية، وجويرية بنت الحرث الخزاعية، وسودة بنت زمعة، وصفية بنت حي بن أخطب الخيبرية، وزينب بنت جحش، وجميع من تزوج بهن خمس عشر. وجمع ﷺ بين إحدى عشرة، ودخل بثلاث عشرة، وفارق اثنتين في حياته: إحداهما الكلبية التي رأى بكشحها بياضاً، فقال لها: «**الحقي بأهلك**»، والأخرى التي تعوذت منه... إلى آخر القسم من المحرمات.

---

١) ن، م، ٣٨٨، وانظر: تذكرة الفقهاء: ج ٢٣ ص ٢٣.

ثم ذكر التخفيفات:

أولها: إباحة صوم الوصال، وقد نهى عنه ﷺ أمته، حتى قيل له في ذلك، فقال: «**إني لست كأحدكم، إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني**».

وفيه قال رحمه الله : قيل: معناه يسقيني ويغذيني بوحيه.

وبعده قال الشيخ المجلسي رضي الله عنه ما نصه:

وقال الشهيد (نوّر الله ضريحه): الوصال يتحقق بأمرين: أحدهما: الجمع بين الليل والنهار عن تروك الصوم بالنية. والثاني: تأخير عشاءه إلى سحوره بالنية كذلك، بحيث يكون صائماً مجموع ذلك الوقت. والوصال بمعنييه محرم على أمته ومباح له ﷺ[1].

وبعد انتهاء كلام الشهيد رحمه الله صرح الشيخ المجلسي بأنه هو المطابق لكلام الأكثر، وبذلك صرح الشيخ يوسف في (الحدائق)[2] فراجعه إن شئت، فليس مقصودنا هنا إلا تتمة مرادنا مما أشرنا إليه من كلام العلامة في خصائص النبي ﷺ، فمنها قوله رضي الله عنه:

الثاني: اصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة، كجارية حسنة، وثوب مرتفع، وفرس جواد، وغير ذلك، ويقال لذلك الذي اختاره (الصفي والصفية)، والجمع الصفايا، ومن صفاياه: صفية بنت حي [ابن أخطب] اصطفاها وأعتقها وتزوجها، وذو الفقار.

---

١) ن، م، ٣٨٨ ـ ٣٨٩، وانظر: مسالك الأفهام: ج ٧ ص ٧٦.

٢) الحدائق الناضرة: ج ١٣ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

الثالث: خُمس الفيء والغنيمة، كان لرسول الله ﷺ الاستبداد به...

الرابع: أبيح له دخول مكة بغير إحرام ...

وقد أحصاها ﵁ أحد عشر أمراً، فمنها:

ثامنها: كان لا ينتقض وضوؤه بالنوم...

وتاسعها: كان يجوز له أن يدخل المسجد جنباً.. إلخ[١].

مشاركة الأمير عليه السلام له ﷺ في ذلك

أقول: هذه الخصوصية قد شاركه فيها ﷺ نفسه وابن عمه علي أمير المؤمنين عليه السلام، ففي ذلك عدة أخبار من الفريقين صحيحة وحسنة، وقد وقفتُ في ذلك على أحد عشر: فمنها بنقل الشيخ سليمان القندوزي في (الينابيع)، ومنها: ما في (كنوز الدقائق) للمناوي المصري: «**لا ينبغي لأحد أن يجنب في المسجد إلا أنا وعلي**» ، ورواه أيضاً البخاري ومسلم.

وفيه: للترمذي عن أبي سعيد الخدري، عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «**يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك**».

فراجع (الينابيع)[٢] ففيه عن الإمام أحمد والحموني وابن المغازلي والموفق وأمثالهم، فتبصر فيه كي تستنير بصيرتك معرفة بقرب علي ولي الله منه تعالى، إذ جعله شريكاً في بعض خصائص حبيبه.

---

١) بحارا الأنوار: ج ١٦ ص ٣٩١ ـ ٣٩٢، وانظر: تذكرة الفقهاء: ج ٢٣ ص ٢٨ ـ ٢٩.

٢) ينابيع المودة: ج ١ ص ٢٥٧ ب ١٧.

ولا غرو، وقد نوّه في كتابه بأنه نفس رسوله[١]، وقد أشرنا إليه آنفاً، فلنعُد إلى ما قصدناه من باقي خصائصه المشار إليها من كلام العلامة:

قال ﵁: ومن التخفيفات ما يتعلق بالنكاح وهي أمور:

الأول: الزيادة على أربع نسوة، فإنه ﷺ مات عن تسع، وهل كان له الزيادة على تسع؟ الأولى الجواز؛ لامتناع الجور عليه، وللشافعية وجهان، هذا أصحهما.

الثاني: العقد بلفظ الهبة؛ لقوله تعالى: ﴿**وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ**﴾ فلا يجب المهر حينئذ بالعقد ولا بالدخول، لا ابتداء ولا انتهاء...[٢].

وقد وقفتُ على نكتة شريفة في هذه الآية فاستطرفتها واستحسنت تحريرها، فإليكها من (مجمع البيان) لأمين الإسلام في سورة الأحزاب، فإنه ذكر الخلاف في تعيين المرأة هل هي ميمونة بنت الحرث أم زينب بنت خزيمة أم هي أم شريك أم خولة بنت حكيم؟ وقال: إنها لما وهبت نفسها للنبي ﷺ قالت عائشة: ما بال النساء يبذلن أنفسهن بلا مهر؟ فنزلت الآية، فقالت عائشة: ما أرى الله تعالى إلا يسارع في هواك! فقال رسول الله ﷺ: «**وإنك إن أطعت الله سارع في هواك**»[٣].

---

١) إشارة لقوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ... الآية﴾.

٢) بحارا الأنوار: ج ١٦ ص ٣٩٣.

٣) مجمع البيان: ج ٨ ص ١٧١.

تنبيه:

ينبغي لذي البصيرة أن يستنير بهذه الكلمة المنيرة، فبها يعرف أن من خالف هواه سارع الله في هواه ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾، ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾، ولكل قدره بمقدار جِده واستعداد ذاته، ولا خير للعبد إلا من ربه، ولا عبودية لله تعالى في غاية الكمال إلا من حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم... فلا غرو أن خصّه بما ذكرناه من الخصائص.

الكلام على وجوب القسمة عليه صلى الله عليه وآله وسلم وعدمها

فمنها: السادس من التخفيفات: هل كان يجب عليه القسمة بين زوجاته بحيث إذا بات عند واحدة منهن ليلة وجب عليه أن يبيت عند الباقيات كذلك، أم أنه لا يجب؟...

ثم قال الشيخ المجلسي رضي الله عنه:

قال الشهيد الثاني رحمه الله: اختلف العلماء في ذلك، فقال بعضهم: لا يجب عليه ذلك لقوله تعالى: ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ**﴾ ومعنى تُرجي: تؤخر وتترك إيواءهن إليك ومضاجعتهن بقرينة قسميه وهو قوله تعالى: ﴿**وَتُؤْوِي إِلَيْكَ**﴾، وهذا ظاهر في عدم وجوب القسمة عليه صلى الله عليه وآله وسلم، حتى روي أنه بعد نزول الآية ترك القسمة لجماعة من نسائه وآوى إليه جماعة منهن معيّنات.

وقال آخرون: بل تجب القسمة عليه كغيره؛ لعموم الأدلة الدالة عليها، ولأنه لم يزل يقسم بين نسائه حتى كان يطاف به عليهن وهو مريض، ويقول: «هذا قسمي فيما أملك، وأنت أعلم بما لا أملك»، يعني قلبه ﷺ، والمحقق رحمه الله استضعف الاستدلال بالآية على عدم وجوب القسمة: بأنه كما يحتمل أن تكون المشيئة في الإرجاء والإيواء لجميع نسائه، يحتمل أن يكون متعلقاً بالواهبات أنفسهن خاصة، فلا يكون دليلاً على التخيير مطلقاً، وحينئذ فيكون اختيار قولٍ ثالث وهو: وجوب القسمة لمن تزوجهن بالعقد، وعدمها لمن وهبت نفسها.

وفي هذا عندي نظر، لأن ضمير الجمع المؤنث في قوله ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ واللفظ العام في قوله: ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ﴾ لا يصح عوده للواهبات، لأنه لم يتقدم ذكر الهبة إلا لامرأة واحدة وهي قوله: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾[1] فوحّد ضمير الهبة في مواضع من الآية، ثم عقبه بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ... الآية﴾ ثم عقبها بقوله: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ... الآية﴾. وهذا ظاهر في عود ضمير النسوة المخير فيهن إلى أنّ من سبق من أزواجه جُمع.

---

١) سورة الأحزاب، الآية ٥٠.

وأيضاً فإن النبي ﷺ لم يتزوج بالهبة إلا امرأة واحدة على ما ذكره المحدثون والمفسرون، وهو المناسب لسياق الآية، فكيف يجعل ضمير الجمع عائداً إلى الواهبات وليس له منهن إلا واحدة!!

ثم لو تنزلنا وسلمنا جواز عوده إلى الواهبات لما جاز حمله عليه بمجرد الاحتمال مع وجود اللفظ العام الشامل لجميعهن، وأيضاً فإن غاية الهبة أن تزويجه ﷺ يجوز بلفظ الهبة من جانب المرأة أو من الطرفين، وذلك لا يُخرج الواهبة عن أن تكون زوجة، فيلحقها ما يلحق غيرها من أزواجه، لا أنها تصير بسبب الهبة بمنزلة الأمة، وحينئذٍ فتخصيص الحكم بالواهبات لا وجه له أصلاً.

وأما فعله ﷺ فجاز كونه بطريقي التفضّل والإنصاف، وجبر القلوب، كما قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ...**﴾[1]. انتهى كلامه رحمه الله.

ورجعنا إلى كلام (التذكرة):

في عموم ولايته ﷺ لتزويج من شاء من أمَّته، وحلّية المرأة له ﷺ بتزويج الله في السماء..

السابع: أنه كان يجوز للنبي ﷺ تزويج المرأة ممن شاء بغير إذن وليها، وتزويجها من نفسه بتولي الطرفين من غير إذن وليها... ـ إلى أن قال ـ

---

١) مسالك الأفهام: ج ٧ ص ٨٢ ـ ٨٣.

وكانت المرأة تحل له بتزويج الله تعالى، قال سبحانه في قصة زيد: ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا...**﴾[1].

أقول: يؤيد هذا حديث رواه في (الصافي) في تفسير ﴿**وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ**﴾ عن الصادق عليه السلام، ومحل الشاهد منه قوله: «**فزوجه الله من فوق عرشه**»[2].

وأورد رحمه الله في تفسير ﴿**زَوَّجْنَاكَهَا**﴾ من (الجوامع) كلاماً حسناً، قال فيه: وروي أن زينب كانت تقول للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إني لأدُلُّ[3] عليك بثلاث، ما من نسائك امرأةٌ تُدل بهن، جدي وجدك واحد، وزوّجك الله بي والسفير جبرئيل[4].

---

١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٩٦.

٢) تفسير الصافي: ج ٤ ص ١٦٤.

٣) قال الشيخ فخر الدين في (المجمع): وفي الدعاء «مدلاً عليك فيما قصدت فيه إليك» هو من دلّت المرأة، من بابي ضربَ وتعبَ، وتدللت، وهو جُرأتها في تكسر وتفتح، كأنها مخالفة وليس بها خلاف. والاسم الدلال. يقال: تدللَ على غيره، لم يخف منه.

وقد أورد الفيروز آبادي في (القاموس) معنى تدلل المرأة كذلك بتفاوت في اللفظ، وقال ما نصه: وأدل عليه انبسط، كتدلل وأوثق بمحبته فأفرط عليه، وعلى أقرانه. انتهى. والظاهر أن الثاني أولى بلفظ الرواية. (منه رحمه الله). وانظر: مجمع البحرين: ج ٥ ص٣٧٢، والقاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٧٧.

٤) تفسير جوامع الجامع: ج ٣ ص ٦٨، وانظر: تفسير الصافي: ج ٤ ص ١٦٤.

في أمره ﷺ بتبشير زينب وتحريم زوجاته على غيره

روى المتقى الهندي في (منتخب كنز العمال) في ترجمة زينب بنت جحش، عن راشد بن سعد قال: قال النبي ﷺ: «من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله تعالى زوجنيها في السماء». وفيه: عن محمد بن يحيى بن حبان مرسلاً: «الله المزوج وجبرئيل الشاهد»(١). انتهى.

فلنهنئ السيدة زينب بهذه الخصوصية الحاصلة لها باتصالها بمن له الفضل الجليل الذي بسببه فيوضات الخير، وله ﷺ الخواص الخطيرة، فمنها: ما في الفضل والكرامات، قال العلامة رحمه الله :

الأول: تحريم زوجاته على غيره.

ثم نقل المجلسي رضي الله عنه كلاماً جليلاً ملخصه التحريم مطلقاً، وفيه القول بتفصيل الخلاف عند غيره، وإنه لقول جليل يعجبني لما فيه من حُسن الدليل، فدونكه نصاً:

فنقول: تحريم أزواجه ﷺ لما ذكرناه من النهي المؤكد عنه في القرآن، لا لتسميتهن أمهات المؤمنين في قوله تعالى: ﴿**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾، ولا لتسميته ﷺ والداً، لأن ذلك وقع على وجه المجاز لا الحقيقة، كناية عن تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن، ومن ثم لم يجز النظر إليهن، ولا الخلوة بهن، ولا يقال لبناتهن أخوات المؤمنين؛ لأنهن لا يحرمن على المؤمنين، وكذا لا يقال لآبائهن وأمهاتهن: أجداد المؤمنين وجداتهم، ولا

---

١) منتخب كنزل العمال: ص ١٢٢.

لإخوانهن وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاتهم. وللشافعية وجه ضعيف في إطلاق ذلك كله، وهو في غاية البعد[1]، انتهى.

وقال الشيخ المجلسي رضي الله عنه ما نصه: ثم قال رضي الله عنه في (التذكرة):

الثاني: أن أزواجه أمهات المؤمنين، سواءٌ فيه من ماتت تحت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي تحته، وليست الأمومة هنا حقيقية.

ثم ذكر نحواً مما ذكره الشهيد الثاني رحمه الله في ذلك[2].

الثالث: تفضيل زوجاته على غيرهن، بأن جعل ثوابهن وعقابهن على الضِعف.

الرابع: لا يحل لغيرهن من الرجال أن يسألهن شيئاً إلا من وراء حجاب، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، وأما غيرهن فيجوز أن يُسألن مشافهة...

الثاني: في غير النكاح، وهو أمور:

الأول: أنه خاتم النبيين.

والثاني: أن له خير الأمم، لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ تكرمة له وتشريفاً[3].

---

١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٩٨.

٢) مسالك الأفهام: ج ٧ ص ٨١.

٣) هذا بظاهره لا يلائم ما فعلته الأمَّة بالعترة الطاهرة:

أبادوهمُ قتلاً وسمّاً وغيلة   كأن رسول الله ليس لهم أب

والفتنة الأولى غير خفية فلابدَّ من تأويله وتخصيصه، وقد أورد الشيخ الطبرسي في (المجمع) في الآية وجوهاً، خامسها أوفقها، وهو ما معناه: أن (كان) بمعنى (صار) والمعنى: خلقتم خير أمة، فالقضية مشروطة. قال ما نصه: إن كان بمعنى صار، ومعناه صرتم خير أمة خلقت، لأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وإيمانكم بالله. [ج ٢ ص٣٦٢ ـ ٣٦٥].

ولذلك قال رضي الله عنه: وقد روي عن بعض الصحابة أنه قال: من أراد أن يكون خير هذه الأمة فليؤدّ شرط الله فيه من الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثم قال رضي الله عنه : واختلف في المعني بالخطاب، فقيل: هم المهاجرون خاصة... إلخ.

فبهذا تعرف جهة الملاءمة؛ لأن كل من أدى شرط الله من امتثال أوامره ونواهيه فلا شك أنه من خير الناس، فما تمسك به بعض مدعي عصمة الأمة عن اجتماعها على الخطأ مردود بعدم تحقق الشرط في الكثير، وبتخصيص المراد بالقليل ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾، أو إرادة الخصوص بلفظ العموم من المتسالم عليه عربية وبلاغة. كما خصص لفظ الصادقين في قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في رواية الفريقين بالمعصومين. إذن فهم الأحق بالتخصيص في هذا المقام وغيره.

قال الشيخ فخر الدين رضي الله عنه في (مجمع البحرين) في مادة (أمم) : قال بعض الأفاضل: استدل بعض مخالفينا بالآية على كون الإجماع حجة من أن اللام في المعروف والمنكر للاستغراق، أي تأمرون بكل معروف وتنهون عن كل منكر، فلو أجمع على الخطأ لم يتحقق واحدة من الكلّيتين، وهو المطلوب.

والجواب: منع كون اللام في اسم الجنس للاستغراق، وإن سلم فنحمله على المعصومين، لعدم تحقق ما ذكرتم في غيرهم، وبذلك ورد النقل أيضاً عن أئمتنا عليهم السلام، قالوا: وكيف تكون خير أمة وقد قتل فيها ابن بنت نبيها؟

وقد أورد المحقق الكاشاني هذا المعنى في (الصافي) وأن المعنيين بها هم الأئمة عليهم السلام، وروى فيه أخباراً عن الصادق عليه السلام، منها: ما نقله عن القمي عن الصادق عليه السلام أنه قُرأ عليه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ فقال: «خير أمة يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين بن

الثالث: نسخ جميع الشرائع بشريعته.

الرابع: جعل شريعته مؤبدة.

الخامس: جعل كتابه معجزاً بخلاف كتب سائر الأنبياء.

السادس: حفظ كتابه عن التبديل والتغيير، وأقيم بعده حجة على لناس،

علي... إلخ». وفيه من (كتاب العياشي) عن الصادق قال عليه السلام: «هم آل محمد»، وعنه عليه السلام: «إنما نزلت هذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفي الأوصياء خاصة... إلخ». وإن لم يقنع المتمسك بالشبهات فليقرأ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ فليتدبر هذه الإشارة فهل تحقق هذا الانقلاب أم لا؟ ومن يشك لظنه خيراً بالسلف الصالح فلا ينسى أو يتناسى ما ثبت في التاريخ الصحيح والسير المعلومة من حرب الناكثين والمارقين والقاسطين علياً أمير المؤمنين عليه السلام وكونه عليه السلام مع الحق والحق معه، نصُ النبوي المسلم بين المسلمين.

فلننظر في هذه الجرائم وجريرتها من فعل الأموية والعباسية، سيما واقعة الطف:

سل كربلا كم من حشى لمحمد نُهبت بها وكم استجذت من يد

ولم يكتفوا بذلك حتى سبوا بنات النبوة وربائب الوحي والتنزيل:

بنات زياد في القصور مصونة وآل رسول الله في الفلوات

ثم تلت ذلك واقعة الحرّة التي قُتل فيها خلقٌ كثير، وفيهم جملة من أفاضل المهاجرين، واستُبيح بها الحرم النبوي، وفُضَّت فيها الأبكار، ولا تنس فعل الحجاج بالمسلمين وقتل زيد بن علي حتى حرّقوه، وفِعْلُ المنصور بالعلويين، وحادثة فخ بأمر موسى ابنه، وهلم جراً... من حبس أئمتنا وسمّهم وغير ذلك من الأفاعيل الشنيعة، فسل المسلمين أليس هؤلاء خلفاء؟ فأي مسلم يصح له أن يأتم بهم؟ وأين مصداق قوله تعالى: ﴿**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾، وأين مصداق ﴿**خَيْرَ أُمَّةٍ**﴾ على العموم؟ (منه رحمه الله).

ومعجزات غيره من الأنبياء انقرضت بانقراضهم.

في خصائصه ﷺ

السابع: نصره بالرعب على مسيرة شهر، فكان العدو يرهبه من مسيرة شهر.

الثامن: جلعت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً.

التاسع: أحلت له الغنائم دون غيره من الأنبياء.

العاشر: يشفع في أهل الكبائر، لقوله ﷺ: «**ادّخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

الحادي عشر: بعث إلى الناس عامة.

الثاني عشر: سيد ولد آدم يوم القيامة.

الثالث عشر: أول من تنشق عنه الأرض.

الرابع عشر: أول شافع ومشفع.

الخامس عشر: أول من يقرع باب الجنة.

السادس عشر: أكثر الأنبياء تبعاً.

السابع عشر: أمته معصومة لا تجتمع على الضلالة.

ثم قال الشيخ المجلسي رضي الله عنه :

أقول: قال المحقق في (شرح القواعد) في عدِّ هذا من الخصائص: نظراً لأن الحديث غير معلوم الثبوت، وأمَّته ﷺ مع دخول المعصوم فيهم لا تجتمع على ضلالة، لكن باعتبار المعصوم فقط، ولا دخل لغيره في ذلك،

وبدونه هم كسائر الأمم، على أن الأمم الماضين مع أوصياء أنبيائهم كهذه الأمة مع المعصوم، فلا اختصاص[١]. انتهى.

ثم قال في (التذكرة):

الثامن عشر: صفوف أمته كصفوف الملائكة.

التاسع عشر: تنام عينه ولا ينام قلبه.

العشرون: كان يرى من ورائه كما يرى من قدّامه، بمعنى التحفظ والحس، وكذلك قوله: «**تنام عيناي ولا ينام قلبي**».

الحادي والعشرون: كان تطوعه بالصلاة قاعداً كتطوعه قائماً وإن لم يكن عذر، وفي حق غيره ذلك على النصف من هذه.

الثاني والعشرون: مخاطبة المصلي بقوله: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، ولا يخاطب سائر الناس.

الثالث والعشرون: يحرم على غيره رفع صوته على صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الرابع والعشرون: يحرم على غيره نداؤه من وراء الحجرات للآية[٢].

الخامس والعشرون: نادى الله تعالى الأنبياء وحكى عنهم بأسمائهم فقال تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا**﴾ ﴿**أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ**﴾ ﴿**يَا نُوحُ**﴾ وميز نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بالنداء بألقابه الشريفة فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ**﴾ ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ**﴾ ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**﴾ ﴿**يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ**﴾، ولم يذكر اسمه في القرآن

---

١) جامع المقاصد: ج١٢ ص ٦٥.

٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾.

إلا في أربعة مواضع، شهد له فيها بالرسالة، لافتقار الشهادة إلى ذكر اسمه ﷺ فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ﴿بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. وكان يحرم أن ينادى باسمه فيقال: يا محمد، يا أحمد، ولكن يقال: يا نبي الله، يا رسول الله، يا خيرة الله، إلى غير ذلك من صفاته الجليلة.

السادس والعشرون: كان يُستشفى به ﷺ .

السابع والعشرون: كان يتبرك بفواضله كوضوئه وريقه وشعره.

الثامن والعشرون: من زنى بحضرته واستهان به كفر.

التاسع والعشرون: يجب على المصلي إذا دعاه أن يجيبه، ولا تبطل صلاته، وللشافعية وجه وهو أنه لا يجب[1]، وتبطل به الصلاة.

الثلاثون: كان أولاد بناته ينسبون إليه، وأولاد بنات غيره لا ينسبون إليهم، لقوله ﷺ: «**كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي**»، وقيل: معناه إنه لا ينتفع يومئذ بسائر الأنساب وينتفع بالنسبة إليه ﷺ[2].

ولما انتهى هذا الباب عقّبه رحمه الله بأبواب جليلة فيها مطالب شريفة بحق النبي ﷺ، فيحسن أن ننتخب من كل باب شيئاً مما نستطرفه، فمن ذلك:

---

١) هكذا النسخة، والظاهر أن الصحيح: يجب بغير إضافة (لا). (منه رحمه الله).

٢) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٣٩٨ ـ ٤٠١، وانظر: تذكرة الفقهاء: ج ٢٣ ص ١١ـ ٤٥.

بابٌ نادرٌ في اللطائف النبوية، نقلها من (المناقب)، وقد قدّمنا في أثناء الكتاب نبذة في مقايسة فضائله ﷺ بفضائل الأنبياء، وفي هذا الباب طرائف لم تذكر هنا. فلتطلب من مضانها.

النظرة الخامسة

في اللطائف النبوية، ومقايسته بثلة من الأنبياء، وعلوه عليهم وفيها ستٌ وعشرون طريقة

الطريفة الأولى: آدم، قوله ﷺ: **«كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»**.

الثانية: وإن كان آدم أول الخلق فقد صار محمد ﷺ قبله؛ لقوله ﷺ: **«إن الله خلقني من نور وخلق ذلك النور قبل آدم بألف ألف سنة»**[1].

الثالثة: نوح، جرت له السفينة على الماء، وهي تجري للكافر والمؤمن، ولمحمد ﷺ جرى الحجر على الماء، وذلك أنه كان على شفير غدير ووراء غدير تل عظيم، فقال عكرمة بن أبي جهل: يا محمد إن كنت نبياً فادع من صخور ذلك التل حتى يخوض الماء فيعبر، فدعا بالصخرة فجعلت تأتي على وجه الماء حتى مَثلُت بين يديه، فأمرها بالرجوع فرجعت كما جاءت[2].

الرابعة: إبراهيم، واتُخذ مقام الخليل قبلة، ﴿**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾.

---

١) مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٢٦٦، ، بحار الأنوار: ج ١٦ ب ١٢ ص ٤٠٢.

٢) ن، م، ص ٢٦٧، ، ن، م، ص و٤٠٣.

وجعل أحوال الحبيب وأفعاله وأقواله قبلة ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ**﴾.

الخامسة: الخليل كسر أصنام قومه بالخفية غضباً لله[١]، والحبيب أنزل عن الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً وكسّرها وأذل من عبدها بالسيف علناً.

السادسة: الخليل بذل ماله لأجل الجليل، وخلق الجليلُ العالمَ لأجل الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم.

السابعة: قال الخليل عليه السلام: ﴿**فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي**﴾ وقيل للحبيب: «**لولاك لما خلقت الأفلاك**»[٢].

الثامنة: وبارك في أولاد الخليل حتى عفوا، فأمر داود في أيامه بإحصائهم فعجزوا عن ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: «لما أطاعني بذبح ولده كثرت ذرّيته»، والحبيب لما ابتلي أيضاً بذبح ابنه الحسين كثُرَت أولاده.

التاسعة: وصل الخليل إلى الجليل بالواسطة، قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ**﴾، ووصل الحبيب بلا واسطة: ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى**﴾.

---

١) سورة الأنبياء، الآيتان ٥٧ ـ ٥٨.

٢) في عوالم العلوم: ج ١١ ص ٤٣ عن كتاب (كشف اللآلي) لابن العرندس، بهذا الإسناد: الشيخ إبراهيم بن الحسن الذرّاق، عن الشيخ عليّ بن هلال الجزائري، عن الشيخ أحمد ابن فهد الحلّي، عن الشيخ زين الدين علي بن الحسن الخازن الحائري، عن الشيخ أبي عبد الله محمّد بن مكّي الشهيد، بطرقه المتّصلة إلى أبي جعفر محمّد بن عليّ بن موسى ابن بابويه القمي، بطريقه إلى جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن الله (تبارك وتعالى).

العاشرة: قالوا: أظهر الله الخليل ولم يُظهر الحبيب.

الجواب: إنه أظهر المحبّة لمتبعيه فكيف المتبوع؟ قال تعالى: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[(١)].

الحادية عشرة: يعقوب جُعل الأسباط من سلالة صلبه، ومريم بنت عمران من بناته، والهداة في ذريته، قال تعالى: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ**﴾، ومحمد ﷺ أرفع ذكراً من ذلك، فجُعلت فاطمة سيدة نساء العالمين من بناته، والحسن والحسين من ذريته، وآتاه الكتاب المحفوظ، لا يبدل ولا يغير.

الثانية عشرة: يوسف دعا لمالك بن زعر ليكثر ماله وولده، وقال النبي ﷺ لجابر: «**ستدرك ولداً لي يسمى الباقر، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام**»[(٢)].

الثالثة عشرة: أخبر تعالى عن نبيه موسى بقوله: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ**﴾ قال ابن عباس والضحاك: هي اليد والعصا والحجر والبحر والطوفان والجراد والقمّل والضافدع والدم. ويروى أن النبي ﷺ استتر للوضوء في بعض أسفاره إلى الشام، فأحاط به اليهود بالسيوف، فأثار الله من

---

١) سورة آل عمران، الآية ٣١.

٢) في رواية سفينة عن جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تبقى حتى تلقى ولداً لي من الحسين عليه السلام يقال: له محمد، يبقر علم الدين بقراً، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام». انظر: الإرشاد: ج ٢ ص ١٥٩، بحارا لأنوار: ج ٤٦: ص ٢٢٢.

تحت رجله جراداً فاحتوشتهم وجعلت تأكلهم حتى أتت على جملتهم، وكانوا مائتي نفر.

الرابعة عشرة: وتبعه ﷺ قوم يوماً ًخالياً، فنظر أحدهم إلى ثياب نفسه وفيها قمّل، ثم جعل بدنه يحكه، فأنف من أصحابه وانسلّ، وأبصر آخر وآخر وآخر مثل ذلك حتى وَجد كلهم من نفسه، ثم زاد ذلك عليهم حتى استولى ذلك عليهم فماتوا من خمسة أيام إلى شهرين.

الخامسة عشرة: وهمّ جماعة بقتله فخرجوا نحو المدينة من مكة فسلط الله على مَزاودهم وروايا‌هم وسطايحهم الجرذانَ، فخرَّقتها ونقبتها، وسالت مياهها، فلما عطشوا شعروا بذلك، فرجعوا القهقرى إلى الحياض التي كانوا تزودا منها تلك المياه، وإذا الجرذان قد سبقتهم إليها فنقبت أصولها وسال في الحرّة مياهها، فتماوتوا ولم ينفلت منهم إلاّ واحد لا يزال يقول: يا رب محمد وآل محمد ﷺ قد تُبت من أذاه، ففرّجْ عني بجاه محمد وآل محمد. فوردت عليه قافلة فسقوه وحملوه وحملوا معه أمتعة القوم، فآمن بالنبي ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ له تلك الجمال والأموال.

السادسة عشرة: استهزأ به ﷺ أربعون نفراً من المنافقين، فقال ﷺ: «**أما إن الله يعذبهم بالدم**». فلحقهم الرعاف الدائم وسيلان الدم من أضراسهم، فكان طعامهم وشرابهم يختلط بدمائهم، فبقوا كذلك أربعين صباحاً ثم هلكوا.

السابعة عشرة: شعر حسان:

لأن كلـــم الله موســـى علـــى شــريف مــن الطــور يــوم النــدا
فـــإن النبـــي أبـــا قاســـم حُبـــي بالرســـالة فـــوق الســـما
وقد صار بالقرب من ربـــــه على قاب قوسين لمّا دنـــــــــى

الثامنة عشرة: ومن شعره أيضاً:

وإنْ فجّــر المــاء موســى لكــم عيونــاً مــن الصــخر ضــرب العصــا
فمن كف أحمد قد فجـــــرت عيون من الماء يوم الظمـــــــــا

التاسعة عشرة: ومن شعره أيضاً:

وإن كـــان هـــارون مـــن بعـــده حُبـــي بـــالوزارة يـــوم المـــلا
فإن الوزارة قد نالهــــــــا عليٌ بلا شك يوم النــــــــدا

العشرون: داود: ومن شعرٌ لحسان:

وإن كـــان داودُ قـــد أوّبـــت جبـــالٌ لديـــه وطيـــرُ الهـــوا
ففي كف أحمد قد سبّحــــــت بتقديس ربي صغار الحَصــــــى

الحادية والعشرون: سليمان: أيضاً شعر لحسان:

وإن كانــت الجــن قــد ساســها ســليمان والــريح تجــري رُخــا
فشـــهر غـــدو بـــه دائبـــاً وشـــهر رواح بـــه إن يشـــا
فإن النبي سرى ليلـــــــــةً من المسجدين إلى المرتقـــــى

الثانية والعشرون: شعر كعب بن مالك:

وإن تـك نمـل البـر بـالوهم كلّمـت سليمان ذا الملك الذي ليس بـالعمي
فهذا نبي الله أحمد سبّحـــــــت صغار الحصى في كفه بالترنـــــم

الثالثة والعشرون: يحيى:

وإن كـــان يحيـــى بكـــت عينـــه صـــغيراً وطُهـــره فـــي الصـــبى
فـــإن النبـــي بكـــى قائمـــاً حزيناً على الرجل خوف الرجا
فنـــــــاداه طه أبا قاســـم ولا تشقَ بالوحي لما أتـــــــى

الرابعة والعشرون: [قال] عيسى عليه السلام: ﴿وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ﴾ وجاءت امرأة إلى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ومعها عكةُ سمنٍ وإقطٍ، ومعها ابنة لها، فقالت: يا رسول الله، وُلدتْ هذه كمهاء، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عوداً فمسح به عينها، فأبصرت.

الخامسة والعشرون: كان عيسى يُحيي الأموات بـ«يا حي يا قيوم»، وقيل: إنه أحيا أربعة أنفس، وهم: عاذر، وابن العجوز، وابنة العاشر، وسام ابن نوح. قال الرضا عليه السلام: «**لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه أن يحيي لهم أمواتهم، فوجّه معهم علي بن أبي طالب، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (اذهب إلى الجبّانة فنادِ باسم هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك: يا فلان ويا فلان، يقول لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قوموا بإذن الله). فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم، ثم أخبروهم أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد بُعث نبياً، فقالوا: وددنا أنا أدركناه فنؤمن به**».

السادسة والعشرون: قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم كان ينبئ بأشياء كثيرة، منها قصة حاطب بن أبي بلتعة وإنفاذ كتابه إلى مكة، ومنها قصة العباس وسبب إسلامه(١).

---

١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٤٠٢ ـ ٤١٧.

إلى آخر الباب فراجعه، ففيه مناقب جليلة له ﷺ مطابقة لما أكرم الله (عز وجل) به ثلة من عظماء أنبيائه، كنوح وإبراهيم وعيسى وموسى، وغيرهم (على نبينا وآله وعليهم السلام).

ومنه أن كل ما أعطى الله الأنبياء بسؤالهم عليهم السلام منه (جل وعلا) جَمَعَهُ لحبيبه ﷺ حبوة وإعظاماً.

أقول: قد أحصيتُ من إخباراته ﷺ ـ خصوصاً بالغيب ـ خمسة وستين خبراً، وقد أشرت في الجزء الأول لذلك في كلام شريف، وإنه لشريف بشرف موضوعه، إذ هو في علمهم عليهم السلام بالمغيبات بتعليم ربهم، فدونك منه ما يناسب المقام، قلت عند ذكر علم أمير المؤمنين عليه السلام بالغيب في كلام ابن أبي الحديد ما نصه: (وقد أحصيتُ من ذلك له عليه السلام ستين أمراً من أخبارٍ شتى من كتب متفرقة، كمناقب ابن شهر آشوب وغيره). فيكون مجموع ما أحصيته من مغيباته عليه السلام مائة وخمسة عشر، وأحصيتُ لوُلده الأحد عشر المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) أربعمائة وثلاثة وخمسين أمراً من المغيبات، وضبطتُ خمسةً وستين أمراً للنبي ﷺ، فيكون المجموع ستمائة وثلاثة وثلاثين كلها من المغيبات الواقعة من الحوادث وما في الضمائر، وعند التحقيق كلها تعود إلى السيد الأكبر ﷺ . (منه رحمه الله).

النظرة السادسة

في وجوب طاعته ﷺ والتفويض إليه في بعض التشريعات وفيها تحقيقات أنيقة في تحقيق التفويض وبيان الصحيح من الفاسد، والإشارة لبعض آراء العلماء في قضية العلّية والكلام على نسبة السهو له ولآله ﷺ وتزييفه والأدلة على وجوب طاعته بالعقل والنقل بعدة آيات وأخبار

لقد ذكر الشيخ المجلسي رحمه الله باباً في (وجوب طاعته وحبه والتفويض إليه)[1]، وصدّره بعد آيات من القرآن المجيد، مجموعها أربعة وعشرون، فبذلك تعرف شدّة عناية الحق بحبيبه ﷺ حيث أراد تبجيله وتعظيمه، فوجوب طاعته يثبت بآية واحدة إذ الكتاب العزيز قطعي الصدور، والآيات مذكورة في سور متفرقة، فلنكتفي من كل سورة بآية، ففي ذلك الشرف الخطير.

١) آل عمران [١٢٣]: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

---

١) بحار الأنوار: ج ١٧ باب ١٣.

٢) النساء [٦٩]: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.

٣) المائدة [٩٢]: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

٤) الأنفال [١]: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

٥) التوبة [٧١]: ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

٦) النور [٥٢]: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

٧) الأحزاب [٧١]: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

٨) محمد [٣٣]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾.

٩) الفتح [١٧]: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

١٠) الحجرات [١٤]: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾.

١١) المجادلة [١٣]: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

١٢) الحشر [٤]: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

١٣) الحشر [٧] : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

١٤) التغابن [١٢] : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾.

عدد مبارك ميمون لموافقته لأركان الكون: محمد رسول الله ﷺ حبيب الله، وعلي ولي الله، وفاطمة صفوة الله تعالى من النساء، والحسنان سيدا شباب أهل الجنة وسبطا رسول الله، والتسعة المعصومون من وُلد الحسين (عليهم أفضل الصلاة والسلام): علي زين العابدين، فمحمد الباقر، فجعفر الصادق، فموسى الكاظم، فعلي الرضا، فمحمد الجواد، فعلي الهادي، فالحسن العسكري، فالحجة القائم المنتظر المهدي (صلوات الله عليهم أجمعين)، ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ألا وهي غايتنا المنشودة، وضالتنا المقصودة، فإني لم أزل أتمنّى بهذا العدد المبارك وأكرر ذكر أسمائهم عليهم السلام؛ تثليجاً لأفئدة المؤمنين وسقياً لهم من عذبِ حبّ محمد وآله الطاهرين، فلنجتبِ من أخبار الباب المذكور ما نزداد به يقيناً.

في وجوب طاعته ﷺ من الأخبار

[الحديث الأول]: بحذف الإسناد، عن أبي إسحاق النحوي، قال: دخلت على أبي عبد الله فسمعته يقول: «**إن الله (عز وجل) أدّب نبيه ﷺ على محبته فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ثم فوض إليه أمره فقال (عز**

وجل): ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، وقال (عز وجل): ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾... ثم قال: وإن نبي الله فوض إلى علي وأئمته[١] فسلّمتم وجحد الناس، فو الله لَنُحبُّكم أن تقولوا إذا قلنا وتصمتوا إذا صمتنا، ونحن فيما بينكم وبين الله (عز وجل)، ما جعل الله لأحد خيراً في خلاف أمرنا». انتهى.

الحديث الثاني ـ المأخوذ من الباب المذكور ـ بحذف الإسناد ما نصه:

عن فضل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: «إن الله (عز وجل) أدب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب قال؛ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده فقال (عز وجل): ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس، لا يزلّ ولا يخطئ في شيء مما يسوس به الخلق، فتأدب بآداب الله. ثم إن الله (عز وجل) فرض الصلاة ركعتين ركعتين، عشر ركعات، فأضاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الركعتين ركعتين وإلى المغرب ركعة، فصارت عديلة الفريضة لا يجوز تركهن إلا في سفر، وأفرد الركعة في المغرب فتركها قائمة في السفر والحضر، فأجاز الله له ذلك كله، فصارت الفريضة سبع عشرة ركعة، ثم سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النوافل أربعاً وثلاثين ركعة مثلي

---

١) هكذا النسخة وينبغي أن تصحح فلعله قال: (والأئمة) أو قال: (وأئمتكم) والله أعلم. وفي نسخة الطبع الجديد ج ١٧ (وأتمنه) بدال (وأئمته). (منه رحمه الله).

الفريضة، فأجاز الله تعالى له ذلك الفريضة والنافلة إحدى وخمسون ركعة، ركعتان بعد العتمة جالساً تُعد بركعة مكان الوتر[١]، وفرض الله في السَنة صوم شهر رمضان وسنّ رسول الله ﷺ صوم شعبان وثلاثة أيام في كل شهر مثلي الفريضة، فأجاز الله (عز وجل) له ذلك، وحرّم الله (عز وجل) الخمر بعينها وحرم رسول الله ﷺ المسكر من كل شراب، فأجاز الله له ذلك، وعافَ رسول الله ﷺ أشياء وكرهها ولم ينهَ عنها نهي حرام إنما نهى عنها نهي إعافةٍ وكراهةٍ، ثم رخّص فيها فصار الاخذ برخصه واجباً على العباد كوجوب ما يأخذون بنهيه وعزائمه، ولم يرخص لهم رسول الله ﷺ فيما نهاهم عنه نهي حرام ولا فيما أمر به أمرَ فرضٍ لازم، فكثير المسكر من الأشربة نهيهم عنه نهي حرام لم يرخَّص فيه لأحد ولم يُرخِّص رسول الله ﷺ لأحد تقصير الركعتين اللتين ضمّهما إلى ما فرض الله (عز وجل)، بل ألزمهم ذلك إلزاماً واجباً لم يُرخص لأحد في شيء من ذلك إلا للمسافر، وليس لأحد أن يرخّص ما لم يرخّصه رسول الله ﷺ، فوافق أمر رسول الله ﷺ أمر الله (عز وجل) ونهيه نهي الله (عز وجل)، ووجب على العباد التسليم له كالتسليم لله (تبارك وتعالى)». انتهى.

---

١) ورد هذا في عدة من الأخبار، كما رواه وأفتى به غير واحد من علمائنا الأبرار، منهم ثقة الإسلام الشيخ الكليني في (الكافي)، والشيخ الجليل الشيخ يوسف البحراني في (الحدائق)، ومرجع عصرنا السيد محسن في (المستمسك). (منه رحمه الله).

الحديث الثالث: بحذف الإسناد ما نصه: عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**لا والله ما فوض الله إلى أحد من خلقه إلا إلى رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **وإلى الأئمة، قال الله** (عز وجل): ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ**﴾[1] **وهي جارية في الأوصياء**». انتهى.

الحديث الرابع: بحذف الإسناد ما نصه: عن ياسر الخادم، قال: قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في التفويض، فقال: «**إن الله(تبارك وتعالى) فوَّض إلى نبيه أمر دينه فقال:** ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾، **فأما الخلق والرزق فلا**»، ثم قال عليه السلام: «**إن الله (عز وجل) خالق كل شيء وهو يقول (عز وجل):** ﴿**الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[2]».

الحديث الخامس: بحذف الإسناد ما نصه: عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إن الله أدّب نبيه** صلى الله عليه وآله وسلم **حتى إذا أقامه على ما أراد قال له** ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[3]، **فلمَّا فعل ذلك له رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **زكاه فقال:** ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ **، فلما زكاه فوَّض إليه [أمر] دينه فقال:** ﴿**مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾

---

١) سورة النساء، الآية ١٠٥.

٢) سورة الروم، الآية ٤٠.

٣) سورة الأعراف، الآية ١٩٩.

فحرم الله الخمر وحرم رسول الله ﷺ كل مسكر فأجاز الله ذلك كله وأن الله أنزل الصلاة وأن رسول الله ﷺ وقّت[١] أوقاتها فأجاز له ذلك»[٢].

انتهى.

في الفرق بين التفويض الصحيح والفاسد

أقول: ينبغي أن نتأمل في معنى التفويض كي نعرف منه الممكن من المستحيل والصحيح من الفاسد، ثم إنا يجب علينا أن نتبصر فيما جاء من

---

١) لابد أن يوجّه معناه إلى أنه ﷺ فصّلها وحدّد حدودها لئلا يحصل التنافي بينه وبين قوله تعالى: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ.. الآية**﴾، ففيها بيان الأوقات إجمالاً، ولما ذكرناه تشير الرواية المروية عن الصادق عليه السلام كما في (قلائد الدرر) للشيخ العالم العظيم الشيخ أحمد الجزائري، ومحل الشاهد منها هو: قول حمران للإمام عليه السلام: إن زرارة يزعم أن الصلاة كانت مفوّضة إلى رسول الله ﷺ هو الذي وضعها... إلى أن قال الإمام عليه السلام: «**إن زرارة يقول: جبرئيل إنما جاء مشيراً على رسول الله ﷺ، وصدق زرارة، إنما جُعل ذلك إلى محمد ﷺ ، فوضعه وأشار جبرئيل به عليه**»، فتدبره يفيدك ما قلناه من التحديد والتعيين. ومن راجع أخبار الباب في المواقيت، يرى صريح ما بيّناه، ومن ذلك ما في (تفسير العياشي) في حديثٍ عن زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية المشار إليها، قال فيه عليه السلام: «**أربع صلوات وضعهن رسول الله ﷺ ووقّتهن للناس... الحديث**». (منه رحمه الله).

٢) هذا عدد مبارك ميمون موافق للخمسة المعصومين أهل الكساء عليهم السلام، قال بعضهم:

لي خمسة أطفي بهـم حر الجحيم الحاطمـة

المصطفى والمرتضـى وابـناهما وفـاطمـة

(منه رحمه الله)

الأخبار المتعلقة بالعقائد لنعرف ما نتيقنه بنحو القطع من طرقه كالتواتر، كبيعة الغدير مثلاً، أو كونه مستفيضاً كعلمهم عليهم السلام بالغيب بتعليم الله إياهم، أو كونه من ضروريات الدين أصولاً وفروعاً كتنزيه الله عن كل نقص، وتنزيه أنبيائه عن كل ذنب عندنا مطلقاً، وعند غيرنا من المسلمين على تفصيلٍ. ومن الفروع: كون صلاة الظهر أربعاً مثلاً، وصيام شهر رمضان مثلاً، والمحرمات المعلومات ضرورة كالزنا واللواط والخمر مثلاً.

وتارة يكون من ضروريات المذهب الشيعي، كعصمة الآل الطاهرين علي وولده وزوجته الزهراء عليها السلام.

ومن الفروع: تحليل المتعة، ووجوب المسح على الرجلين في الوضوء، واستحباب التعزية، والزيارة، والسجود على التربة... وأمثال ذلك من ضروريات المذهب.

وما سوى ذلك من الفروع نتعبد به اجتهاداً أو تقليداً أو احتياطاً وإن كان بطريق الظن؛ لانسداد باب العلم[1]، (عجل الله تعالى فرج فاتحه)، وما يعود إلى الأصول الاعتقادية ما لم نقطع به فنتدين بواقعه إن لم يعارض الكتاب والسنة القطعية والعقل السليم وإجماع الطائفة الشيعية، فإن عارض ألغي، وقد تعرّضنا لذلك في غير موضع من كتبنا.

---

١) أريدُ به العلم القطعي الواقعي، لا انسداد باب العلم والعلمي التعبدي، كحجية الخبر الواحد حسب ما حققه أكثر المحققين. (منه رحمه الله).

في بطلان تفويض المفوضة الملعونين

فمما يجب إلغاؤه، وهو ما تمسك به الغلاة والمفوضة من القول بتفويض الله تعالى أمر الخلق والرزق وتدبير العباد لهم عليهم السلام على نحو الاستقلال، فإنه ـ مع استحالته عقلاً ـ مردود بالآيات والأخبار الكثيرة الصريحة في براءتهم عليهم السلام من ذلك، ولعنهم قائليه.

فمن ذلك ما في (البحار) عن (العيون) عن الرضا عليه السلام حين خاطبه المأمون بقول الناس فيهم عليهم السلام بالغلو، قال ما نصه: «**حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب** عليه السلام **قال: قال رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم**: لا ترفعوني فوق حقي فإن الله (تبارك وتعالى) اتخذني نبياً، قال الله (تبارك وتعالى): ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**[1].

وقال علي عليه السلام: «**يهلك في اثنان ولا ذنب لي: محب مُفْرط ومبغض مفَرّط، وإنا لنبرأ إلى الله ممن يغلو فينا فيرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم من النصارى... إلخ**».

---

١) سورة آل عمران، الآيتان ٧٩ ـ ٨٠.

وفيه قال عليه السلام: «**فمن ادعى للأنبياء ربوبية وادعى للأئمة ربوبية أو نبوة أو لغير الأئمة إمامة، فنحن بَراءٌ منه في الدنيا والآخرة**»[١]. انتهى.

وفيه أيضاً: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إياكم والغلو فينا، قولوا: إنا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم**»[٢]. انتهى.

وفيه أيضاً في خبرٍ عن الصادق عليه السلام: «**اجعلونا مخلوقين وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا... إلخ**»[٣].

وفيه أيضاً دعاء الرضا عليه السلام: «**اللهم إني أبرأ من الحول والقوة، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم إني أعوذ بك وأبرأ إليك من الذين ادّعوا لنا ما ليس لنا بحق، اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا، اللهم لك ومنك الرزق، وإياك نعبد وإياك نستعين، اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين، اللهم لا تليقُ الربوبية إلا بك، ولا تصلح الإلهية [الألوهية] إلاّ لك، فالعن النصارى والذين صغّروا عظمتك، والعن المضاهئين لقولهم من بريّتك، اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك، لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، اللهم من زعم أنا أرباب فنحن منه بَراءٌ، ومن زعم أن إلينا الخلق والرزق فنحن بَراءٌ منه كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، اللهم إنا لم ندعُهم إلى ما**

---

١) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ١٣٥.

٢) ن، م.

٣) ن، م، ص ٣٤٣.

يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يدّعون، ولا تدع على الأرض منهم ﴿دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾»[١]. انتهى.

وفيه أيضاً عن كتاب (الاحتجاج) توقيعٌ من مولانا وإمام زماننا وصاحب عصرنا أبي القاسم المهدي ابن الحسن المنتظر (عليه الصلاة والسلام، وعجل الله فرجه)، كتبه جواباً لكتاب كُتب إليه على يد محمد بن علي بن هلال الكرخي، وفيه أدلة قوية على ما نقوله، ولما فيه من الخصوصية للتشوق بخروجه، فنفسي تتشوق أن أنقله كله فإليك نصه: «**يا محمد بن علي، تعالى الله** (عز وجل) **عمّا يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره كما قال في محكم كتابه** (تبارك وتعالى): **﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾**[٢]**، وأنا وجميع آبائي من الأولين ـ آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من النبين، ومن الآخرين محمد رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب والحسن والحسين وغيرهم من مضى من الأئمة** (صلوات الله عليهم أجمعين) **ـ إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري عَبيدُ الله** (عز وجل)، **يقول الله** (عز وجل): **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**

---

١) ن، م.

٢) سورة النمل، الآية ٦٥.

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾[١].

يا محمد بن علي، قد آذانا جُهلاء الشيعة وحمقاؤهم، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه، وأشهد الله ـ الذي لا إله إلاّ هو وكفى به شهيداً ـ ومحمداً رسوله، وملائكته، وأنبياءه، وأولياءه، وأشهد كل من سمع كتابي، أني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنا نعلم الغيب، أو نشارك الله في ملكه، أو يحلنا محلاً سوى المحل الذي نصّبه الله لنا وخلقنا له، أو يتعدى بنا ما قد فسرته لك وبينته في صدر كتابي، وأشهدكم أن كل من نتبرأ منه فإن الله يبرأ منه وملائكته ورسله وأولياؤه، وجعلتُ هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتمه من أحد من مواليَّ وشيعتي حتى يظهر على هذا التوقيع الكل من الموالي؛ لعل الله (عز وجل) يتلافاهم فيرجعون إلى دين الله الحق، وينتهوا عما لا يعلمون منتهى أمره، ولا يبلغ منتهاه، فكل من فهم كتابي ولم يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته، فلقد حلّت عليه اللعنة من الله وممن ذكرتُ من عباده الصالحين»[٢]. انتهى.

---

١) سورة طه، الآيات ١٢٤ ـ ١٢٦.

٢) ن، م، ٢٦٦ ـ ٢٦٨، وانظر: الاحتجاج: ج ٢ ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

في بيان ما ينفى وما لا ينفى من علم الغيب عنهم عليه السلام

قال الشيخ المجلسي رحمه الله :

بيان:

المراد من نفي علم الغيب عنهم: أنهم لا يعلمونه من غير وحي وإلهام، وأما ما كان من ذلك فلا يمكن نفيه؛ إذ كانت عمدة معجزة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام الإخبار عن المغيبات، وقد استثناهم الله تعالى في قوله: ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[1]. انتهى.

فتدبره، فإنه قمين[2] بذلك، وكم في الكتاب من أسرار تحير بها الأفكار قد انكشفت بأخبار أئمتنا الأبرار، ومما في الكتاب المذكور مما هو صريح في المطلوب: ما نقله عن (العيون): ماجيلويه، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ياسر الخادم، قال: قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في التفويض؟ فقال: «**إن الله (تبارك وتعالى) فوض إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أمر دينه فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ فأما الخلق والرزق فلا**، ثم قال عليه السلام: إن الله تعالى خالق شيء وهو يقول (عز وجل) : **﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** »[3].

---

١) ن، م، ص ٢٦٨.

٢) قمين من (قَمَنَ) وتعني جدير. الصحاح: ج ٦ ص ٢١٨٤.

٣) ن، م، ص ٣٢٨، وانظر: عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٢١٩.

فتبصر فيه فإنه يوقفك على الحق الواضح لما فيه من التصريح بالتفريق بين التفويض الممنوع والمقبول، وهو ديننا معشر الشيعة كما صرح به غير واحد من علمائنا الأخيار، منهم: الصدوق والمفيد وأضرابهما، فبذلك تعرف أن ليس لنا إلاّ ما أفاده أئمتنا الأطهار عليهم السلام، وإن شئت فراجع الفصل المعقود في التفويض ومعانيه من (البحار)، وهو يشتمل على ثلاثين خبراً أو أكثر وفيها أخبارٌ صحاح.

ومما في (البحار) أيضاً: ما رواه رحمه الله عن الصدوق في (الفقيه): «وقد فوض الله (عز وجل) إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أمر دينه ولم يفوض إليه تعدي حدوده»[(١)].

ومما فيه عن (الكافي): الحسين بن محمد، عن المعلى، عن عبد الله بن إدريس، عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: «يا محمد، إن الله (تبارك وتعالى) لم يزل متفرداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورها إليهم، فهم يُحلون ما يشاؤون ولن يشاءوا إلاّ أن يشاء الله (تبارك وتعالى) لم يزل متفرداً بوحدانيته... ثم قال: يا محمد، هذه الديانة التي مَن تقدمها مرق ومن تخلف عنها مُحق، ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد»[(٢)]. انتهى.

---

١) ن، م، ص ٣٤٩، وانظر: من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٤١.

٢) ن، م، ص ٣٤٠، وانظر: الكافي: ج ١ ص ٤٤١.

ثم عقبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببيان جليل طويل فإليك مرادنا منه:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأجرى طاعتهم عليها»: أي أوجب وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السماويات والأرضيات كشق القمر وإقبال الشجر وتسبيح الحصى وأمثالها مما لا يُحصى.

«وفوض أمورها إليهم»: من التحليل والتحريم والعطاء والمنع، وإن كان ظاهرها تفويض تدبيرها إليهم.

«فهم يحلون ما يشاؤون»: ظاهره تفويض الأحكام كما سيأتي تحقيقه. وقيل (ما شاؤوا) هو ما علموا أن الله أحله كقوله تعالى: ﴿**وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ مع أنه لا يفعل إلاّ الأصلح كما قال: «ولن يشاؤوا».

والدين و«الديانة»: الاعتقاد المتعلق بأصول الدين.

«مَن تَقدمها»: أي تجاوزها بالغلو.

«مرق»: أي خرج من الإسلام.

«ومن تخلف عنها»: أي قصّر ولم يعتقدها.

«مَحقَ» على المبني للمعلوم أي أبطل دينه، أو على المجهول: أي بطل.

«ومن لزمها واعتقد بها لحق» : أي لحق بالأئمة، وأدرك الحق.

«خذها إليك» : أي احفظ هذه الديانة لنفسك[1]. انتهى.

---

١) ن، م، ص ٣٤١ ـ ٣٤٢.

الحمد لله الذي جعلنا من الحافظين، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنتهدي لولا أن هدانا الله، فشكر الله واجب على جميع المؤمنين، فما بعد نعمة الإيجاد إلاّ نعمة الدين، وإن هذا والله لدين الله الحصين.

في الفرق بين الغلو والتقصير

وينبغي لكل شيعي أن يستضيء به كي يكون من المهتدين الفائزين. وكيف كان فالمقصود أن دين الشيعة كلهم الذي هو حق اليقين، هو أن محمداً وآله (صلى الله عليهم) مخلوقون مربوبون مفتقرون في كل آن لإمداد الواجب (جل وعلا) في كل حركة وسكون، فهم في هذا القدر كسائر الممكنات، والكل مفتقر إليه تعالى في المنشأ والبقاء والإمداد في جميع الأعمال «**مِنْ أَيْنَ لِيَ الخَيْرُ يارَبِّ وَلا يُوجَدُ إلاّ مِنْ عِنْدِكَ! وَمِنْ أَيْنَ لِيَ النَّجاةُ وَلا تُسْتَطاعُ إِلاّ بِكَ**» وتفاوت البريات في الشرف والفضل ما هو إلا من استعداد الذوات للخير والعمل بالطاعات، وكون محمد وآله أقرب الخلق لله تعالى من المسلّمات، وإن اختلف علماء الشيعة في مراتب قربهم باختلاف عباراتهم وتفاوت أفهامهم ودرجات علومهم، فلكلٍ من ذلك نصيبه المقدور، وهدفهم الوحيد نفي الغلو عن نبيهم ﷺ وأئمتهم عليهم السلام.

ولكنهم رضي الله عنهم بسبب تفاوت درجاتهم في العلم يختلفون، وربما كان النزاع صغروياً؛ لعدم تحرير محل النزاع، فلا يتنقح الموضوع. وربما كان كبروياً؛ لغلط في بعض الأنظار، فلا عصمة إلا من الله، وقد خص بها من أوجدهم معصومين، فهم لم يزالوا حججاً بعنايته مسددين.

ومنشأ اختلاف آراء علماء العصابة المحقة تفاوت الأخبار من تنافيها واختلاطها بسبب تفاوت الأحوال والرجال، فمن ضعيف وقوي وصحيح وحسن وموثق، أضف إلى ذلك اختلاف مراتب العقول فيما تناله من فهم الأخبار جودة وضعفاً، وفيما تحققه من علم الحكمة الإلهية مما تخصصه بالحقيقة المحمدية، وكلٌ منهم يرى نفسه مكلفاً بتعظيم محمد وآله، ومعرفة فضلهم وتنزيههم عن الربوبية، فمنهم من يشتد تعلق غرضه بالتنزيه بكل جهده فيؤدي حرصه على ذلك إلى التقصير في حقهم عليهم السلام خطأ منه في النظر، كالشيخ الصدوق رضي الله عنه وشيخه ابن الوليد، فإنهما رضي الله عنهما جوّزا الإسهاء من الله تعالى لا السهو الذي يكون من الشيطان في غير ما يتعلق بالتبليغ وبيان الأحكام، وهو كما ترى.

وكفى في رده مخالفته إجماع الطائفة المحقة(١).

قال الشيخ المجلسي رحمه الله بعد ذكر هذا، وذكر العلماء: أن خروجهما لا يخل بالإجماع؛ لكونهما معروفي النسب(٢).

وقال الشيخ المفيد رضي الله عنه ـ بعد ذكر معنى هذا القول ونسبته للشيخ محمد بن الحسن بن الوليد ـ ما نصه: فإن صحت هذه الحكاية منه فهو

---

١) استدراك، وفيه تخصيص: يختص إجماعهم رضي الله عنه بغير المباحات والمكروهات، بل بما يتعلق بالواجبات والمحرمات، أما غير ذلك.. فأكثرهم ـ أيضاً ـ على نفي السهو فيه، كذا ذكره الشيخ المجلسي في بابه، وسيأتي لذلك مزيد إيضاح إن شاء الله. (منه رحمه الله).

٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٣٥١.

مقصّر... ثم أخذ في بيان التقصير والمقصرين، إلى أن قال: ويكفي في علامة الغلو نفي القائل به عن الأئمة عليهم السلام سمة الحدوث وحكمه لهم بالألوهية والقِدَم[(١)]. انتهى.

في بيان اتفاق العلماء على تنزيههم عليهم السلام عن الربوبية

وبهذا تعرف أن مرادهم (أعلى الله مقامهم) المتسالم عليه عندهم وهو تنزيههم عليهم السلام عن الربوبية والحكمة لهم بالافتقار في كل مزية مع قصور الأفكار عن معرفة قدرهم عند بارئهم كما أشارت إليه عدة من الأخبار كما قدمنا، فمنها: عن كامل التمار عن أبي عبد الله عليه السلام: «**اجعلوا لنا رباً نؤوب إليه وقولوا فينا ما شئتم**» . قال: قلت: نجعل لكم رباً تؤوبون إليه ونقول فيكم ما شئنا؟! قال: فاستوى جالساً ثم قال: «**عسى أن نقول ما خرج إليكم من فضلنا إلا أَلِفٌ غير معطوفة**»[(٢)].

ففضلهم عليهم السلام عند ربهم كبير، فإنه وآله تحت قيودات ربهم لا يتخطوا عنها شعرة، لأن ذلك لازم للعبودية الكاملة وليست إلا لهم عليهم السلام، ولذلك فوض إليهم ربهم أمر الدين كما جاء في الأخبار الكثيرة، ومنها ما قدمناه آنفاً وأشرنا لجملة من عددها، ولكن ينبغي أن نفهم معناه ونحلله من طريق العلم والدراسة، وقد ذكرنا في ذلك وجهين تقدما آنفاً، أحسنهما ثانيهما، ولنوضح ذلك بالبيان مما أفاده شيخنا الجليل المجلسي رحمه الله فإنه قد

١) ن، م، ص ٣٤٦، وانظر: تصحيح اعتقادات الإمامية: ص ١٣٦.

٢) مختصر بصائر الدرجات: ص ٥٩.

حرر كلاماً جليلاً في التفويض بقسميه، ولما ذكر التفويض في أمر الدين قسّمه إلى وجهين، فإليك نص ثانيهما وهو المراد، قال رحمه الله:

وثانيهما: أنه تعالى لما أكمل نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بحيث لم يكن يختار من الأمور شيئاً إلا ما يوافق الصواب، ولا يحل بباله ما يخالف مشيئته تعالى في كل باب، فوَّض إليه تعيين بعض الأمور كالزيادة في الصلاة، وتعيين النوافل في الصلاة والصوم وطعمة الجد، وغير ذلك مما مضى وسيأتي؛ إظهاراً لشرفة وكرامته عنده، ولم يكن أصل التعيين(١) إلا بالوحي، ولم يكن الاختيار إلا بإلهام، ثم كان يؤكد ما اختاره صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي، ولا فساد في ذلك عقلاً، وقد دلت النصوص المستفيضة عليه مما تقدم في هذا الباب، وفي أبواب فضائل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ...(١). انتهى.

---

١) هكذا نصه رضي الله عنه، وظاهره التعارض مع التفويض له صلى الله عليه وآله وسلم مستقلاً فالتفويض الاستقلالي لابد وأن لا يكون بوحي خاص في الأمر المعين، وإنما يكون في أصل التفويض بمعنى أن الله أعلمَ بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأني قد فوضتُ إليك التصرف فيما لم أوُحهِ إليك بنبأ خاص، وذلك لاستعداد الذات المحمدية في قبولها للفيوضات الإلهية.

وكذلك قوله رضي الله عنه: (لم يكن الاختيار إلاّ بإلهام)، فإن أردنا من الإلهام كونه قسماً من الوحي الخاص، تحققت المعارضة، فلابد أن يُوجه إلى كمال الحقيقة المحمدية بالتكميلات الإلهية، فالاختيار منه صلى الله عليه وآله وسلم يكون بإشراقات ربانية واتصالات روحانية يحصل بها أن لا يختار صلى الله عليه وآله وسلم إلا ما يوافق الإرادات الربانية. وما ذكرناه من التعارض سهو من قلمه رحمه الله . (منه رحمه الله).

١) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٣٤٨.

ولَعَمري إن شيخنا الجليل لم يألُ جهداً في كل ما حرره، وإنه لباب جليل اشتمل على أربع وعشرين آية من الكتاب العزيز ـ كما أشرنا ـ وسبعة وعشرين خبراً، وقد قدمنا للقرّاء خمسة أخبار حسبما اجتبيناه.

وأنت خبير بأن آية واحدة من الكتاب العزيز كافية في وجوب طاعته ﷺ والتفويض إليه، ولكن شيخنا الجليل بالغَ في تأكيد حجج الله تعالى في إقامة الدين، وجمع الخير للمؤمنين بحفظ أخبار أئمتهم المعصومين عليهم السلام، فهو ـ جزاه الله خيراً عنا وعن المؤمنين ـ قد جرى في هذا المنوال، ولم يزل يجتهد في جمع ما يتأتى له.

النظرة السابعة

في حرمة إيذائه ﷺ ووجوب تكريمه وتوقيره ﷺ وقد جاء في ذلك شيء كثير كتاباً وسنة

فمن شريف ما حرر الشيخ المجلسي رحمه الله: (الباب الرابع عشر) وعنوانه (في (أداب العشرة معه ﷺ وتفخيمه وتوقيره ﷺ)، فقد جمع فيه من كتاب الله المجيد ما يقارب اثنتي عشرة آية أو أزيد، فلنحرر منه ما تيسر لنا بمدد ربنا تعالى مما فيه بغيتنا؛ شرفاً وذخراً، فإليك المراد:

١ـ (سورة الأحزاب) قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧)﴾**[1]، تفسيرها: أن الذين

---

١) مؤدى هذا الكلام أورده أمين الإسلام في (المجمع: [ج ٨ ص ١٨١]) في تفسير الآية المذكورة، وعقّبه برواية من طريق أهل السنة، تناسب الموضوع، فإليكها حرفياً: حدثنا السيد أبو الحمد، قال: حدثنا الحكم أبو القاسم الحسكاني، قال: حدثنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أبي دارم الحافظ، قال: حدثنا علي بن أحمد العجلي، قال: حدثنا عباد بن يعقوب، قال: حدثنا أرطاة بن حبيب، قال: حدثنا أبو خالد الواسطي ـ وهو آخذ بشعره ـ قال حدثني زيد بن علي بن الحسين ـ وهو آخذ بشعره ـ قال: حدثني علي بن الحسين عليه السلام ـ وهو آخذ بشعره ـ قال: حدثني الحسين بن علي عليه السلام ـ وهو آخذ بشعره ـ قال: حدثني علي بن أبي طالب عليه السلام ـ وهو آخذ بشعره ـ قال:

يؤذون الله ورسوله، قيل هم المنافقون والكافرون والذين وصفوا الله بما لا يليق به وكذبوا رسله وكذبوا عليه، وإن الله (عز وجل) لا يَلحقه أذى، ولكن لما كانت مخالفة الأمر فيما بيننا يسمى إيذاءً خوطبنا بما نتعارفه.

وقيل معناه: يؤذون رسول الله، فقدم ذكره على وجه التعظيم، إذ جعل أذى رسوله أذىً له، تشريفاً له وتكريماً. ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ﴾ أي يبعدهم الله من رحمته ويحل بهم وباء نقمته بحرمان زيادات الهدى في الدنيا والخلود [في النار] في الآخرة، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾ أي مذلاً...

٢ـ (سورة النور) قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا(٦٣)﴾ ، تفسيرها: لا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضاً في جواز الإعراض والمساهلة في الإجابة والرجوع بغير إذن، فإن المبادرة إلى إجابته واجبة، والرجعة بغير إذنه محرمة. وقيل: لا تجعلوا نداءه

حدثني رسول الله ﷺ ـ وهو آخذ بشعره ـ فقال: «**من آذى شعرة منك فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فعليه لعنة الله تعالى**».

وفي كتاب (ينابيع المودة) [ج ٣ ص ١٣٩ و ١٤٠] في الباب الخامس والستين، عن كتاب (فصل الخطاب) ما نصه: وفي الحديث: «**حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي**». و «**من اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها، فأنا أجازيه غداً إذا لقيني**». وفيه في حديث طويل عن النبي ﷺ منه: «**ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله**». «**ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة**». انتهى. (منه رحمه الله).

وتسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه، ورفع الصوت والنداء وراء الحجرات، ولكن بلقبه المعظم، مثل: يا نبي الله، ويا رسول الله، مع التوقير والتواضع وخفض الصوت. أو: لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تُبالوا بسخطه فإنه مستجاب، ولا تجعلوا دعاءه لله كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده أخرى، فإن دعاءه مجاب. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآَتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [١].

تفسير ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾: قال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ فإذا رأوا مَن جاءهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله أن يَفسح بعضهم لبعض. وقال المقاتلان[١]: كان رسول الله ﷺ في الصف والمكان الضيق وذلك يوم الجمعة، وكان رسول الله

---

١) سورة الجادلة، الآيات ١١ ـ ١٣.

١) المراد بالمقاتلَين: المفسّران، فالتثنية للاسم معرّفة بأل صحيحة بلا إشكال. ولعل المراد بهما: مقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان. (منه رحمه الله).

ﷺ يكرم أهل بدر، وفيهم ثابت بن قيس بن شمّاس، وقد سبقوا في المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ وقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فردَّ عليهم النبي ﷺ، ثم سلَّموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينظرون إلى القوم فلم يفسحوا لهم، فشقّ ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان، قم يا فلان، بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، وعرف الكراهية في وجوههم، وقال المنافقون للمسلمين: ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس، فو الله ما عدل على هؤلاء، إن قوماً أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه مقامهم، فنزلت الآية.

والتفسح: التوسع في المجالس وهو مجلس النبي ﷺ، وقيل: مجالس الذكر كلها.

﴿**فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ**﴾، فتوسعوا يوسع الله عليكم في الجنة. ﴿**وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا**﴾ ارتفعوا وقوموا ووسّعوا على إخوانكم. ﴿**فَانْشُزُوا**﴾ أي افعلوا ذلك.

وقيل معناه: وإذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة والجهاد وعمل الخير فانشزوا ولا تقصروا، وإذا قيل لكم ارتفعوا في المجلس وتوسّعوا للداخل فافعلوا، وإذا نودي للصلاة فانهضوا.

وقيل: وردت في قوم كانوا يطلبون المكث عنده ﷺ فيكون كل واحد منهم يحب أن يكون آخر خارج، فأمرهم الله أن يقوموا.

﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ قال ابن عباس: يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات.

وقيل معناه: لكي يرفع الله الذين آمنوا منكم بطاعتهم لرسول الله ﷺ درجة، والذين أوتوا العلم بفضل علمهم وسابقتهم درجات في الجنة. وقيل: درجات في مجلس رسول الله ﷺ، فأمره الله سبحانه أن يُقرّب العلماء من نفسه فوق المؤمنين الذين لا يعلمون، ليتبين فضل العلماء على غيرهم.

في بيان آية النجوى

﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾، أي إذا ساررتم الرسول فقدموا قبل أن تسارّوه صدقة، وأراد بذلك تعظيم النبي ﷺ وأن يكون ذلك سبباً لأن يتصدقوا فيؤجروا، وتخفيفاً عنه ﷺ.

قال المفسرون: لما نُهُوا عن المناجاة حتى يتصدقوا ضنَّ كثير من الناس، فكفوا عن المسألة فلم يناجه أحد إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام. قال مجاهد: وما كان إلاّ ساعة. وقال مقاتل: كان ذلك ليالٍ عشر، ثم نُسخت بما بعدها، وكانت الصدقة مفوّضة إليهم غير مقدّرة.

وقال البيضاوي: عن علي عليه السلام قال: «إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري، كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم».

﴿ذَلِكَ﴾ أي التصدق ﴿خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أي لأنفسكم من الريبة وحب المال، وهو يشعر بالندبية، لكن قوله ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي لمن لم يجد ـ حيث رخص لنفي المناجاة بلا تصدق ـ أدل على الوجوب[1].

انتهى مرادنا من الآيات.

وبعد ذكره رحمه الله بقية التفسير، حرر ما يشفي الصدور في توقيره واحترامه صلى الله عليه وآله وسلم من الأخبار الدالة على الأمر بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم منه ومن آله المعصومين عليهم السلام، وقد ذكرنا منه في صدر كتابنا[2] نبذة وافرة عنه حرِّرت في المقام الثالث من المقامات في الكلام على الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم ذكر رحمه الله ما يصرح بشدة توقيره من فعل الصحابة واعتراف أكابر العلماء والأئمة من أهل السنة، وحثّ أئمتنا المعصومين عليهم السلام على ذلك، وفي خلال ذلك أخبار، فإليك من ذلك ما نجتبيه، فمنه: ما رواه عاصم الكوزي عن أبي عبد الله عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من ولد له أربعة أولاد ولم يسم أحدهم باسمي فقد جفاني**»[1]. انتهى.

وفيه أيضاً كلام عن القاضي في (الشفا) وهو كلام جليل طويل، ومنه:

---

١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٢٥ ـ ٢٦.

٢) تفسير البيضاوي: ج ١ ص ٤٤.

١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٢٩، وانظر: الكافي: ج ٦ ص ١٩ ب (الأسماء والكنى) ح ٦.

واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازمٌ كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته.

وفيه: عن ابن حُميد قال: ناظر أبو جعفر المنصور مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله (عز وجل) أدّب قوماً فقال: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ... الآية﴾. ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ وذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِين يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ ، وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً.

وقال مصعب بن عبد الله: قال مالك: ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفرّ، وما رأيته يحدّث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، وقد كنت أختلف إليه زماناً فما كنت أراه إلاّ على ثلاث خصال: إما مصلياً، أو صامتاً، وإما يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعبّاد الذين يخشون الله (عز وجل).

وفيه أيضاً: ما رواه عن الرضا عليه السلام قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه عن جده عليه السلام عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ في قبةٍ من أدم وقد رأيت بلالاً الحبشي وقد خرج من عنده ومعه فضل وضوء رسول الله ﷺ، فابتدره الناس، فمن أصاب منه شيئاً مسح به وجهه ومن لم يصب منه

شيئاً أخذ من يد صاحبه ومسح به وجهه، وكذلك فُعل بفضل وضوء أمير المؤمنين عليه السلام[١]. انتهى.

وبه انتهى مرادنا من الباب المذكور.

---

١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٣٣.

النظرة الثامنة

في لزوم العصمة وتحقيقها والخلاف في تعريفها
وفي ذلك تنقيحات طريفة في دفع الشبهات
عما يوهم خلافها من الآيات

لقد ذكر الشيخ المجلسي رحمه الله في الباب الخامس عشر عنوان (عصمته صلى الله عليه وآله وسلم وتأويل ما يوهم خلافها) وذكر مما يتشبّبث به المرتابون والمشككون آياتٍ من الكتاب العزيز، وفسرها بالتفسير الصحيح الجلي الدافع لكل شبهة، وذلك من أقوال أكابر علماء المسلمين من الشيعة والسنة، وكثير من الآيات مصدّر بقضية شرطية، وهي تَصدُق مع كذب الطرفين، فالإشكال منتقض من أساسه بانتفاء موضوعه، وإنا جميعاً معشر الشيعة لفي غنىً عن ذلك؛ لما يلزمنا ضرورياً من الاعتقاد بلزوم عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام من كل الذنوب، ظاهرها وباطنها، من حين كونهم إلى موافاة ربهم (صلوات الله عليهم)، والأدلة على ذلك محكمة تُطلب في محلها، وقد بسطنا الكلام على

ذلك في لزوم عصمة الإمام في الشعاع العشرين من (النظرة النفسية)[١]، وحررنا فيه من كلام أكابر علمائنا ما يشفي الصدور.

ومنه: تحقيقهم في تفسير قوله تعالى: ﴿**قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ وما جرى من أدلةٍ في وجوب عصمة الإئمة ما هو إلا فرعٌ من أدلة عصمة الأنبياء، وعلى الأخص السيد الأكبر رسول الله ﷺ، فهو الإمام العام، «اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ، ونَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وصَفِيِّكَ مِنْ عِبَادِكَ، إِمَامِ الرَّحْمَةِ، وقَائِدِ الْخَيْرِ ، ومِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ»[٢] كلمات سجادية يلزم القارئ المتبصر أن يستنير بنورها ويكرر قراءتها للخير والبركة. فلذا كررناها مع أنا قدمناها في أثناء الكتاب وشرحناها، وتقدمت منا إشارة إلى وجوب عصمة الأنبياء ودفع الشبهات عن ذلك في الكلام على الخبر العلوي، ولكن رغبة في مزيد الخير، نحرر بعضاً من ذلك مما لم نذكره هناك، فنقول:

يكفينا منه كمال المرسَل إذ من المستحيل على الواجب الكامل المطلق أن يرسل رسولاً غير كامل، إذ من الواضح عدم كمال حجته على الخلق بالرسول الناقص عن درجة الكمال. وأيضاً من لم يكن معصوماً في كل الحالات من أول كونه إلى آخر عمره فليس بصالح للسفارة الإلهية. وفي هذا كفاية.

---

١) من ص ١٢٩ إلى ص ١٥٤، الطبعة الثانية، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م، دار كميل.

٢) الصحيفة السجادية: الدعاء الثاني، في الصلاة على النبي ﷺ .

وما ورد عليه من الشُبه الموهومة ـ في أي كتاب ـ تؤول بما يوافق الصحيح من وجوب تنزيه المعصوم عن كل رذيلة، وقد أشرنا إلى حسم تلك الشبه بالتأويل الصحيح من أكابر علماء الفريقين، فابتغاءً لمزيد الفائدة والشرف بالخدمة النبوية، نحرر من ذلك بعضاً مما نصطفيه، ففي كل واحد من الأجوبة رد حاسم للشبه.

قال تعالى: ﴿**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾.

قال الرازي في (تفسيره): اختلف المفسرون في أن المخاطب بهذا الخطاب من هو؟ فقيل: هو النبي ﷺ، وقيل: هو غيره، فأما من قال بالأول فاختلفوا فيه على وجوه:

[**الوجه**] **الأول**: أن الخطاب مع النبي ﷺ في الظاهر، والمراد غيره كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ**﴾ وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾ وكقوله: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ وكقوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿**أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ**﴾، ومن الأمثلة المشهورة: إياكِ أعني واسمعي يا جارة.

والذي يدل على صحة ما ذكرناه وجوه:

الأول: قوله تعالى في آخر السورة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي**﴾، فبين أن المذكور في أول الآية على سبيل الرموز هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح.

والثاني: أن الرسول لو كان شاكاً في نبوة نفسه لكان شكُ غيره في نبوته أولى، وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية.

والثالث: أنه بتقدير أن يكون شاكاً في نبوة نفسه فكيف يزول ذلك الشك بإخبار أهل الكتاب عن نبوته! مع أنهم في الأكثر كانوا كفاراً، وإن حصل فيهم من كان مؤمناً، إلا أن قوله ليس بحجة لا سيما وأن تقرَّرَ ما في أيديهم من التوراة والإنجيل مصحّف محرّف، فثبت أن الحق هو أن هذا الخطاب وإن كان في الظاهر مع الرسول ﷺ إلا أن المراد هو الأمة، ومثل هذا معتاد، فإن السلطان الكبير إذا كان له أمير، وكان تحت راية ذلك الأمير جمع، فإذا أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص فإنه لا يوجّه خطابه إليهم بل يوجه ذلك الخطاب إلى ذلك الذي أمّره عليهم؛ ليكون ذلك أقوى تأثيراً في قلوبهم.

[الوجه] الثاني: أنه تعالى علم أن الرسول لم يشك في ذلك إلا أن المقصود أنه متى سمع هذا الكلام فإنه يصرح ويقول: يا رب لا أشك ولا أطلب الحجة من قول أهل الكتاب، بل يكفيني ما أنزلته عليّ من الدلائل الظاهرة، ونظيره قوله تعالى للملائكة: ﴿**أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ**﴾، وكما قال لعيسى عليه السلام: ﴿**أَأَنْتَ قُلْتَ**﴾ والمقصود منه أن يصرح عيسى بالبراءة من ذلك، فكذا هنا.

[الوجه] الثالث: أن محمداً ﷺ كان من البشر وكان حصول الخواطر المشوشة والأفكار المضطربة في قلبه من الجائزات[1]، وتلك الخواطر لا

١) نعم هي من الجائزات بما هو بشر إمكاناً، لكنها ممنوعة وقوعاً؛ لتسديد ربه إياه من حين تكوينه في عالم الأنوار، وأما تنظيره بقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ..﴾ فعليها فائدة من أمين الإسلام رحمه الله تناسب المقام، فإليكها، قال: فليس قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ على وجه الشك بل المراد به النهي عن ترك أداء الرسالة والحث على أدائها كما يقول أحدنا لغيره، وقد علم من حاله أن يطيعه ولا يعصيه ويدعوه غيره إلى عصيانه: لعلك تترك بعض ما آمرك به لقول فلان، وإنما يقول ذلك ليبأس من يدعوه إلى ترك أمره، فمعناه لا تترك بعض ما يوحى إليك. انتهى. [انظر: مجمع البيان: ج ٥ ص ٢٤٥].

ولا يتوهم نقص الذات الأحمدية، وإنما هو إشعار بأنه ﷺ ممكن حدوثاً وبقاءً لا يستغني عن ربه طرفة عين.. فبهذا ـ أي كمال الذات الأحمدية ـ تعرف أن ما التزم به أكثر المحققين من كونه ﷺ متعبداً لله قبل بعثته بالنبوة ـ لاتصاله بالفيوضات الإلهية من حين وجوده ـ هو الحق الصريح الثابت بالأدلة النقلية مع مساعدة العقل السليم اللازمة لأفضليته ﷺ على جميع المخلوقات؛ لكونه أول صادر، كما يقول به الفريقان. وقد صرح الشيخ المجلسي رحمه الله بجملة منها في تذنيبٍ عقده في آخر الباب الثاني من أبواب أحواله ﷺ، وقد ذكر فيه المثبتين والنافين والمتوقفين، ثم صرح رحمه الله بما نصه: فإذا عرفتذلك فاعلم أن الذي ظهر لي من الأخبار المعتبرة والآثار المستفيضة هو أنه ﷺ كان قبل بعثته مذ أكمل الله عقله في بدو سنه نبياً مؤيداً بروح القدس يكلمه الملك... ثم ذكر مبعثه بعد كمال الأربعين حتى قال: وكان يعبد الله قبل ذلك بصنوف العبادات، إما موافقاً لما أمر به الناس بعد التبليغ وهو أظهر، أو على وجه آخر. [انظر: بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٧٧].

تندفع إلاّ بإيراد الدلائل وتقرير البينات، فهو تعالى أنزل هذا النوع من التقريرات حتى تزول تلك الوساوس بسببها، ونظيره قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾.

وأقول[١] تمام التقرير في هذا الباب: أن قوله: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ فافعل كذا وكذا، قضية شرطية، والقضية الشرطية لا إشعار فيها ـ البتة ـ بأن الشرط وقع أو لم يقع، ولا بأن الجزاء وقع أو لم يقع، بل ليس فيها إلا بيان ماهية ذلك الشرط، مستلزمة لماهية ذلك الجزاء فقط، فالفائدة في إنزال هذه الآية تكثير الدلائل وتقويتها ما يزيد في قوة اليقين وطمأنينة النفس، وسكون الصدر، ولهذا السبب أكثر الله تعالى في كتابه من تقرير دلائل التوحيد والنبوة. انتهى.

وبعد انتهاء الرابع[٢] قال:

فمن أدلته على تعبده صلى الله عليه وآله وسلم: كون عيسى نبياً في المهد، وكذلك يحيى في صباه، وتعليمه هو وآله عليهم السلام الملائكةَ التسبيح والتهليل في عالم الأنوار، فراجعه تجد خيراً. (منه رحمه الله).

١) هذا كلام العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٤٨.

٢) الرابع: أن المقصود استمالة قلوب الكفار وتقريبهم من قبول الايمان ، وذلك لأنهم طالبوه مرة بعد أخرى بما يدل على صحة نبوته، وكأنهم استحيوا من تلك المعاودات والمطالبات ، فصار مانعا لهم من قبول الايمان، فقال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ منمن نبوتك فتمسك بالدليل الفلاني، يعني إن أولى الناس أن لا يشك في نبوته هو نفسه، ثم مع هذا إن طلب هو من نفسه دليلا على نبوة نفسه بعد ما سبق من الدلائل الباهرة فإنه ليس فيه عيب، ولا يحصل بسببه نقصان، فإذا لم يستقبح ذلك منه في حق

الخامس: أن يكون التقدير: أنك لست بشاك البتة، ولو كنت شاكاً لكان لك طرق كثيرة في إزالة ذلك الشك كقوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾، والمعنى: لو فرض ذلك الممتنع واقعاً لزم منه المحال الفلاني، وكذلك هاهنا لو فرضنا وقوع هذا الشك فارجع إلى التوراة والإنجيل لتعرف بهما أن هذا الشك زائل، وهذه الشبهة باطلة.

السادس: قال الزجاج: إن الله تعالى خاطب الرسول ﷺ وهو يتناول الخلق كقوله: ﴿**إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ**﴾، قال القاضي: هذا بعيد لأنه متى قيل الرسول ﷺ داخل تحت هذا الخطاب فقد عاد السؤال.

السابع: أن لفظ (إن) للنفي، يعني لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك، لكن لتزداد يقيناً كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى يقيناً، وأما الوجه الثاني وهو أن يقال: هذا الخطاب ليس مع الرسول ﷺ، وتقريره: أن الناس في زمانه كانوا فِرَقاً ثلاثة: المصدقون به، والمكذبون له، والمتوقفون في أمره، فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال: فإن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد ﷺ فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته ﷺ، وإنما وحّد الله تعالى الخطاب وهو يريد الجمع كما في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ**﴾ و ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ**﴾، ولمّا ذكر لهم ما يزيل ذلك الشك عنهم حذّرهم من أن يلتحق

نفسه فلان لا يستقبح من غيره طلب الدلائل كان أولى، فثبت أن المقصود بهذا الكلام استمالة القوم وإزالة الحياء عنهم في تكثير المناظرات. انتهى. (أدرجناه لتتميم الفائدة).

بالقسم الثاني وهم المكذبون، فقال: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

ثم اختلفوا في أن المسؤول عنه من هم؟ فقال المحققون: هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري وكعب الأحبار؛ لأنهم هم الذين يوثق بخبرهم. ومنهم من قال: الكل، سواء كانوا من المسلمين أم الكفار؛ لأنهم إذا بلغوا عدد التواتر ثم قرأوا آية من التوراة أو الإنجيل، وتلك الآية دالة على البشارة بمحمد ﷺ فقد حصل الغرض.

فإن قيل: إذا كان مذهبكم أن هذه الكتب قد دخلها التحريف والتغيير، فكيف يمكن التعويل عليها؟

قلت: إنما حرفوها بسبب إخفاء الآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ، فإن بقيت فيها آيات دالة على نبوته ﷺ كان ذلك من أقوى الدلائل على صحة نبوته ﷺ؛ لأنها لما بقيت مع توفر دواعيهم على إزالتها دل ذلك على hنها كانت في غاية الظهور.

وأما أن المقصود من ذلك السؤال: معرفة أي الأشياء، ففيه قولان:

الأول، أنه القرآن ومعرفة نبوة الرسول. والثاني: أنه رجع ذلك إلى قوله تعالى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾.

والأول أولى؛ لأنه هو الأهم والحاجة إلى معرفته أتم.

واعلم إنه تعالى لما بين هذا قال بعده: ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[1].

والمعنى: ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة: أن ما أتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية، فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله أي أثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية وانتفاء التكذيب. ويجوز أن يكون ذلك على سبيل التهييج وإظهار التشدد، ولذلك قال ﷺ عند نزوله: لا أشك ولا أسأل، أشهد إنه الحق[1].

وذكر الطبرسي أكثر تلك الوجوه، وقال بعد إيراد الوجه الأول من الوجوه: الوجه الذي ذكره الرازي: وروي عن الحسن وقتادة وسعيد بن جبير أنهم قالوا: إن النبي ﷺ لم يشك ولم يسأل، وهو المروي أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام... ـ إلى قال بعد إيراد الوجوه في سؤال أهل الكتاب ـ وقال الزهري: إن هذه الآية نزلت في السماء، فإن صح ذلك فقد كفي المؤنة. ورواه أصحابنا أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام، وقيل: أيضاً: إن المراد بالشك: الضيق والشدة بما يعانيه من تعنّتهم وأذاهم، أي إن ضِقت ذرعاً بما تلقى من أذى قومك ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، كيف صبر الأنبياء على أذى قومهم فاصبر[2]. انتهى[3].

---

١) التفسير الكبير: ج ١٧ ص ١٦٠ ـ ١٦٣.

٢) مجمع البيان: ج ٥ ص ٢٢٦.

٣) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٥١.

وهذه الجملة كافية ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ فإن ما فيها من الحجج الجلية حاسم لكل شبهة تُشين العصمة النبوية، وما أرى هذه الأدلة الواضحة إلا متفرعة من الشجرة الأحمدية.

ومنها: الإشارة في آخرها إلى الرواية الصادقية، فينبغي أن نتشرف بما يؤيد ذلك من الأخبار المروية عن العترة الطاهرة الزكية، إذ هم المرجع في كل معضلة ومشكلة، فإليك من ذلك خمسة؛ وفاقاً للعدد المبارك لأهل آية التطهير:

الأول: عن تفسير علي بن إبراهيم عن الصادق عليه السلام: «**إن الله بعث نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بإياك أعني واسمعي يا جارة**»(١).

الثاني: فيه أيضاً: عن الحسن بن محبوب عن الشمالي عن أبي الربيع قال: سأل نافع أبا جعفر عليه السلام فقال: أخبرني عن قول الله ﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آَلِهَةً يُعْبَدُونَ**﴾، من ذا الذي سأل محمدٌ رسول الله، وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة؟ قال: فتلا أبو جعفر هذه الآية: « ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا**﴾، **فكان من الآيات التي أراها الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ـ حين أسرى به إلى بيت المقدس ـ أن حشر الله الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيل فأذن شفعاً وأقام شفعاً ثم قال في إقامته: حي على خير العمل، ثم تقدم محمد صلى الله عليه وآله وسلم**

١) تفسير القمي: ج ١ ص ١٦.

فصلى بالقوم، فأنزل الله عليه: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آَلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ ، فقال لهم رسول الله ﷺ: على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله، أخذت على ذلك مواثيقنا وعهودنا». قال نافع: صدقت يا ابن رسول الله، يا أبا جعفر(١).

الثالث: الصدوق عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن الحسن بن الحسين بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمير، رفعه إلى أحدهما عليهما السلام في قوله الله (عزّ وجل) لنبيه ﷺ: **﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾**. قال: **«قال رسول الله ﷺ : لا أشك، ولا أسأل»**(٢).

الرابع: عن المظفر العلوي عن ابن العياشي عن أبيه عن علي بن عبد الله عن بكر بن صالح عن أبي الخير عن محمد بن حسّان عن محمد بن عيسى عن محمد بن إسماعيل الداري عن محمد بن سعيد الأذخري ـ وكان ممن يصحب موسى بن محمد بن الرضا ـ أن موسى أخبره أن يحيى بن أكثم كتب إليه يسأله عن مسائل فيها: وأخبرني عن قول الله (عز وجل): **﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾** فإن المخاطب بذلك رسول الله ﷺ، ولم يكن في شك مما أنزل الله (عز

---

١) تفسير القمي: ج ٢ ص ٢٨٥.

٢) علل الشرائع: ص ١٣٠ باب ١٠٧ ح ٢.

وجل)، ولكن قالت الجهلة: كيف لا يبعث إلينا نبياً من الملائكة، إنه لم يفرّق بينه وبين غيره في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق، فأوحى الله (عز وجل) إلى نبيه ﷺ: ﴿**فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ بمحضر من الجهلة: هل يبعث الله رسولاً قبلك إلاّ وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ولك بهم أسوة، وإنما قال: ﴿**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ**﴾ ولم يكن، ولكن ليُنصفهم كما قال له ﷺ: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾، ولو قال تعالى: (نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم)، لم يكونوا يجيبون للمباهلة، فقد عرف أن نبيه ﷺ مؤدي عنه رسالته وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي ﷺ أنه صادق فيما يقول، ولكن أحب أن ينصف من نفسه»[1].

الخامس: العياشي عن عبد الصمد بن بشير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾، قال: لما أسري بالنبي ﷺ ففرغ من مناجاة ربه رد إلى البيت المعمور ـ وهو بيت في السماء الرابعة بحذاء الكعبة ـ فجمع الله النبيين والرسل والملائكة وأمر جبرئيل فأذن وأقام وتقدم بهم فصلى، فلما فرغ التفت إليه فقال: ﴿**فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾[2]. انتهى.

---

١) علل الشرائع: ص ١٢٩ باب ١٠٧ ح ١، تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٢٨.

٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٢٨.

فتدبر في هذه الأخبار وما حُرر قبلها، ففي ذلك تبصرة نيرة ماحية لظُلَم الأوهام المتعلقة بالحضرة الأحمدية، مع أنك قد عرفت ما أشرنا إليه آنفاً من الدليل المحكم على العصمة، وأخالُك لا تقنع بالإجمال فتطلب بعض التفسير، فقد أشعرناك أيضاً بما حررناه في ذلك في (النظرة النفسية)، ولكني أظن أن طالب الحقائق يرغب في تعجيل البر، فلنذكر من ذلك شيئاً مما ذكره بعض أكابر علمائنا غير ما ذكرناه: ذكر العلامة جمال الدين الحلي رحمه الله تعريف العصمة عند المتكلمين والخلاف في ذلك في (شرح التجريد) للشيخ المحقق نصير الدين الطوسي رحمه الله ، فلنحرر من ذلك ما نجتبيه:

قال العلامة رحمه الله ما نصه: والمصنف رحمه الله اختار المذهب الثاني وهو أن العصمة لا تنافي القدرة، بل المعصوم قادر على فعل المعصية وإلا لما استحق المدح على ترك المعصية، ولا الثواب، ولبطل الثواب والعقاب في حقه، فكان خارجاً من التكليف، وذلك باطل بالإجماع وبالنقل في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**﴾. انتهى من التذييل في الباب المذكور[١].

وفي الموضوع ذاته كلام جليل للشريف العظيم المرتضى علم الهدى من كتاب (الغرر والدرر) قد وجه فيه أسئلة عن حقيقة العصمة وتعريفها وما يصح من ذلك وما لا يصح، والدليل عليها ودفع الشبهة عنها واختصاص أهلها بها، فإليك جوابه (أعلى الله مقامه):

---

١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٤٩٤.

قال رضي الله عنه: الجواب: اعلم أن العصمة هي اللطف الذي يفعله الله تعالى فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح. وعلى هذا: فإن الله عصَمَه بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح، ويقال: إن العبد معصوم، لأنه اختار عند هذا الداعي الذي فعل له الامتناع من القبيح. وأصل العصمة في موضع اللغة: المنعُ، يقال: عصمتُ فلاناً من السوء إذا منعتُ من حلوله به، غير أن المتكلمين أجروا هذه اللفظة على من امتنع باختياره عند اللطف الذي يفعله الله تعالى به لأنه إذا فعل به ما يعلم أنه يمتنع عنده من فعل القبيح فقد منعه من القبيح، فأجروا عليه لفظة المانع قهراً وقسراً، وأهل اللغة يتعارفون ذلك أيضاً ويستعملونه؛ لأنهم يقولون فيمن أشار على غيره برأي فقبله منه: مختاراً واحتمى بذلك من ضرر يلحقه وسوء يناله: أنه حماه من ذلك الضرر ومنعه وعصمه منه، وإن كان ذلك على سبيل الاختيار.

فإن قيل: أفتقولون فيمن لطف له بما اختار عنده الامتناع من فعل واحد قبيح: إنه معصوم؟

قلنا: نقول ذلك مضافاً ولا نطلقه، فنقول: إنه معصوم من كذا، ولا نطلق فيوهم أنه معصوم من جميع القبائح. ونطلق في الأنبياء والأئمة عليهم السلام العصمة بلا تقييد؛ لأنهم لا يفعلون شيئاً من القبيح، بخلاف ما تقوله المعتزلة من نفي الكبائر عنهم دون الصغائر.

فإن قيل: فإذا كان تفسير العصمة ما ذكرتم أفلا عصم الله جميع المكلفين وفعل بهم ما يختارون عند الامتناع من القبائح؟

قلنا: كل من علم الله تعالى أن له لطفاً يختار عنده الامتناع من القبائح فإنه لابد أن يفعل به وإن لم يكن نبياً ولا إماماً، لأن التكليف يقتضي فعل اللطف، على ما دل عليه في مواضع كثيرة، غير أنه لا يمتنع أن يكون في المكلفين مَن ليس في المعلوم أن شيئاً[١] متى فُعل[٢] اختار عنده الامتناع من القبيح، فيكون هذا المكلف لا عصمة له في المعلوم ولا لطف، وتكليف من لا لطف له يحسن ولا يقبح، وإنما القبيح منع اللطف فيمن له لطف مع ثبوت التكليف، فأما قول بعضهم: (إن العصمة هي الشهادة من الله تعالى بالاستعصام) فباطل؛ لأن الشهادة لا تجعل الشيء على ما هو به، وإنما تتعلق به على ما هو عليه، لأن الشهادة هي الخبر، والخبر عن كون الشيء على صفة لا يؤثر في كونه عليها، فتحتاج أولاً إلى أن يتقدم لنا العلم بأن زيداً معصوم أو معتصم، ونوضح من معنى ذلك، ثم تكون الشهادة من بعد مطابقة لهذا العلم، وهذا بمنزلة من سُئل عن حد المتحرك؟ فقال: هو الشهادة بأنه متحرك، أو المعلوم أنه على هذه الصفة. وفي هذا البيان كفاية لمن تأمل[٣]. انتهى.

ويتلوه ما قاله الشيخ الصدوق ﵁ في (عقائده) ما نصه: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس،

---

١) الظاهر أن شيئاً له أوفق بالأعراب. (منه ﵀).

٢) (وكذلك فعل) ينبغي أن تكون (فعله). (منه ﵀).

٣) رسائل الشريف المرتضى: ج٣ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٧.

وأنهم لا يذنبون ذنباً لا صغيراً ولا كبيراً، و ﴿**لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر، واعتقادنا فيهم أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم، من أوائل أمورهم وأواخرها لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل(١)، انتهى.

وإليك شرحه من الشيخ المفيد، قال رحمه الله ما نصه: العصمة من الله لحججه(٢) هي التوفيق واللطف والاعتصام من الحجج بهما من الذنوب، والغلط في دين الله، والعصمة تفضل من الله تعالى على من علم أنه يتمسك بعصمته، والاعتصام فعل المعتصم، وليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح، ولا مضطرة للمعصوم إلى الحَسن، ولا مُلجئة له إليه، بل هي الشيء الذي يعلم الله تعالى أنه إذا فعله بعبدٍ من عبيده لم يؤثر معه معصية له، وليس كل الخلق يعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلك: هم الصفوة والأخيار. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى**﴾، وقال

---

١) الاعتقادات في دين الإمامية: ص ٩٦.

٢) وإليك تعليق الشيخ الجليل الواعظ الحاج عباسقُلي الجرندابي التبريزي، بما نصه:

قال المصنف قدس سره في رسالة (النكت الاعتقادية [ص١٢٨]) : فإن قيل: ما حد العصمة؟

فالجواب: العصمة لطف يفعله الله بالمكلف بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهما. فإن قيل: ما الدليل على أنه معصوم من أول عمره إلى آخره؟ فالجواب: الدليل على ذلك: أنه لو عهد منه السهو والنسيان لارتفع الوثوق منه عند إخباراته، ولو عهد منه خطيئة لتنفرت العقول من متابعته فتبطل فائدة البعثة. (منه رحمه الله).

سبحانه: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾، والأنبياء والأئمة(١) من بعدهم معصومون في حال نبوتهم وإمامتهم من الكبائر كلها والصغائر، والعقل يجوّز عليهم ترك مندوب إليه على غير التعمد لا التقصير والعصيان، ولا يجوز عليهم ترك مُفتَرضٍ، إلا أن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب والمفترض قبل حال إمامتهم وبعدها.

ثم قال رحمه الله :

فصل: فأما الوصف لهم بالكمال في كل أحوالهم فإن المقطوع به كمالهم في جميع أحوالهم التي كانوا فيها حججاً لله تعالى على خلقه، وقد جاء الخبر بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام من ذريته كانوا حججاً لله تعالى منذ أكمل عقولهم إلى أن قبضهم، ولم يكن لهم قبل أحوال التكليف أحوال نقص وجهل، فإنهم يجرُون مجرى عيسى ويحيى عليهما السلام في حصول الكمال لهم مع صغر السن وقبل بلوغ الحلم، وهذا أمر تجوّزه العقول ولا

---

١) قال المصنف قدس سره في رسالة (النكت الإعتقادية[ص ٤٠]): فإن قيل: ما الدليل على أن الإمام يجب أن يكون معصوماً؟ فالجواب: الدليل على ذلك من وجوه: الأول: أنه لو جاز عليه الخطأ لافتقر إلى إمام آخر يسدده، ثم تنقل الكلام إليه فيتسلسل، أو يثبت المطلوب. الثاني: أنه لو جاز عليه فعل الخطيئة، فإن وجب الإنكار عليه سقط محله من القلوب فلا يتّبع، والغرض من نصبه اتّباعه، فينتقض الغرض، وإن لم يجب الإنكار عليه سقط وجوب النهي عن المنكر، وهو باطل. الثالث: أنه حافظ للشرع فلو لم يكن معصوماً لم تؤمن منه الزيادة والنقصان. (منه رحمه الله).

تُنكره، وليس إلى تكذيب الأخبار سبيل، والوجه أن نقطع على كمالهم عليهم السلام في العلم والعصمة في أحوال النبوة والإمامة، ونتوقف فيما قبل ذلك، وهل كانت أحوالَ نبوةٍ وإمامةٍ أم لا[١]...

ونقطع على أن العصمة لازمة منذ أكمل الله عقولهم إلى أن قبضهم عليهم السلام[٢].

انتهى كلامه، زيد في علو مقامه.

[ثناء المؤلف على الصدوق وتحقيقه في كلامه]

أقول: لقد أجاد بما أفاد، وكفاه رحمه الله فخراً شهرته بلقبه (المفيد) لقّبه به صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف كما ذكره ابن شهر آشوب[٣]، وإن هذا الكلام جليلاً

١) وقال أيضاً في التعليق على الفصل ما نصه: في هذه العبارة تأمل عن غموض: ويحتمل أن يكون عطفاً على ما قبل ذلك، فيكون المراد التوقف في أمرين: الأول: الحكم بكمال العلم والعصمة قبل البعثة وتصدي الإمامة. الثاني: الحكم بفعلية الاتصاف بالنبوة والإمامة قبل ذلك. ويحتمل أيضاً أن تكون الواو زائدة أو مستأنفة، وكان تعليلاً للحكم بالتوقف في كمال العلم والعصمة. وحاصل المعنى: يلزم أن نتوقف في الحكم بكمالهم في العلم والعصمة قبل البعثة وتصدي الإمامة بعلة الشك في اتصافهم بالنبوة والإمامة قبل ذلك. (منه رحمه الله).

٢) تصحيح اعتقادات الإمامية: ١٢٨ ـ ١٣٠.

٣) معالم العلماء: ص ١١٣ رقم ٧٦٥، والظاهر أنه يعني ما ورد في التوقيع الشريف: «للأخ السديد والولي الرشيد الشيخ المفيد» الاحتجاج: ج ٢ ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨.

وشكك السيد الخوئي رحمه الله في هذا، بناء على أن تسميته بالمفيد كانت من قبل علي بن عيسى الرماني حيث قال له بعد مناظرة بينهما: أنت المفيد حقاً، وكون التوقيع صادراً في أواخر حياة الشيخ المفيد. وإنما لقب الشيخ المفيد في عنفوان شبابه. معجم رجال

فيه تحقيق قمين بالنظر فيمن تبصر فيه بنور بصيرة صحيحة من الميول والعواطف، استنبط منه ما يومئ إلى دفع بعض ما يَرد عليه من الأشاكيل، فمنها: توقفه رحمه الله باتصافهم عليهم السلام بكل الكمالات قبل التكليف كما صرح به، وقرر ذلك الواعظ في تعليقه بتأمله في عبارة الشيخ رحمه الله حتى تردد في إعرابها، مع أن المعنى واحد، حاصلة: التشكيك في كمالهم بالعلم والنبوة والعصمة قبل تكليفهم، وهو كما ترى. وأنه رحمه الله قد أشار إلى دفع ذلك بقوله: بل المعلوم منهم ذلك فهم الصفوة الأخيار.

فهذا صريح في استعداد ذوات أولي العصمة لكل كمال، وقد استشهد على ذلك بالآيات والأخبار المذكورة، فليتدبر قوله: "وليس إلى تكذيب الأخبار سبيل"، وبعده فما أعرف عذراً له في التوقف، إلاّ أن حصول القطع في الضمائر بفعل الخالق الجليل (جلّ وعلا)، وإن كانت أسبابه بقدرة العبد، واللازم على مثلي وأمثالي الخضوع لهذا المفيد العظيم، والتصاغر عن الغوص في لجج بحر علمه التيار، ونفي التغليط له في عقيدته بإيكال ذلك إلى معرفته، وإن كنّا لسنا متوقفين في اتصاف المعصومين بالكمال منذ وجود أنفسهم الزكية في عالم الأظلة والأنوار؛ لأن ذوات الأنبياء والأئمة علة تامة للنبوة والإمامة، لكونها في أعلى مراتب الحُسن والطيب، وللسيد

الحديث: ج ١٧ ص ٢٠٩ - ٢١٠. وهو اعتراض منه رحمه الله على علي ابن شهرآشوب رحمه الله ، إذ ليس في التوقيع ما يوحي أن صاحب عجل الله تعالى فرجه الشريف الزمان هو الذي لقبه به.

الأكبر رسول الله ﷺ أعلاها. هذا ما عليه أكثر أهل التحقيق كما أفاده الشيخ علي الخُنيزي رحمه الله في (رد الصراع).

كما أن السعادة والشقاوة من لوازم ذوات أهلها غير أن الاقتضاء فيها لم يبلغ رتبة العلّية، وهو أيضاً متفاوت في ذويها تفاوتاً كثيراً كما ذكره غير واحد من الأعلام المحققين. وقد بسطنا في غير موضوع من كتابنا (النظرات) كلاماً جليلاً طويلاً في ذلك[١]، ذكرنا فيه أقوال عدة من الأعلام، منهم الآخوند الملاّ محمد كاظم الخراساني في (الكفاية)، وتلميذه وخرّيجه الشيخ عبد الحسين الكاظمي في كتابه (الهداية في شرح الكفاية)، ومرجعنا العام ففيه عصرنا السيد محسن الطباطبائي الحكيم رحمه الله في تعليقته عليها، والشيخ محمد علي القمي في تعليقته عليها أيضاً، والشيخ العظيم الحجة كاشف الغطاء في (دعوته) وغيرهم من المتأخرين، فعلى ما ذكروه تكون العصمة من لوازم وجود المعصوم لازمة له لزوماً مساوياً لذاته المقدسة بنحو العلّية، حيث لا تنفك عن وجوده الشريف آناماً، فهي ليست إبداعَ شيء لشيء، أي جعلاً تأليفياً، بل المراد أن الله خلق النبي نبياً والإمام إماماً، لا أنه خلق ذات النبي وخلق لها النبوة، وكذلك الإمام. والعصمة من لوازم النبوة والإمامة، كذلك لا تنفك عنها آناماً.

ثم إني أفدتك بالاعتماد في صريح هذا البيان في أخذه نصاً عن كثير من المحققين ـ ممن لم أذكر أسماءهم ـ بنقل الحجة الخنيزي، وأما من

---

١) أي السعادة والشقاوة. (منه رحمه الله).

ذكرتُ أسماءهم فلم أقف على صريح كلامهم في العصمة والنبوة والإمامة، غير أن التدبر في كلامهم في السعادة والشقاوة يقضي باستنباط ذلك باللزوم البيّن، بل ربما يظهر في كثير من عبائرهم معنى ذلك بالدلالة التضمنية، بل قد يحصل ذلك المعنى في بعض العبارات بالدلالة المطابقية.

ولعل القارئ يتعجّل الحقائق فيرغب في بعضٍ من ذلك، فمن أجله أذكر كلمة للشيخ الآخوند المتقدم الذكر رحمه الله وقد تضمنت النبوي المشهور، قال رحمه الله في حل عويصة الجبر والاختيار من الجزء الأول من (الكفاية) ما نصه: قلت: العقاب إنما يستتبعه الكفر والعصيان، التابعان للاختيار الناشئ عن مقدماته الناشئة عن شقاوتهما الذاتية اللازمة لخصوص ذاتهما، «فإن السعيد سعيد في بطن أمه، والشقي شقي في بطن أمه»[١]، و «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة»[٢] كما في الخبر، والذاتي لا يعلل[٣]، فانقطع السؤال: أنه لِمَ جُعِلَ السعيد سعيداً والشقي شقياً؟[٤].

قال رحمه الله في الجزء الثاني:

١) بهذا المضمون في توحيد الصدوق: ص ٣٥٦ ب ٥٨ ح ٣.

٢) الكافي: ج ٨ ص ١١٧ ح ١٩٧.

٣) أي كل ما لا يمكن تخلّفه عن الذات ولأن اقتضاؤه ذاتي، فوجوده لا يفتقر إلى علّة، لأنّ منشأ الافتقار إلى العلّة هو الإمكان، والنار بذاتها تقتضي الحرارة، فلا معنى لئن نقول: لماذا النار اليوم حارة؟

٤) كفاية الأصول: ص ٦٨ في مبحث الطلب والإرادة من بحث الأوامر.

لأنه كان بسوء سريرته وخبث باطنه بحسب نقصانه واقتضاء استعداده ذاتاً وإمكاناً. وإذا انتهى الأمر إليه يرتفع الأشكال وينقطع السؤال(١).

ويقول السيد محسن الحكيم رحمه الله في التعليق عليه ما نصه:

قوله: (ذاتاً وإمكاناً)، الأول أشار إلى الاستعداد القائم لذاتها، والثاني إلى ما ينتسب بالذات بتوسط الاقتران ببعض الممكنات.

وقوله: (وبذلك أيضاً ينقطع)، إشارة إلى ما ذكَره من كون ما بالاختيار ناشئاً من الاستعداد الذاتي الضروري للذات(٢). انتهى.

فتدبره ينتج لك ما قلناه، فإن الاستعداد الذاتي جارٍ في الشقاوة والسعادة، وأيُّ سعادةٍ أعلى من النبوة والإمامة؟ والعصمة لازمة لهما قطعاً فهي ذاتية البتة، فقد عرفتَ أن الاستعداد الذاتي ضروري الثبوت للذات بل إن الذاتيات ضرورية لثبوت ذاتها.

وقد عرفت أيضاً أن ما ذُكر صريحٌ في حل إشكال الجبر والاختيار، فمن لم يقنع به فليعتصم بعدالة المَلك الجبار، فكماله تعالى المطلق يقضي ذلك عقلاً، وهو تعالى لا يُريد بعباده إلاّ الخير، لكن الذاتي لا يُعلل.

ومن جليل الكلام في هذا المقامك ما قرره السيد الجليل السيد جعفر بحر العلوم المتوفى سنة ١٣٧٨هـ ـ وهو ابن المقدس المرحوم السيد باقر آل

---

١) ن، م، ص ٢١٦، في مبحث التجرّي من بحث الأمارات.

٢) حقائق الأصول: ص ١٧. غير أنه رحمه الله يخالف الآخوند في علّية السعادة والشقاء من الذات، فراجع إن شئت ذلك.

بحر العلوم ـ في شرح قول أمير المؤمنين عليه السلام : «**ولا حجة لي فيما جرى علي فيه قضاؤك، وألزمني فيه حكمك وبلاؤك**» وقد حرّرنا من ذلك طرفاً جليلاً في كتاب (النظرات) المشار إليه آنفاً، فإليك منه كلمةً؛ تعجيلاً للبر، فهي جديرة بالذكر، قال رحمه الله ما نصه:

فليس لك ـ يا ربي ـ إلا إفاضة الوجود الذي هو خير محض... إلى أن قال:ـ وفي الحديث: «**من وجد خيراً فليحمد الله تعالى، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه**»(١): والمراد بالحُكم حكمه تعالى في التكليف، الأول يوم الميثاق قبل تعلق الأرواح بالأبدان، حيث ظهرت ذلك اليوم منه الطاعة والمعصية، فقال (عز شأنه) مشيراً إلى من ظهرت ذلك اليوم منه الطاعة: «**هؤلاء للجنة ولا أبالي**»، وإلى من ظهرت ذلك اليوم منه المعصية «**هؤلاء للنار ولا أبالي**»، انتهى(٢).

أقول: إن المعتصم بعدل الله تعالى لابد وأن يكون من الثابتين على الصراط المستقيم فلا يتأثر لشُبَهِ الملحدين المتشبثين بأوهام تستند إلى متشابهات عندهم، معلومات الحقائق عند الراسخين في العلم، وهي كظاهر هذا الحديث القدسي ونحوه، فلابد أن يعلم المؤمن على اليقين أن ليس المقصود من قوله تعالى: «**ولا أبالي**»، الجبر أو القهر، وإنما ذلك إشعار بأن علمه تعالى محيط بكل الممكنات مما وجد منها في عالم الخارج أو بقي

---

١) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٤٥٤ وأوله:«إنما هي أعمالكم تردُ عليكم، فمن وجد خيراً...».

٢) أسرار العارفين: ص ٢٤٧، طبع ونشر مكتبة فدك ـ قم المقدسة، ١٤٢٨ هـ.

في عالم الإمكان، وعلمه تعالى لا ينقلب جهلاً، والعلم ليس بعلة للمعلوم، وقد أفدناك أن الذاتي لا يعلل.

ودونك القول الفصل من أولي العلم والعدل: ألا وهم مثال باب حطة وسفينة نوح، أهل بيت الرحمة، ففي كتاب (التوحيد) للصدوق رضي الله عنه بسنده إلى ابن أبي عمير قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الشقي من شقى في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه. فقال: الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل عمل الأشقياء، والسعيد من علم وهو في بطن أمه إنه سيعمل عمل السعداء...** إلى آخره»(١).

وقد ذكرناه كله في (النظرات)، وإنه لخبر شريف يشرّف من تدبّره واستضاء بأنواره القدسية على الحق اليقين، ولذلك جعله الحجة كاشف الغطاء من أكبر أدلته المعتمدة في مبحث السعادة والشقاوة في الجزء الأول من (الدعوة الإسلامية)، وإنه لمبحث عظيم، ولقد حققه رحمه الله بالتحقيق البيّن في كلام قوي جليل، فدونك منه كلمات قيّمات، فهي من أحسن الأدلة على مدّعانا.

قال رحمه الله ما نصه: فإن السعادة سعة في الوجود، والوجود ـ كما قالوا ـ خيرٌ محض، والشقاء عدمُ كمالٍ عن موضوع قابل له، والعدم هو الشقاء وهو شرٌ محض، ثم إن هذين الجوهرين كسبيان وذاتيان، أعني أن كل

---

١) التوحيد: ص ٣٥٦ ب ٥٨ ح ٣.

واحد من السعادة ونقيضها يتحصل من أمور ذاتية غير اختيارية، وأمور كسبية[١] إرادية، وهما ثابتان للموجود أزلاً وأبداً...

وأخذ في البيان، وقال: فمنه حصْرُ أصول السعد الحقيقي في العلم وضده الشقاء في الجهل، وإن أكثر الحسنات من الأول وأكثر السيئات من الثاني... ـ إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ ـ فمن حُجب عن بلوغ الغاية التي يقتضيها إسعاده الخصوصي ـ وهي سعادته الخصوصية لاسعادته بحسب نوعه ـ وكان تأخره عنها لتقصير أو توانٍ منه ـ كما هو الغالب أيضاً ـ فلا محالة يعذب تعذيباً يناسبه بحسب حرمانه عن بلوغ مرتبة إمكانه، أو تُدركه عناية خاصة تخفف عنه وطأة هذا العذاب[٢]، انتهى.

وله رَحِمَهُ اللهُ كلمة شريفة ـ وهي من أشرف غايتنا المقصودة ـ علّقها على كلمة(بحسب نوعه) وهي قوله: من هنا يبدو لك نحو تقسيم السعادة إما نوعية أو فردية، والأولى: مجتمع أقصى ما يمكن من الكمالات لذلك النوع في فرد منه، وهذه المرتبة خاصة تحت امتياز أشرف الموجودات وأكمل الممكنات وأفضل الكائنات، وهو روح القطب الحقيقي المطلق، والمرتبة

---

١) هذا بظاهره يشعر أن الكمال لذويه من الممكنات ليس كله ذاتياً فقط، ومنه العصمة، وقد صرح رَحِمَهُ اللهُ بإمكان حصولها حتى لغيره ممن تجب له من الحجج، وذلك لسبب تزكية العبد نفسه بالأعمال الصالحة، فالعصمة ليست عنده ذاتية مطلقاً، وهذا الاستدراك منا تخصيص لإطلاقنا لسابق فيما أشرنا إليه من استنباطنا بما حررناه من كلمات علمائنا في النظرات، وهورَحِمَهُ اللهُ منهم، فلعموم ما ذكرناه لزمنا تخصيصه. (منه رَحِمَهُ اللهُ).

٢) الدين والإسلام: ج ١ ص ٤٥٩ ـ ٤٦٢.

الحتمية والنفس المحمدية (صلوات الله عليه وآله)، لا القطب الإضافي بحسب كل وقت كسائر الأنبياء، ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. والسعادة الفردية: هي بلوغ الفرد إلى ما هو مستعد له بحسب ذاته وبيئته من الكمال.

ثم الفردية إما دنيوية أو أخروية... إلى آخر ما ذكرنا(١). انتهى.

فأنعم بها من كلمة غنية بحسن بيانها عن الإيضاح، فقد أبرزت شمس السعادة بأبهى أنوارها، حيث أشارت إلى علة الإيجاد بما تضمنته من التصريح بمن حاز أعلى السعادة والكمال ألا وهو السيد الأكبر رسول الله خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أول صار فهو أفضل الكائنات عند قاطبة الشيعة، بل عند أكثر المسلمين(١)، وقد تكرر منا هذا التقرير غير

---

١) فممن صرح بتنزيهه صلى الله عليه وآله وسلم عن كل ما يشينه صلى الله عليه وآله وسلم الزمخشري في (كشافه) رداً على من نفى عنه العبادة قبل النبوة، ومحل الشاهد لنا قوله: والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة. انتهى مرادنا من ج٣ ص ٣٤٥ من تفسير قوله ﴿ضالاً فَهَدَى﴾. وهذا مما أشرنا إليه من الدليل على الإلتزام بتعبده صلى الله عليه وآله وسلم قبل النبوة، فلنوضح ما استدل به المجلسي من آيتي عيسى ويحيى عليهما السلام، فنبوتهما عليهما السلام ثابته من القرآن، وكونه صلى الله عليه وآله وسلم أفضل المخلوقين ومنهم الأنبياء يثبت له العبادة لله قبل بعثته من باب الأولوية القطعية، وقد ذكره رحمه الله أدلة سبعة، فلنجتبي مضمون كلمة علوية أنه صلى الله عليه وآله وسلم «من لدن كان فطمياً كان مؤيداً بأعظم ملك يعلمه مكارم الأخلاق». (منه رحمه الله).

١) فممن صرح بتنزيهه صلى الله عليه وآله وسلم عن كل ما يشينه: الزمخشري رداً على من نفى عنه صلى الله عليه وآله وسلم العبادة قبل النبوة، ومحل الشاهد منه قوله: والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل

مرّة لكننا للذته ذكرناه هنا، وإنما المقصود التعبد في سبيل خدمته هنا بالإشارة إلى كون العصمة ذاتية، وحيث إنا أفدناك بمؤداه صريحاً من أكثر المحققين بنقل الحجة الآنف الذكر، وإذ قد عثرتَ على تحقيقه في رأيه بلفظه في كتاب (رد الصراع)، فدونكه حرفياً، فهو جدير بالذكر، فإنه ﵀ حينما تكلم على نفي السهو عن المعصومين ونقل الخلاف في ذلك ما نصه:

والحق عدم جوازه بداهة أن العصمة ليست معنىً نسبياً حتى تُثبت بالنسبة إلى شيء وتُنفى بالنسبة إلى آخر، بل هي معنى حقيقي واقعي، وهو صون من اتصف بها عن الخطأ، فلا فرق بين الخطأ في الحكم الشرعي الكلي والجزئي والأمر العرفي، مع أن التحقيق كونها ليست مجعولة بالجعل البسيط، بمعنى أنها من لوازم الوجود الخاص الشريف، فيخلقها الله بخلقه ويوجدها بوجوده، فهي والوجود الخاص كالافتقار للحيز والجسم، والافتقار المطلق للواجب في الممكن، وذلك يستحيل فيه اعتبار النسب

النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة. انتهى مرادنا. [انظر الكشاف: ج ٤ ص ٧٦٨ في تفسير قوله ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾]. وهذا مما أشرنا إليه من الدليل على الالتزام بتعبّده ﷺ قبل النبوة، فلنوضح ما استدل به المجلسي ﵀ من آيتي عيسى ويحيى ﵉ بأن (نبوتهما ثابتة من القرآن، وكونه ﷺ أفضل المخلوقين ومنهم الأنبياء ـ يثبت له العبادة لله قبل بعثته من باب الأولوية القطعية)، وقد ذكر ﵀ أدلة سبعة، فلنجتبي مضمونَ كلمهِ: (أنه ﷺ من لدن كان فطيماً كان مؤيداً بأعظم ملك يعلمه مكارم الأخلاق). (منه ﵀).

والإضافات، مضافاً إلى استلزام تجويز ذلك التجاسر من الغير وسقوط المرتبة في النفوس، سيما في الأحكام الجزئية(١). انتهى ما أردنا نقله.

وهذا صريح فيما أفدناك به آنفاً من كون العصمة ذاتية عند كثير من المتأخرين، وهو بظاهره خلاف ما حررناه سابقاً من أقوال المتقدمين، لتصريحهم بأن العصمة لطف يفعله الله للمكلف أو يفيضه عليه، ونحو ذلك من العبارت التي يظهر منها أن العصمة جعلية، أي تُفاض بعد الوجود، فهي بهذا المعنى غير المعنى الصريح في التعبير بأن المعصوم وجد معصوماً، فمعناه مساوق للوجود. والظاهر أن هذا المعنى أقرب لكمال المعصوم، فهو أحسم للشبهات الواردة عليه، وأوضح دلالة على نفي السهو عنهم عليهم السلام بكل معناه، حيث إنك قد عرفت عدم تجزّي العصمة الذاتية لكونها بسيطة، والقولان في العصمة ـ وإن تخالفا في كونها جعلية أو ذاتية ـ متوافقان في الاستعداد الذاتي؛ لما عرفته فيما قدم، كما أشعر به قول علم الهدى رضي الله عنه المتقدم الذكر: "كل من علم الله تعالى أن له لطفاً يختار عنده الامتناع من القبائح فإنه لابد أن يفعل به"(٢).

وفي كلام المفيد رضي الله عنه المتقدم قوله: "والعصمة تفضل من الله تعالى على من علم أنه يتمسك بعصمته". ومنه أيضاً قوله رضي الله عنه: "وليس كل

١) الدعوة الإسلامية: ج ١ ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

٢) تقدم في صفحة ١٢٨.

الخلق يعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلك: هم الصفوة والأخيار"[١].

فتدبره فإنا ما كررنا كتابته إلا تسهيلاً للتبصر فيه، فبه وبما تقدمه من كلام المتأخرين يظهر لك ما قررناه من توافقهم (رحمهم الله) على الأهلية الذاتية، كما أنهم متفقون على قدرة المعصوم على فعل الخير والشر وتركهما، لكنه لا يختار غير الخير كما هو معلوم من مقتضى اللطف الإلهي المُفاض عليه الذي انتفى عنه المانع قطعاً، فوصل إلى رتبة الِعِلّيّةِ بحيث لا يتأخر عنه المعلول، وهو فعل الخير وترك الشر.

وبهذا المعنى يتحقق مراد القائل بكون العصمة من لوازم وجودهم الشريف مساوقةٌ له في الوجود، فهم (رحمهم الله) ـ وإن اختلفوا في طريق إفاضتها ـ متسالمون على أثرها المانع من اختيار صاحبها غير الخير.

والإشكال على ذلك بلزوم الجبر مندفع بتمكنه من مشيئته الخير والشر ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ فلنقرّب لك ذلك بقدرة واجب الوجود (جل وعلا) على الظلم، مع امتناعه عنه؛ لكماله المطلق (تعالى وتقدّس)، فقدرته عليه إنما هي بمعنى: إن شاء فعل وإن شاء ترك، وذلك تقديس له تعالى وتنزيه عن الإيجاب، فهو (تعالى وتقدّس) الفاعل المختار.

ولا يُتوهم منّا بهذا التقريب قياس الواجب بالممكن ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ وإنما الغرض دفع استبعاد ذلك من المعصومين، فهم عليهم السلام مفتقرون لخالقهم في كل آن، لا يستغنون عن مدده أبداً، وهذا

---

١) تقدم ص ١٣٠.

المعنى هو القدر الجامع بين القول بالعصمة الجعلية والقول بالعصمة الذاتية، إذ كل منهما لابد فيه من الالتزام بهذا المعنى، فعليه لا فرق بينهما إلا في مقام التحقيق العلمي، أما في النتيجة المترتبة على ذلك فلا فرق في آثارها إلا فيما أشرنا إليه من كون الذاتية أوضح دلالة على الكمال الممكن للممكن، ولازم الكمال نفي السهو مطلقاً، وأصحاب القولين متسالمون على ذلك وإن اختلفوا في الدليل.

النظرة التاسعة

في نفي السهو عن النبي وآله عليهم السلام مطلقاً ودفع الشبهات التي تعلق بها الجمهور ـ من الأخبار ـ وتزييفها وهذا جار في جميع المعصومين من الأنبياء والأوصياء في كل الأمور الوضعية والشرعية، وفيها حاشية فيها كلمة عليه في بيان الاحتجاج بإجماع الشيعة

لا ريب في كون نفي السهو في جميع الأحوال مما يتوقف عليه الوثوق ـ على كل حال ـ من المسلمات عندهم رضي الله عنهم، وقدّمنا فيه مجملاً من القول آنفاً، ويحسن هنا مزيد توضيح ببعض من كلماتهم في بيانه، فمنهم الحجة الخنيزي الآنف الذكر، فله كلام جليل طويل في هذا الموضوع حرره في (رد الصراع)، قال في أثنائه ما نصه:

إن ذلك يفتح باباً للسخرية والهزء من أهل الكتاب والمنافقين عند صدور الأخبار بالمغيبات منه صلى الله عليه وآله وسلم، إذ كيف يجتمع العلم بالمغيبات مع سهوه في الأمور العرفية المحسوسة، وسهوه صلى الله عليه وآله وسلم في نفس عباداته، هذا لعَمّرُك مثار الغمز والسخرية، وليس الأمر كذلك، تعالى الله أن يُجري على أوليائه ـ ولا سيما سيدهم ـ ذلك الأمر.

ثم أخذ في البيان وتزييف ما أوهم ذلك من السنة والكتاب، وقرر أن النسيان المنسوب للأنبياء في الكتاب المقدس، لابد من حمله على غير عزوب الذهن عن الشيء، وقال: إن المفسرين متفقون على ذلك في تفسير قوله تعالى خطاباً لنبيه ﷺ: ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلاَ تَنْسَى﴾...

ثم نقل كلام الزمخشري المعتزلي في ذلك، فدونك محل الشاهد منه:

قال: والغرض نفي النسيان رأساً، كما يقول الرجل لصاحبه: أنت سهيمي فيما أملك إلا فيما شاء الله، ولا يفصل استثناء شيء.. إلخ.

ثم قال الشيخ رحمه الله بعده ما نصه: دل كلامه على كون المختار في النسيان المستثنى ليس هو عزوب الذهن... ـ إلى أن قال ـ وقريب منه أو مثله ما في (مجمع البيان) في المجلد الثاني ص٤٩٦ للطبرسي من الإمامية.

والظاهر أن مرادهم أن الاستثناء هنا استثناء بحسب الذات، وهو لا ينافي الفعل منه بالعارض كإرادته تعالى، ويشهد له التنظير بأهل الجنة والنار كما في (مجمع البيان)، فإن تخليد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار فعليٌ مؤبد بإرادته (عز وجل)، فالاستثناء في الآية ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾[1] بحسب الذات، إذ الخلود في النشأة الأخرى ممكن ذاتي، فالاستثناء بحسبه[2]، انتهى.

---

١) سورة هود، الآية ١٠٨.

٢) الدعوة الإسلامية: ج ١ ص ١٤٤ ـ ١٤٨.

فتبصّر فيه يرشدك نور هُداك إلى جليل الحجج الواضحة والبراهين القاطعة، الحاسمة لشبهات الأوهام، ولو لم تكن فيه إلا شهادة من لا ينزه الأنبياء ـ كتنزيهنا ـ لكفى.

ومما يستحسن لصلاحيته في الدلالة على المدعى ما في من (مجمع البيان) ما أفاده أمين الإسلام في كلامه على تفسير قوله تعالى: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آَيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾[١]، وفيه بيان طويل ذكر فيه وجوهاً، ومحل شاهدنا منه قوله: فالوجه الأول في الآية مروي عن قتادة وهو: أن يكون محمولاً على النسيان الذي هو مقابل الذكر، ويجوز ذلك على الأمة، بأن يؤمروا بترك قراءتها فينسونها على طول الأيام، ولا يجوز ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنه يؤدي ذلك إلى التنفير، كذا ذكره الشيخ أبو جعفر... ثم نقل قول بعض المفسرين بتجويز ذلك حتى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى * إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾[٢]. وأنكر الزجّاج هذا القول، فقال: إن الله تعالى قد أنبأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: ﴿**وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ..... لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ**﴾[١]، بأنه لا يشاء أن يذهب بالذي أوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم [٢]. انتهى.

---

١) سورة البقرة، الآية ١٠٦.

٢) سورة الأعلى، الآيتان ٦ ـ ٧.

١) سورة الإسراء، الآيتان ٨٦ و ٧٣.

٢) مجمع البيان: ج ١ ص ٣٤٠.

وإنه لجيد متين، وهو موافق لما أفاده الشيخ [الخنيزي] من أن المراد بالمشيئة في الآية هو الإمكان الذاتي فقط، أما الفعلية فلم تكن منه تعالى قطعاً، فلابد من تحقق نفي النسيان رأساً.

وقد أفاده البيضاوي أيضاً ـ على ما نقله الشيخ المجلسي في (البحار) في باب السهو ـ وفيه في تفسير هذه الآية كلام جليل نقله عن العالم الأشعري الفخر الرازي، فيحسن تحريرنا نبذة منه؛ إتماماً لحجتنا عليه وعلى من وافقه:

قال (أعلى الله مقامه) ما نصه: أما قوله ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، ففيه احتمالان: أحدهما: أن هذا الاستثناء غير حاصل في الحقيقة، وأنه لم ينسى صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول هذه الآية شيئاً، فذكره إما للتبرك أو لبيان أنه لو أراد أن يصيره ناسياً لذلك لقدر عليه؛ حتى يعلم أن عدم النسيان من فضل الله تعالى، أو لأن يبالغ في التثبت والتيقظ والتحفظ في جميع المواضع، أو يكون الغرض منع النسيان كما يقول الرجل لصاحبه: أنت سهيمي فيما أملك إلا فيما شاء الله، ولا يقصد استثناء[1]. انتهى.

وإنه لحسنٌ جميل، ففيه سرور أهل الحق لما فيه من شعاع نور الهدى باعتراف من لا يوافقنا بكمال النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ومثله ما قاله في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ

---

١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٩٩ ـ ١٠٠.

الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١]، قال المجلسي (أعلى الله مقامه) : قال الرازي في تفسيره: إنه خطاب للنبي ﷺ والمراد غيره[٢]، وقيل: الخطاب لغيره: أي إذا رأيت ـ أيها السماع ـ الذين يخوضون في آياتنا. ونقل الواحدي أن المشركين كانوا إذا جالسوا المؤمنين أوقعوا

---

١) سورة الأنعام، الآية ٦٨.

٢) هذا الذي ذكره أمين الإسلام في (المجمع) في تفسير الآية في الوجه الثاني، ولو بنى عليه رحمه الله فقط لا تنفى الإيراد علينا، وهو الذي ذكره رحمه الله عن الجبائي من تجويزنا التقية على الأنبياء ومنع السهو عنهم عليهم السلام، وتصدى لرده بما معناه: إنا لا نجوز التقية مطلقاً بل نخصها بما قد بينّا سابقاً لإزاحة العلة عن المكلف في تكليفه. وأجاب عن الثاني بمنع السهو في الأداء عن الله فقط، وهو كما ترى؛ لمخالفته إجماع الإمامية إلا من شذ منهم، فإن منع السهو في كل شيء عنهم عليهم السلام أكمل قطعاً، فهو أليق بمقامهم وأقرب لوثوق النفوس بتاً ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم إننا جميعاً معشر الشيعة لا نقبل قول من قال بنسبة الهجر لنبينا ﷺ في مرضه الأخير، بل كل إمامي يرد ذلك، ويجعله من منكرات مخالفيه، وذلك للزوم تنزيه النبي ﷺ عما يعتري من سواه من البشر غير المعصوم، فمنعُ السهو عنه مطلقاً في حال صحته أولى وأولى، ولا يقاس السهو بالنوم والإغماء، فإن المتصف بهما معلوم حاله عند من يراه ويخاطبه، بخلاف السهو، فحيث لا يعلم، يجوز أن يعتمد السامع على قول من اتصف به؛ لعدم علمه، فهو ساقط الحجية، فإذا جوزناه على المعصوم يلزم أن لا نعتمد على الجُلّ من أقواله إن لم نقل الكل؛ لاشتباه الحال على السامع.

وجواب شيخنا للجبائي بأن ذلك خاص بالأحكام، غير تام، فإن النهي عن القعود مع الظالمين من الأحكام لا من الموضوعات، ولا أظن جوابه رحمه الله إلا من سهو قلمه، رزقنا الله ما رزقه من العلم والتقوى. (منه رحمه الله).

في رسول الله ﷺ فشتموا واستهزأوا، فأمرهم أن لا يقعدوا معهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[(١)]. انتهى.

وفي الباب المذكور شهادات قيّمة على المطلوب، فهي ضوء لبصائر الشيعة، فمنها ما قاله شيخ الطائفة ومعتمدها، فإنه بعد تعرضه لأخبار السهو في (التهذيب) زيّفها، ومنه قوله في حديثين منها ما نصه: إن في الحديثين الأولين ما يمنع من التعلق بهما وهو حديث ذي الشمالين، وسهو النبي ﷺ وهذا مما تمنع العقول منه[(٢)].

وقال رحمه الله في (الاستبصار) بعد ذكر خبرين من الأخبار السابقة: مع أن في الحديثين ما يمنع من التعلق بهما، وهو حديث ذي الشمالين وسهو النبي ﷺ، وذلك مما يمنع منه الأدلة القاطعة في أنه لا يجوز عليه السهو والغلط[(٣)]، انتهى.

وقال المحقق الطوسي رحمه الله في (التجريد): ويجب في النبي العصمة؛ ليحصل الوثوق فيحصل الغرض، ولوجوب متابعته، وضدها[(١)] لوجب

---

١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٩٩.

٢) تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ١٨١.

٣) الاستبصار: ج ٢ ص ٣٧١.

١) قال العلامة القوشجي: يعني لو صدر عنه الذنب لزم اجتماع الضدين وهما وجوب متابعته ومخالفته، أما الأول فللإجماع المنعقد على وجوب متابعة النبي ﷺ، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وأما الثاني فلأن متابعة

الإنكار عليه، وكمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأي وعدم السهو وكل ما ينفر عنه من دناءة الآباء وعهر الأمهات والفضاضة والغلظة والأبنة، وما يشبهها، والأكل على الطريق وشبهه.

وقال العلامة الحلي قدس سره في شرح الكلام الأخير: أي يجب في النبي كمال العقل، وهو ظاهر، وأن يكون في غاية الذكاء والفطنة وقوة الرأي بحيث لا يكون ضعيف الرأي متردداً في الأمور متحيراً، لأن ذلك من أعظم المنفرات عنه، وأن لا يصح عليه السهو لئلا يسهو عن بعض ما أمر بتبليغه، وأن يكون منزهاً عن دناءة الآباء وعهر الأمهات، لأن ذلك منفر عنه، وأن يكون منزهاً عن الفظاظة والغلطة لئلا تحصل النفرة عنه، وأن يكون منزهاً عن الأمراض المنفرة نحو الأبنة وسلس الريح والجذام والبرص، وعن كثير من المباحات الصارفة عن القبول منه، القادحة في تعظيمه، نحو: الأكل على الطريق وغير ذلك؛ لأن كل ذلك مما ينفر عنه، فيكون منافياً للغرض من البعثة(١)، انتهى.

وقال العلامة في (المنتهى) في مسألة التكبير في سجدتي السهو: احتج المخالف بما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثم كبّرَ وسَجد» والذجواب على هذا: الحديث عندنا باطل؛ لاستحالة السهو على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

المذنب حرام. انتهى. (منه رحمه الله) . [انظر: شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٥٧ ـ ٣٥٩، وانظر: بحار الأنوار: ج ١١ ص ٩٤ ـ ٩٥].

١) كشف المراد: ص ٤٧١ ـ ٤٧٤.

وقال في مسألة أخرى: قال الشيخ: وقول مالك باطل؛ لاستحالة السهو على النبي صلى الله عليه وآله وسلم [1]. انتهى.

ثم ذكر المجلسي قول الشهيد رحمه الله في كلامه على أخبار سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها: خبر ذي اليدين[2]، وهاك نصه:

قال الشهيد رحمه الله في (الذكرى): وخبر ذي اليدين[3] متروك بين الإمامية؛ لقيام الدليل العقلي على عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن السهو، لم يَصِرْ إلى ذلك غير ابن بابويه رحمه الله[1].

فإذا عرفت ذلك فلنتكلم فيما تقدم من الأخبار، فإنها مع كثرتها مشتملة على سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فحلمها الأكثر على التقية؛ لاشتهارها بين العامة، وبعضهم طرحها؛ لاختلافها ومخالفتها لأصول المذهب من حيث ترك النبي

---

١) منتهى المطلب: ج ٧ ص ٧٨ و ص ٨٤.

٢) هو الخِرباق بن عمرو من بني سليم، وقد سمّاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذا اليدين لطولٍ في يديه، وقيل: كان يعمل بيديه جميعاً. الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ١٦٧، الاستيعاب: ج ٢ ص ٤٧٥، أسد الغابة: ج ٢ ص ١٤٥، المعارف (لابن قتيبة) : ص ٣٢٢.

٣) عن أبي هريرة قال: صلى بنا رسول الله صلاة العصر فسلم من ركعتين، فقام ذو اليدين فقال: أقَصَرْتَ الصلاة يا رسول الله أم نسيت؟ فقال رسول الله: «كل ذلك لم يكن» فقال: قد كان ذلك يا رسول الله، فأقبل رسول الله على الناس فقال: «أصدق ذو اليدين؟» فقالوا: نعم، فأتم رسول الله ما بقي من صلاته، ثم سجد سجدتين وهو جالس. مسند أحمد: ج ٢ ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠، صحيح مسلم: ج ٢ ص ٨٧.

١) ذكرى الشيعة: ج ٤ ص ١١٠.

الصلاة الواجبة وإن كان سهواً، وإخباره بالكذب في قوله: «كل ذلك لم يكن» على ما رواه المخالفون، وعدم الإعادة، مع التكلم فيها عمداً، وفي بعضها مع الاستدبار على ما رووه، ولمخالفتها لموثقة ابن بكير: أن النبي لم يسجد للسهو قط[١]... إلى آخره[٢].

فيا طالب الحق بالتحقيق تبصّر فيه وفيما قبله كي تستنير بصيرتك بأنوار الهدى، فبه تجد أن الحق معنا معشر الشيعة من تنزيه الحجج المعصومين من الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فترى علماءنا ينحون جميعاً نحو هذا الهدف بنحو واحد وإن اختلف اللفظ في التعبير باختلاف التراكيب والعبارات لتفاوت الأسباب، ومنها تعدد الأدلة المتنوعة في الاستدلال، فبذلك تتفاوت وضوحاً وخفاءً بالتفصيل والإجمال.

فمنها: ما تُحال فيه الدلالة للوجدان، كاستحالة المعنى المنفي في العقول، أو مخالفة وجوده للأصول كما أشير إليه في كلام العلامة والشهيد.

ومنها: ما تثبت فيه الحجة بالتناقض العقلي كما عرفتَ من كلام الحجة الخنيزي رحمه الله السابق من تنافي وجود السهو للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مع علمه بالغيب.

فالتهافت فيه بيّن، إذ لو جاز السهو على المخبر بالغيوب لما تحقق الوثوق بذلك، فتنتفي فائدته وما يترتب عليها بتاً، وربما استدعى الاستدلال

---

١) عن ابن بكير، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام : هل سجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سجدتي السهو قط؟ فقال: «لا، ولا يسجدهما فقيه». تهذيب الأحكام: ج ٢ ص ٣٥١.

٢) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ١٠٩ ـ ١١١.

إلى تحرير شبهة الخصوم كي تدفع حلاً أو نقضاً، وبذلك يظهر لك السر فيما ذكره علماؤنا من الأخبار العامية في السهو، ومنهم الشيخ المجلسي رحمه الله فقد نقل في هذا الباب جملة منها، وتصدى لردها تارة بكلمات قيّمة من كبار علمائنا وتارة بإجماعهم رضي الله عنهم، ولا شك في حجية إجماعم؛ لدخول إمام الزمان الحجة المعصوم فيه، فلطف الله(١) قاضٍ به، وقد عرفت

---

١) هذه إشارة لقاعدة اللطف الثابتة عند شيخنا شيخ الطائفة ومن يرى رأيه، وملخصها: أن المجتهدين من المؤمنين متى اجتمعوا على شيء من فروع الدين أو أصوله انكشف موافقة رأي الإمام عليه السلام لهم، وإلا وجب عليه ردعهم بإظهار الحق بأي طريق ولو بإعلام أحد ثقاته الأوحدين بالحق في المسألة، وذلك أن وجوده عليه السلام لطف، فمتى ترك شيعته مجتمعة على باطل كان خلاف اللطف. وهذا مؤدى ما أفاده سيد عصرنا المحسن الحكيم رحمه الله في (حقائق الأصول) [ج ٢ ص١٠٤]، وليس هذا ملازم لقوله بها، بل هو معارض للقائلين بها.

وعلم الهدى رحمه الله ومن يرى رأيه يخالفون الشيخ في سند الحجية، ولكنهم لا يختلفون فيها، إذ لا ريب في حجيته عند جل الشيعة بموافقته لرأي المعصوم دخولاً أو لطفاً أو حدساً، وإن شئت سنداً لما قلنا فدونكه من قول العلامة العلم الشيخ محمد علي القمي الحائري في حاشيته على الكفاية، ونصه [في ص٣٢]:

أقول: لا شبهة في أن الإجماع بما هو اجماع ليس بشيء عندنا كما يقول به مخالفونا، بل حجيته لحاكيه، إنما هو باعتبار العلم به بقول المعصوم دخولاً أو لطفاً أو حدساً ... إلخ.

وهذا القول بهذا الإجماع من حيث الظاهر يفيد العموم للقائلين به.

وفيه استثناء وإشارة للخلاف كما أشرنا إليه، فقد ذكر الشيخ حسن رحمه الله في (المعالم) خلافاً لشذوذ من الناس لا يُعبأ بهم، وقال: إن حجتهم ركيكة واهية فهي بالإعراض عنها أجدر. انتهى.

وقد عرفت إشارتنا إلى الخلاف في سند الحجية، وذكرنا أيضاً لمعةً من حجة الشيخ الطوسي على قاعدة اللطف، فإليك لمعةً ثانية ولعلك تراها جديرة بالذكر، فدونكها مما حررها الحبر الميرزا أبو القاسم القمي في الباب السادس من (القوانين: ص٣٥٠) في التعرض لبيان الوجوه، وذكر الوجه الذي اعتمد الشيخ، قال في أثنائه: إنه اعتمد في ذلك على ما رواه أصحابنا من الأخبار المتواترة من أن الزمان لا يخلو من حجة حتى إن زاد المؤمنون شيئاً ردهم وإن نقصوا أتمه لهم، ولولا ذلك لاختلط على الناس أمورهم.

ثم أشار إلى بيان انحصار العلم بقول المعصوم في قاعدة الشيخ كما لو وجد في الإمامية قول ولم يُعرف له دليل ولم يعرف له مخالفٌ أيضاً، ولكن لم يُعرف مع ذلك أيضاً كونه قول الإمام ومختاره، فقال الميرزا: وحينئذ إنا نعلم أنه قول الإمام ومختاره، لأنه لو لم يكن كذا لوجب عليه أن يظهر القول بخلاف ما أجمعوا عليه ولو كان باطلاً... إلخ.

وفي هذه النبذة من بيان قاعدة اللطف وحجة الشيخ الطوسي فيها كفاية، فيلزم المتفطن فيها التأمل والرعاية.

وأما الوجه الذي لغير الشيخ في الحجية، فدونك نبذة من بيان الشيخ القمي في الكتاب المذكور، قال رحمه الله عند إشارته للوجوه الثلاثة: أولها ما اشتهر بين قدمائهم، وهو أنهم يقولون: إذ اجتمع علماء أمة النبي على قول فهو قول الإمام المعصوم القائم بعده، لأنه من جملة الأمة وسيدها، فإذا ثبت اجتماع الأمة على حكم ثبت موافقته لهم.. إلخ.

وفيه: التفرقة بين العلم بقوله عليه السلام تفصيلاً والعلم به إجمالاً، فالحجية بدخوله عليه السلام فيه.

وبعد ذكر الوجه الثاني ذكر [في ص٣٥٤] العلم برأيه عليه السلام بالحدس، فقال ما نصه: وثالثها ما اختاره جماعة من محققي المتأخرين، وهو أنه يمكن حصول العلم برأي الإمام عليه السلام من اجتماع جماعة من خواصه على فتوىً، مع عدم ظهور مخالف لهم، وكذلك يمكن العلم برأي كل رئيس بملاحظة أقوال أتباعه.

ثم أخذ رحمه الله في البيان حتى مثل لذلك بالإمام الصادق عليه السلام مع خواصه، إلى أن قال: وطريقة ذلك هو الحدس والوجدان.... الخ.

وفيه: أن أدلة كثيرة على ثبوت هذه الطريقة، وقد أيدها رحمه الله بمؤيدات عقلية ونقلية، فإليك منها لمعاً كي يحصل لك التمييز، فإنه حققها وقال [ص ٢٥٥]: لا يجوز إنكارها... حتى قال: بل يمكن أن يُدعى ثبوته في أمثال زماننا أيضاً بملاحظة تتبع أقوال علمائنا...

ثم قال ما معناه: إنا إذا ضممنا فتاوى الفقهاء العدول بعضاً إلى بعض في حكم، أمكن العلم بأنه من رأي إمامهم...

ثم ذكر رحمه الله مؤيدات لذلك، كذكرهم عليهم السلام الإجماع، وذكرهم ذلك الحكم بدون مخالفٍ، والدلالة عليه بأخبار كثيرة صحيحة لم تعارض بخبر صحيح، ومن المؤيدات: قوله "ملاحظة غاية اهتمامهم في نقل الخلافات مع ملاحظة عدم تجويزهم تقليد المجتهدين". ومن المؤيدات: تحريمهم القياس والاستحسان.

وكلما ذكر من ذلك مؤيداً أثبت به وضوحاً، فيزداد ويزداد ويزداد، حتى قال رحمه الله ما مضمونه: إن الدعوة بعدم العلم برأي الإمام مكابرة صرفة...

ثم قال ما نصه: بل الظاهر أن مدار كل من يدعي الإجماع من علمائنا المتأخرين على هذه الطريقة، ولا يتفاوت فيه زمان الغيبة والحضور، على أنه إذا كان يمكن حصول العلم بمذهب الرئيس إلى حد الضرورة كما وصل في ضروريات الدين والمذهب، كوجوب الصلاة والخمس ومسح الرجلين وحلّية المتعتين، فجواز حصول العلم إلى حد اليقين بالنظر أولى...

ومنها: مقايسته النظريات عند المجتهدين بالبديهيات من الدين عند العوام، فكما يجوز حصول الثاني بالشهرة القطعية فكذلك الأول، ومن بيانه تمثيله نجاسة ألف كر من الجلاب بقدر رأس إبرة من البول، فيقرر إن دليل النجاسة منحصر في الإجماع.

ومن بيانه قوله: وفتاوى أهل هذا الدين والمذهب في الغالب من الضروريات أنه مسبوق باليقين النظري فكيف يمكن حصول المسبوق بدون حصول السابق. انتهى.

وإن هذا لجيّد متين، وبيانه رحمه الله مبسوط مطول، وفيه أمثلة غير ما ذكرنا من المسائل الفقهية ممن حصر دليل حكمه في الإجماع وكثيراً ما يقايس النظريات عند العلماء بضروريات

الدين عند العوام؛ وذلك بسبب كثرة التظافر والسماع خلفاً عن سلف بلا نكير، فراجع [من صفحة ٣٥٤ إلى ص٣٥٨] إن شئت ترى الكلام الشافي خصوصاً الوجه الثالث، ولا يسع المقام في تعليقتنا هذه استيعاب البحث، غير أنا استطرفنا من أمثلته نبوياً، فلنتشرف بتحريره، فإنه ﵁ لما قايس سماع العلماء والتظافر عندهم بمثله عند العوام من بديهات الدين، قال ما نصه: ونظير ذلك في المتواترات موجود، فإن التواتر قد يحصل من دون طلب وتتبع كما لو جاء ألف رجل من مكة وأخبروا بوجود مكة، فيحصل العلم اليقيني بذلك للعلماء والنسوان والصبيان، وقد يحتاج ذلك إلى تتبع وإعمال رؤية، كقوله ﵇: «إنما الأعمال بالنيات» على ما ذكروه، فإن اليقين بكونه قولَ النبي ﷺ مختص بالعلماء. انتهى مرادنا مما حرره، وقد عرفت رأيه ﵀ في تقويته هذه الطريقة، وتصريحه بعدم الفرق بين زمان الحضور والغيبة، وإنها لقوية، لكن المتيقن منها زمان الحضور، إذ شمولها لزمان الغيبة محل الكلام.

وقد أشار إلى النظر في الطريقتين الفيلسوف العظيم آية الله الآخوند ﵁ في (الكفاية) سيّما طريقة العلم بدخوله ﵇ في الجملة، فقال ما معناه: لا تكاد تحصل في زمان الغيبة إلاّ على احتمال لبعض الأوحديين. انتهى.

وعلى كل فإجماع الطائفة حجة عند جلهم لو لم نقل كلهم وإن اختلفوا في الطرق، وقد عرفت أن من أدلته: انحسار الدليل على بعض من المسائل الفقهية في الإجماع كما ذكره الشيخ المذكور، وبذلك قال سيدنا المحسن الحكيم ﵀ في (حقائق الأصول) [في ص١٠٦] ونصه: وكم من مسألة ليس المستند فيها إلا الإجماع... إلخ.

هذا، وأرجو من القارئ أن لا ينسى ما ذكرناه آنفاً فيما نقلناه عن أبي القاسم القمي من أن الشيخ الطوسي اعتمد في قاعدته على ما روته الأصحاب من الأخبار المتواترة من أن (الأرض لا تخلو من معصوم في كل آن... إلخ)، فليَتدبر فإنه نافع في المقام، وبهذا ختام الكلام، وصلى الله على محمد وآله الكرام.

وقد وقع الفراغ منه في اليوم الرابع عشر من شهر ذي القعدة السنة التاسعة والسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة، على مهاجرها وآله الكرام أفضل التحية الصلاة والسلام.

فيما حررناه من ذلك آنفاً طُرفاً جليلةً، وفي إجماعنا كفاية، وخروج شخصين منه معروفَي النسب لا يُخل به كما صرح به، ولكنه رحمه الله ومزيداً لخدمة الدين أضاف لما ذكر ما أبداه من رأيه الشريف في كلام جليل، ذكر فيه الدليل، فلنجتبي من كلمه الطيب ما فيه نفع وصواب.

قال المجلسي رحمه الله:

تبيين:

اعلم بعدما أحطت خبراً بما أسلفناه من الأخبار والأقوال، أنا قد قدمنا القول في عصمة الأنبياء (صلوات الله عليهم) في كتاب النبوة، وذكرنا هناك أن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم) من الذنوب الصغيرة والكبيرة، عمداً وخطأً ونسياناً، قبل النبوة والإمامة وبعدهما، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله سبحانه، ولم يخالف فيه إلا الصدوق محمد بن بابويه وشيخه ابن الوليد (قدس الله روحهما)، فجوّزا الإسهاء من الله تعالى لا السهو الذي يكون من الشيطان، ولعل خروجهما لا يُخل بالإجماع، وكونهما[1] معروفَي النسب، وأما السهو في غير ما يتعلق بالواجبات والمحرمات كالمباحات والمكروهات، فظاهر أكثر أصحابنا أيضاً الإجماع على عدم صدوره عنهم.

ويدل على جملة ذلك: كونه سبباً لتنفير الخلق منهم، ولما عرفت من بعض الآيات والأخبار في ذلك، لاسيما في أقوالهم عليهم السلام لقوله تعالى: ﴿وَمَا

---

١) الظاهر أن الأصح: لكونهما. (منه رحمه الله).

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[١]، وقوله تعالى: **﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾**[٢]، ولعموم ما دل على التأسّي بهم عليهم السلام في جميع أقوالهم وأفعالهم، وما ورد في وجوب متابعتهم، وفي الخبر المشهور عن الرضا عليه السلام في وصف الإمام: «**فهو معصوم مؤيد موفق مسدد، قد أمن من الخطأ والزلل والعشار**»[٣]، وسيأتي في (تفسير النعماني) في كتاب القرآن، بإسناده عن إسماعيل بن جابر، عن الصادق عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام في بيان صفات الإمام قال: «**فمنها: أن يعلم الإمام المتولي عليه أنه معصوم من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها، لا يزلّ في الفتاوى، ولا يخطئ في الجواب، ولا يسهو ولا ينسى، ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا...**» وساق الحديث الطويل ـ إلى أن قال ـ «**وعدلوا عن أخذ الأحكام من أهلها ممن فرض الله طاعتهم مَن لا يزلّ ولا يُخطئ ولا ينسى**»، وغيرها من الأخبار الدالة بفحاويها على تنزههم عنها، وكيف يسهو في صلاته من كان يرى مِن خلفه كما يرى من بين يديه، ولم يغير النوم منه شيئاً، ويعلم ما يقع في شرق الأرض وغربها، ويكون استغراقه في الصلوات بحيث لا يشعر بسقوط الرداء عنه ولا ما يقع عليه[١]، انتهى.

---

١) سورة النجم، الآيتان ٤ ـ ٥.

٢) سورة الأنعام، الآية ٥٠.

٣) الكافي: ١ ص ٢٠٣ ذيل ح ١ من باب (فضل الإمام وصفاته).

١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ١٠٨ ـ ١٠٩.

وله كلمة بعد كلام لعلم الهدى، ذكر فيها السهو عن المباحات، وهي قمينة[١] بالذكر، فإليكها حرفياً: "وبعد ذلك كله فلا مَعْدَلَ عمّا عليه المُعظم؛ لوثاقة دلائلهم، وكونه أنسب بعلو الحجج عليهم السلام ورفعة منازلهم"[٢]، انتهى.

ويشابه ما ظهر من رأيه الشريف في هذا الباب ما قرره في باب نفي السهو عنهم عليهم السلام، وقد قدّمنا منه نبذة يسيرة هي التي وعدنا بإيضاحها، وقد اتضحت بعون الله تعالى، فالحمد لله.

ولكني وجدت رسالة جعلها رحمه الله خاتمة لهذا الباب، وهي عنده رحمه الله مرددة النسبة، هل كانت للشيخ المفيد رحمه الله أو للشريف علم الهدى[١]، وهي قد عُقدت على عشرة فصول في نفي السهو عنه صلى الله عليه وآله وسلم وتزييف حديث ذي اليدين وأمثاله، فمنها ما تضمنه الفصل الأول وملخصه: سقوط حجية الحديث بوهنه، لاختلافهم في الصلوات المنسوب فيها السهو.

وقال (أعلى الله مقامه) في الفصل الثاني ما نصه: على أن في الخبر نفسه ما يدل على اختلافه، وهو ما رووه من أن ذي اليدين قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سلّم في الركعتين الأوليين من الرباعية: أَقَصَرْتَ الصلاة يا رسول الله أم نسيت؟ فقال على ما زُعم: «**كل ذلك لم يكن**»[٢]، فنفى صلى الله عليه وآله وسلم أن تكون

---

١) قمين من (قَمَنَ) وتعني جدير. الصحاح: ج ٦ ص ٢١٨٤.

٢) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ١٢٠.

١) قال رحمه الله : إلا أن انتسابها إلى المفيد أنسب.

٢) تقدمت الرواية في الهامش من ص ١٥٢.

الصلاة قَصُرَتَ ونفى أن يكون قد سهى فيها، فليس عندنا وعند الحشوية المجيزين عليه السهو أن يكذب النبي ﷺ متعمداً ولا ساهياً، وإذا كان أخبر أنه لم يسهُ ـ وكان صادقاً في خبره ـ فقد ثبت كذبُ من أضاف إليه السهوَ، ووضح بطلان دعواه في ذلك بلا ارتياب[1]، انتهى.

فتدبر تبصر رشدَ من وافقه وغيَّ من خالفه.

وقد وافقه في قوله: "إن الخبر مردود بنفسه" الحجة الشيخ كاشف الغطاء في (دعوته) كما صرح به في أدلة العصمة، وتنزيه صاحبها عن كل نقص، حيث قال: "فهي ثابتة له في كل أحواله بما أنها ممكنة في ذاتها، ولا يحصل تمام الغرض إلا بها"[1]، انتهى.

أقول: إن هذا المعنى السامي هو لُباب ما حررناه في العصمة مطلقاً حتى عن السهو في كل حال.

والحق حقيق أن يقال: إن الغرض لا يتم إلا بذلك، إذ لو ثبت السهو في حال من الأحوال لحصل الخلل في المراد، بل لا يحصل إلا بنفيه، أما في تبليغ الأحكام فلاستحالته عقلاً، ولوضوحه كان نفيه من المسلمات، فلا تجد قائلاً بثبوته.

أما في أحوال المعصوم الخاصة به، فأما في تكاليفه، فمن تأمل بإنصاف ونظر بعين الوجدان، جزم بانتفائه قطعاً؛ إذ لو جاز السهو على

---

١) بحار الأنوار: ج ١٠٧ ص ١٦٧.

١) الدين والإسلام: ج ٢ ص ٤١.

المعصوم في بعض تكاليفه لم يصح الأمر بالاقتداء به مطلقاً في أحواله من أفعاله وتقريراته وأقواله، مع أن الأمر الحتمي من الله تعالى بذلك مما هو مسلّم، فبالله عليك سل من يجوّز السهو على المعصوم في تكليفه، ما رأيه لو رآه متناولاً لأحد المفطرات في الصيام الواجب ساهياً واقعاً، أفَهَل يصح الاقتداء به في ذلك الحال لعدم وجود مقتدٍ به بذلك السهو، فيكون مخالفاً لحكم الله الواقعي، أو لا يصح الاقتداء بالمعصوم حتى يعلم من اقتدى به بعدم سهوه؟ وأنى له بذلك، إذ حتى بسؤاله المعصوم لا يتأتى له؛ لأنه ربما أجابه بعدم السهو وهو ساهٍ، إذ من الجائز أن المعصوم يكون ساهياً في الجواب أيضاً.

وقس على هذا المثال ما سواه من تكاليف المعصومين عليهم السلام تجد أنه لا يكاد يتأتى لمسلم أن يقتدي بمعصوم من الأنبياء والأئمة في شيء من أقوالهم وأفعالهم إلا بنص من النبي أو الإمام على التبليغ بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثلاً (أمركم الله بكذا) أو (نهاكم عن كذا)، أو قول الإمام مثلاً: (أمركم رسول الله عن الله بهذا ونهاكم عن هذا)، ولا أظن القائل بالسهو في غير الأحكام يلتزم بهذا؛ لمنافاته لكمال حجج الله، مع أن في كمال المعصومين بذلك نقصاً بيناً غيرَ هيّن، بل حصول النقص في كمالهم متحقق في أفعالهم المباحة الخاصة بهم فضلاً عن الموضوعات الخارجية المتعلقة بهم أو بغيرهم.

وأنت خبير في مضادة السهو للإخبار بالمغيبات، إذ من البديهي عدم وثوق أحد بالمخبر في شيء من ذلك، إذ تجويز سهوه عند من لا يعلمه

يتحقق في كل قضية أصاب الواقع فيها أم أخطأه، فأي نفس تطمئن لمن يجوز عليه السهو والنسيان فيما يخبر به؟! فبذلك لا تكاد تتحقق معجزة في ذلك، ولا فضل له ظاهر في علم الغيب؛ لأن كل قضية يتأتى فيها الشك في سهوِهِ ونسيانه أو في إصابته للواقع، فمن ذا الذي يرضى من المؤمنين لحجج الله بذلك؟ إلا من أخطأ في تفكيره وفكره، والتبس عليه صوابه في تأمله بخطأه، فأراد التنزيه ووقع في التقصير، بل لا ينبغي الإشكال في عدم صحة نسبة السهو للمعصوم في تكاليفه الخاصة بنفسه إن لم تكن له علقة بغيره من ناحية الاقتداء به أو غير ذلك.

فلا يناسب مقامه الشريف أن يأكل زائداً على الشبع ساهياً ـ مثلاً ـ أو زيارة مؤمن معين لخصوصية دينية فيه ـ مثلاً ـ فينسى، فيحصل له بذلك خسران ونقصان في كماله.

نعم لو نُسب السهو لبعض المعصومين من غير محمد وآله ﷺ في المُباحات التي لا يترتب عليها أثر ديني، فربما يقال بأنه لا بأس به، فمثلاً: لو أراد أن يشرب لبناً فنسي وشرب ماءً، فلا منافاة. أما الحقيقة المحمدية، فلا ينبغي نسبة ذلك إليهم؛ لثبوت الكمال التام لهم، لتظافر معاني كمية وافرة من الأحاديث عن النبي وآله الطاهرين (عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام) على ذلك، ولو لم يكن في الواقع إلا واحد كفى، فقولهم قول الله تعالى.

ولا شك أن من ينسى شيئاً يريده، فهو جاهل به حين نسيانه. وإن جل علماء الشيعة الإمامية ـ إن لم نقل الكل ـ ينزهون سادتهم "النبي ﷺ وآله المعصومين عليهم السلام" عن الجهل مطلقاً، ويقررون بأنهم عليهم السلام عالمون بما كان وبما يكون، كما نطقت به كثير من الأخبار، وصرحت بمعناه عدة من الآثار، وذلك بتعليم الله نبيه وحبيبه محمداً رسول الله ﷺ وعلياً أمير المؤمنين ووُلده الأحد عشر الأطهار أولياء الله، هم أمناء الله وورثة رسول الله ﷺ .

النظرة العاشرة

في أعلميته ﷺ وعلمه بالغيب بتعليم الله
وتوريثه ذلك لعلي وولده المعصومين عليهم السلام
ودفع الشبهات عن ذلك بتقرير علمائنا وبعض علماء السنة

وكفانا في ذلك قوله تعالى: ﴿**فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾، ويحدثنا ثقة الإسلام رضي الله عنه في (الكافي) عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «**وكان ـ والله ـ محمد ﷺ ممن ارتضاه**»[1]، وروى الشيخ الجليل الشيخ سعيد بن هبة الله الراوندي في (الخرائج والجرائح) عن الإمام الرضا عليه السلام مضمونَه باختلاف في اللفظ[2].

وهذا التفسير لا ينافي ما جاء في تفسير الآية من العموم، حيث إن المراد به الجنس، فشموله للرُسل الكرام (صلوات الله عليهم) لا يعارض تخصيصه ﷺ، فهو أفضلهم في كل مزيّة، فله الخصوصية بالخاتمية، فشريعته الناسخة والباقية، وهو وارثهم، وإليه ﷺ انتهت جميع علومهم،

---

١) الكافي: ج ١ ص ٢٥٦ باب (في ذكر الغيب) ح ٢.

٢) قال عليه السلام: «فرسول الله عند الله مرتضى» . الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٣٤٣ ح ٦.

فلا علم عند أحد منهم إلا وقد حواه، وله المزيد الكثير عليهم من العلوم التي لا شيء منها عندهم، إذ هو أفضل الممكنات، وذاته ﷺ قابلة لجميع الخيرات، والله تعالى الجواد الفيّاض، فلا ينقطع فيضه، ولا يبخل على حبيبه وصفوته بما يمكن للحادث من الفيوضات والكمالات، فكل ما قضت به الحكمة الإلهية بظهوره في الوجود، فقد منحه حبيبه ورسوله محمداً ﷺ خير البريات[1]، ومما يصرح بذلك قول الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في أثناء الحديث كما في (الكافي) في شأن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ قال: «**إن رسول الله** عليه السلام **لما أسري به لم يهبط حتى أعلمه الله (جل ذكره) علم ما كان وما سيكون**»[2].

وفيه في باب (ما أعطوا الأئمة من الاسم الأعظم) في حديث عن الصادق عليه السلام ذكر فيه: «**إن حروف الاسم الأعظم ثلاثة وسبعون، منها حرف استأثر الله به** ـ وذكر تقسيم اثنين وسبعين حرفاً على بعض الأنبياء حتى قال عليه السلام ـ **إن الله (تبارك وتعالى) جمع ذلك كله لمحمد** ﷺ»[3].

وفيه في باب (أنهم ورثوا علم الأنبياء) عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «**قال رسول الله** ﷺ: **إن أول وصي كان على وجه الأرض هبة الله**

---

١) وهو ما يُذكر في الحكمة بعنوان "قاعدة إمكان الأشرف" والتي تعني أن كل ما هو خير وشرف يمكن أن يحصل عليه أحد من المكنات فهو حاصل لأشرف هذه الممكنات وهو محمد ﷺ.

٢) الكافي: ج ١ ص ٢٥١ ح ٨.

٣) ن، م، ص ٢٣٠ ح ٢.

ابن آدم، وما من نبي مضى إلا وله وصي... ـ إلى أن قال ـ **وإن علي بن أبي طالب** عليه السلام **كان هبة الله لمحمد** صلى الله عليه وآله وسلم**، ورث علم الأوصياء وعلم من كان قبله، أما إن محمداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين...** إلى آخره»[(١)].

وفيه عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**إن الله (عزّ وجل) لم يُعطِ الأنبياء شيئاً إلاّ وقد أعطاه محمداً** صلى الله عليه وآله وسلم »[(١)].

وفيه في باب (أن الأئمة يزدادون علماً) عن الصادق عليه السلام قال: «**ليس يخرج شيء من عند الله (عزّ وجل) حتى يبدأ برسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **ثم بأمير المؤمنين ثم بواحد بعد واحد...** إلى آخره»[(٢)].

وفيه في باب (أن الأئمة ورثة العلم)[(٣)] عن أبي جعفر عليه السلام: «**إن الله جمع لمحمد** صلى الله عليه وآله وسلم **سنن النبيين من آدم وهلم جراً إلى محمد** صلى الله عليه وآله وسلم»، قيل له: وما تلك السنن؟ قال عليه السلام: «**علم النبيين بأسره، وأن رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **صير ذلك كله عند أمير المؤمنين**»، قال رجل: يا ابن رسول الله، فأمير المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «**اسمعوا ما يقول! إن الله يفتح مسامع من يشاء، إني حدّثته أن الله جمع لمحمد** صلى الله عليه وآله وسلم **علم النبيين، وأنه**

---

١) ن، م، ص ٢٢٤ ح ٢.

١) ن، م، ص ٢٢٥ ح ٤.

٢) ن، م، ص ٢٣٠ ح ٢.

٣) ن، م، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ح ٦.

جعل ذلك عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسألني: أهو أعلم أم بعض النبيين!».

أقول: ينبغي لذي البصيرة أن يتدبر قول هذا الإمام المعصوم، فبه يجد ضوء الهدى بالقياس البرهاني المنتج للنتائج الصحيحة من القضايا المسلّمة، إذ قول أئمتنا المعصومين لابد وأن يكون مسلّماً بين المسلمين، لما سُلّم من النبوي الصحيح المتضافر عند الفريقين من حيث تمثيله صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته بـ"سفينة نوح"[١] و "باب حطة"[٢] والحديث المسلّم المصرِّح بأنهم أحد الثقلين[٣]، فهم عِدلُ الكتاب، فلا هُدىً إلاّ في التمسك بهم، والضلال في

---

١) روى هذا الحديث كثير من أعلام العامة، وقد تناوله العلامة السيد حامد حسين رضي الله عنه في (عبقات الأنوار) نقلاً عن مسند أحمد، ومسند البزار، ومستدرك الحاكم، ومجمع الزوائد، وتاريخ بغداد، وحلية الأولياء لأبي نعيم، ومناقب ابن المغازلي، ومعاجم الطبراني الثلاثة، وذخائر العقبى، والجامع الصغير، وميزان الاعتدال، ومشكاة المصابيح للتبريزي، والصواعق المحرقة... وغيرها.

٢) رواه جماعة من أعلامهم، وقد تناوله العلامة المظفر رحمه الله في كشف الحق: ج ٦، منهم: الطبراني معاجمه الثلاثة، والهيثمي في مجمع الزوائد، والهندي في كنز العمال عن الدارقطني، والكنجي في كفاية الطالب، والحمويني في فرائد السمطين، والسمهودي في جواهر العقدين، وابن حجر في الصواعق... وغيرهم.

٣) الحديث مشهور جداً، حتى قال في الصواعق: ص ٢٢٨ : (ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين من الصحابة، لا حاجة لنا ببسطها). وقد أشبع البحث فيه العلامة النقوي رضي الله عنه في (عبقات الأنوار) نقلاً عن مسلم في الصحيح، وابن حنبل في المسند والمناقب، والترمذي، والدارمي، والبيهقي في سننهم، والطبراني في معاجمه الثلاثة،

مخالفتهم، وعليه نقرر قياساً لا يسع أحدٌ إنكار نتيجته، فنقول: الخبر المذكور المصرّح بأن علوم الأنبياء مجموعة كلها عند رسول الله ﷺ وقد استودعها أمير المؤمنين عليه السلام فهو العالم بها كلها، فالسؤال عن كونه أعلم أم بعض النبيين ساقطٌ، فالقياس هكذا: إن هذا الخبر ونحوه حق، فإنه قول الإمام المعصوم عليه السلام، وكل قوله حق، فهذا ونحوه حقٌ لا ريب فيه.

ثم إني أقول لهذا السائل المستنكر وأمثاله: ألم تقرأوا قوله تعالى: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**... الآية﴾؟ إذ من المُحال أن يدعو الإنسان نفسه، فلابد من أن النبي ﷺ دعا غيره، وإن من المسلّم بين المسلمين أنّ مَن دعاه ﷺ هو علي أمير المؤمنين لا سواه، فبذا تتحقق المساواة بينهما (صلى الله عليهما وآلهما) في كل فضيلة ما سوى النبوة، ومن أجلّ الفضائل العلم، فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أعلم البشر من بعد سيد الأكوان ﷺ، بل أعلم المخلوقين من ذوي العقول؛ لأن النبي ﷺ أعلم من كل ذي علم(١).

وابن سعد في الطبقات، والحاكم في المستدرك، والهيثمي في مجمع الزوائد، وأبو يعلى في مسنده، والسيوطي في الخصائص، وابن حجر في الصواعق... وغيرهم.

١) الكلام على الآية الكريمة عند العلماء جليل وكثير، لما فيها من الفضل الخطير لأمير المؤمنين علي عليه السلام، وإنما اختصرنا الكلام عليها هنا لأنا وفينا هذا في كتابنا (النظرة النفسية) في شعاع الآيات المفسرة في أهل البيت، ولكن استطرفنا طريقة لطيفة في كلمة شريفة جزيلة الألفاظ عظيمة المعنى، حررها العالم الجليل صاحب الفضيلة العالية أحد إخواننا المنصفين من أهل السنة كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي المتوفي في

وهو الآية المحيطة بالكون ففي عين كل شيء تراها

كيف لا، وهو صلى الله عليه وآله وسلم علة الكائنات كلها، وكفى دليلاً في إحاطة علمه صلى الله عليه وآله وسلم بكل شيء: القرآن الكريم والفرقان العظيم والكتاب المبين، ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ وبهذه الآية احتج الإمام جعفر الصادق عليه السلام على أفضلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام على أولي العزم من الأنبياء، فدونك الخبر الذي فيه الشاهد، من (الأنوار اللاّمعة) للسيد عبد الله شبر، وهذا نصه:

وعن الزيات قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أي شيء تقول الشيعة في موسى وعيسى وأمير المؤمنين عليه السلام؟ قلت: يزعمون أن موسى وعيسى أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام، قال: أيزعمون أن أمير المؤمنين علم ما علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قلت: نعم، ولكن لا يقدّمون على أولي العزم من الرسل

رجب سنة ٦٥٢ فإليكها حرفياً، قال في (مطالب السؤال) [ص٥٩] : وقد تقدم من ذلك أنه قد نقل أن المراد بقوله تعالى ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ هو علي عليه السلام، ويمتنع أن يكون نفس علي هي نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعينها، فيكون المراد من الآية المساواة بين نفسيهما، وهذا يقتضي أن يكون كل واحد من النفسين متصفة بمثال صفات النفس النبوية الموصوفة بصفات الكمال جنساً، لكن ترك العمل بذلك في صفة النبوة لاختصاصها بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لاستحالة وجودها في غيره، فتبقى صفة الفضيلة والعلم متصفة بذلك لا محالة، وفي هذه الآية الشريفة ـ من الإشارة إلى هذه الفضيلة ـ ما لو اقتصر عليها في حقه لأشرق بها نور فضله وبرق منها موفور نيله، وسمق بسببها مقر محله، واندفق من وجوب تعظيمه هامر وبله، وغامر سجلّه، كيف وهي جوهرة فرد من عقود منضدة ومنقبة واحدة من مناقب متعددة. (منه رحمه الله).

أحداً، قال أبو عبد الله عليه السلام: «**فخاصمهم بكتاب الله**»، قلت: في أي موضع منه؟ قال: قال الله لموسى: ﴿**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**﴾، وقال الله لعيسى: ﴿**وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ**﴾، وقال (تبارك وتعالى) لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً**﴾، ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾»[١].

وفيه: عن الصادق عليه السلام: «**إن الله خلق أولي العزم من الرسل وفضلهم بالعلم، وأورثنا علمهم وفضّلنا عليهم في علمهم، وعلِم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يعلموا، وعلمنا علمَ رسول الله وعلمَهم**»[٢].

وفيه: في باب (نادر في علم الغيب)، عن سدير عن أبي جعفر عليه السلام في خبر طويل سأله حمران بن أعين عن قوله تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا**﴾ قال عليه السلام: «﴿**إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾ وكان ـ والله ـ محمد صلى الله عليه وآله وسلم ممن ارتضاه، ثم أخذ في تفسيرها... ـ إلى أن قال ـ **فأما العلم الذي يقدّره (عز وجل) ويقضيه، فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم انتهى إلينا**»[٣].

وفي (سفينة البحار) للشيخ الجليل عباس القمي، عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «**إن لله علماً خاصاً وعلماً عاماً، فأما العلم الخاص**

---

١) الأنوار اللامعة: ص ١٥٥ ـ ١٥٦، وانظر: بصائر الدرجات: ٢٢٧.

٢) ن، م، ص ١٥٦، وانظر: بصائر الدرجات: ص ٢٢٧.

٣) ن، م، ص ١٥٧، وانظر: بصائر الدرجات: ص ١٣٣.

فالعلم الذي لم يطلع عليه ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين، وأما العلم العام فإنه الذي اطلع عليه ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين، وقد وقع إلينا من رسول الله ﷺ»[1].

وفيه: عن أحدهما عليهما السلام في قول الله (عزّ وجل): ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: «**فرسول الله ﷺ أفضل الراسخين في العلم، قد علّمه الله** (عز وجل) **جمع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله ينزل شيئاً لم يعلمه تأويله، وقد علّمه أوصياءه من بعده، يعلمون كله**... إلى آخره»[2].

وفي (البحار) عن (الكافي): عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن أبي زاهر أو غيره، عن محمد بن حماد، عن أخيه أحمد، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: قلت له: جُعلت فداك، أخبرني عن النبي ﷺ ورث النبيين كلهم؟ قال: «**نعم**»، قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه ﷺ؟ قال: «**ما بعث الله نبياً إلا ومحمد ﷺ أعلم منه**»، قال: قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله تعالى، قال: «**صدقت، وسليمان ابن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله ﷺ يقدر على هذه المنازل**»، قال: فقال: **إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشك في أمره، فقال: ﴿مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ حين فقده،**

---

١) سفينة البحار: ج ٢ ص٣٦٤، وانظر: التوحيد: ص ١٢٨ باب (١٠ـ العلم) ح ١٤.

٢) ن، م، ص ٣٦٦، وانظر: الكافي: ج ١ ص ٢١٣ ح ٢.

فغضب عليه، فقال: ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾، وإنما غضب لأنه كان يدله على الماء وهو طائر، فقد أعطي ما لم يعط سليمان، وقد كان الريح والنمل والجن والإنس والشياطين والمردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرّفه، وإن الله يقول في كتابه المجيد: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾، وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال، وتنقطع به البلدان، وتحيا به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله مما كتبه الماضون، جعله لله لنا في أم الكتاب، إن الله يقول: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ثم قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، فنحن الذين اصطفانا الله (عزّ وجل)، وأورثنا هذا الذي فيه تبيان لكل شيء»، انتهى[1].

ثم قال العلامة المجلسي (أعلا الله مقامه):

بيان: قوله عليه السلام **«مع ما قد يأذن الله»** أي أعطانا مع ذلك الأسماء التي كان الأنبياء عليهم السلام يتلونها للأشياء، فتحصل بإذن الله[2].

فهذه اثنا عشر خبراً، عدد ميمون مبارك موافق عدد حروف محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنه لوفاق جميل بعدد أئمتنا المعصومين الاثني عشر،

---

١) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ١٣٣، عن الكافي: ج ١ ص ٢٢٦.

٢) ن، م، ص ٣٤.

وكثيراً ما نبتغي هذا العدد المبارك؛ إذ به شرفنا، وليس الغرض من ذكر هذه الأخبار ونحوها إلاّ التشرف بخدمته ﷺ، إذ فضله وعلمه أظهر من الشمس، فلا يحتاج في إثباته إلى دليل، لكن علينا أن نتدبر أخبارهم عليهم السلام؛ كي تستنير بصيرتنا فنزداد معرفة بهم عليهم السلام، فبها نقرب من ربهم.

فتبصر أيها المؤمن الكريم فيما تضمنه هذا الخبر من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا...﴾، ثم تأمل في قول الإمام عليه السلام، فقد صرح بأنهم المصطفون الوارثون الكتاب، وفيه تبيان كل شيء، فبذلك يندفع استبعاد من يستبعد علم النبي وآله (صلوات الله عليهم) بما كان وبما يكون كما هو صريح الخبر الأول المروي عن الإمام الباقر عليه السلام، ومضمونه متظافر، وقد عرفت احتجاجنا المستفاد من احتجاج إمامنا الكاظم عليه السلام على إحاطة علمهم بكل شيء بالكتاب، كما صرح عليه السلام بالاحتجاج به على أفضلية النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام بعلمهم على جميع الأنبياء، فعليه ينبغي للعارف المنصف أن لا يستكثر ما قلنا، فمن نظر لاستدلال الإمام الكاظم عليه السلام في الخبر المذكور بالآية الكريمة: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ جزم بما قررناه، فإنها واضحة الحجة؛ لحصرها الغائبات في كتاب مبين، وهم عليهم السلام قد أنهى ربهم علم الكتاب إليهم عليهم السلام بنصه تعالى في كتابه على نبيه ﷺ، وهم ورثته بلا ريبة، وهم المصطفون في كتابه. فبذلك يندفع إشكال المشكلين بقوله تعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ إذ معنى ذلك حصر

الغيبوب في علم الله، وإنه لحقٌ، لكن علمه تعالى ذاتيٌ، ولا ندّعي أن علم أوليائه كذلك، إذ هم عليهم السلام عباد مفتقرون في كل آن لفيوضاته تعالى.

فالنبي وآله الطاهرون عليهم السلام ـ ومَن دونَهم من الأنبياء والأوصياء ـ لا يعلمون شيئاً إلاّ بتعليم الله، وقد أكرم الله نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالكتاب المبين، الذي فيه علم كل شيء ـ كما عرفت من صريحه في آياته المحكمة ـ فتدبر قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾ ترى فيها بظاهرها أن الله تعالى قد اختص الغيب من اصطفاهم من رسله.

قال العلامة الجليل المجلسي في (البحار) :

تفسير الاستدراك في الآية الأولى يدل على أن الله تعالى يُطْلع من يجتبي من رسله على بعض الغيوب. قال البيضاوي: أي ما كان الله ليأتي أحدكم علم الغيب فيطّلع على ما في القلوب من كفر وإيمان، ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء، فيوحي إليه ويخبره ببعض المغيبات، أو يثبت له ما يدل عليها[(١)]، انتهى.

وإلى هذا المعنى أشار المحقق الفيض في (الصافي)[(٢)].

وقال أمين الإسلام في تفسيرها ما نصه:

---

١) بحار الأنوار: ٢٦ ص ٩٩.

٢) تفسير الصافي: ج ١ ص ٤٠٣.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أي ما كان الله ليظهر على غيبه أحداً منكم، فتعلموا ما في القلوب، أن هذا مؤمن أو هذا منافق، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي يختار فليُطلَعه على الغيب، أي يوقفه على علم الغيب ويعرفه إياه(١).

ومثل هذا المعنى في إعلام الله تعالى الحجج بالغيب: آية الغيب في سورة النمل، وقد ذُكرت آنفاً، فدونك أيضاً ما في تفسيره:

قال رحمه الله ما نصه: (قُلْ) يا محمد [صلى الله عليك وآلك] ﴿لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ من الملائكة، والإنس، والجن ﴿الغَيْبَ إلاّ اللهُ﴾ وحده، أو من أعلمه الله تعالى(٢).

وذكر الملا محسن الكاشاني في (الصافي) في تفسيرها، جواب أمير المؤمنين عليه السلام للكلبي: «**إنما هو تعلم من ذي علم**»، وبه نتمسك ـ معشر الشيعة ـ في الرد على من يبهتنا من خصومنا(٣).

وممن يوافق أمين الإسلام وغيره من علمائنا في تفسير الآية المذكورة: الشيخ الزجاج، وهو أحد السنة المنصفين، وله في حقنا شهادة قيّمة قضى بها عليه إنصافه وحرّية ضميره، فنظر بعين بصيرةٍ نيّرة من قلب سليم من التعصب والتعسف، فبذلك كان من القائمين بدحض حجج المبطلين من

---

١) مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٥٧.

٢) ن، م، ج ٧ ص ٣٩٧.

٣) تفسير الصافي: ج ٤ ص ٧٢.

السنة المرجفين بالشيعة المؤمنين، فَيَحْسُن جداً تحرير ذلكح سروراً لنا وأداءً لشكره الواجب علينا، فإنه من المحسنين، فدونك كلمة قيّمة من كلمه الطيّب الجميل بحسب نقل العالم الفاضل الجليل المجلسي عنه، قال رضي الله عنه في أثناء كلام الزجاج على آيات الغيب ما نصه:

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ معناه: ولله علم ما غاب عن السموات والأرض لا يخفى عليه شيء فيه...

ثم قال: ووجدت بعض المشائخ ممن ينسب بالعدل والتشيع قد ظلم الشيعة الإمامية في هذا المواضع من تفسيره، فقال: هذا يدل على أن الله تعالى يختص بعلم الغيب، خلافاً لما تقول الرافضة: إن الأئمة عليهم السلام يعلمون الغيب. ولا شك أنه عنى من يقول بإمامة الاثني عشر ويَدين بأنهم عليهم السلام أفضل الأنام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن هذا دأبه وديدنه فيهم، يشنّع في مواضع كثيرة من كتابه عليهم وينسب القبائح والفضائح إليهم، ولا نعلم أحداً منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق، وإنما يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا بعلم مستفاد، وهذا صفة القديم سبحانه، العالم بذاته، لا يشاركه فيه أحد من المخلوقين، ومن اعتقد أن غير الله سبحانه يشاركه في هذه الصفة، فهو خارج عن ملة الإسلام.

وأما ما نَقل عن أمير المؤمنين عليه السلام ورواه عنه الخاص والعام من الأخبار بالغائبات في خطبة الملاحم وغيرها... [كإخباره عن صاحب الزنج، وعن ولاية مروان بن الحكم وأولاده] وما نُقل من هذا الفن عن أئمة الهدى

عليهم السلام... مما روي عنهم عليهم السلام، فإن جميع ذلك مُتلقّىً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما أطلعه الله عليه، فلا معنى لنسبة من روى عنهم هذه الأخبار المشهورة لأن يعتقد كونهم عالمين بالغيب.

وهل هذا إلا سبٌّ قبيح وتضليل لهم؟! بل تكفير! ولا يرتضيه من هو بالمذهب خبير، والله يحكم بينهم، وإليه المصير[١]، انتهى كلامه.

وأقول: من نظر بنور بصيرة صافية من شوائب التقليد والأهواء، عرف الفرق بين هذين الرجلين بالفرق بين هذين الكلامين، وكل إناء بالذي فيه ينضح، فسنّي ظالم لشيعة أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام، جائر عليهم بنجاسة ذاته، ومشنع عليهم بأراجيفه من عصبياته، وسنّي منصف مسلم صدَق في إسلامه وانتصر بطهارة ذاته للشيعة المظلومين، وصرح بقلمه المتحرر من الإحن والأضغان بأن الله سيحكم بين الشيعة ومن ناواهم، وهل ذلك إلا من نص الكتاب المبين.

---

١) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ١٠٠، وانظر: مجمع البيان: ج ٥ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣.

النظرة الحادية عشرة

في استغاثة المؤلف من الجائرين
وتحقيق جليل في لفظ "الحي القيوم"
وفي سبق خلق محمد وآله (صلوات الله عليهم) وفضلهم
وتبشير شيعتهم بنجابتهم

هل الانتصار لمحمد وآله ﷺ إلا بنص الذكر الحكيم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، اللهم احكم بيننا وبين من ظلمنا وأنت خير الحاكمين. وما الجور علينا إلاّ الجور على المعصومين من أهل بيت سيد المرسلين (صلى الله عليهم أجمعين)، ولا شك أن الله منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين، يا رب أسألك باسمك المكنون المخزون "الحي القيوم"[١] الذي لا يخيب من سألك به أن تصلي

---

١) قد سُئلتُ عن صحّة اتّصاف الاسم بـ"الحي القيوم" وعدمه. فالجواب: إن لفظ "الحي القيوم" محتمل لوجهين، أحدهما: أن يكون تفسيراً للاسم، فيكون عطف بيان له، فالاسم المكنون المخزون لفظه هو الحي القيوم، فكأنه قال: أسألك بهذا الاسم الذي هو "الحي القيوم"، كأن يقول: أسألك بلفظ "الرحمن"، وللفظ "الحي القيوم" خصوصية، فقد ورد أنه الاسم الأعظم، كذا قاله الشيخ الكفعمي في [المصباح: ص ٣٠٦، في]

على محمد وآل محمد، وأن تعجّل فرج المنتقم لك من أعدائك، وتُنجز له ما وعدته، يا ذا الجلال والإكرام، يا رب محمد وآل محمد، صل على محمد وآل محمد، وعجل فرج آل محمد.

فمن توهّم خروج قلمنا عن الموضوع فليعذرنا، فإنما هذا من الحفيظة الدينية والحميّة الشيعية، كيف لا، وقد خُلقنا من فاضل طينتهم، وعُجنا بنور ولايتهم، ففي (شجرة طوبى)[١] للشيخ محمد مهدي المازندراني نقلاً من (البحار):

١ـ من كتاب (صفات الشيعة) للصدوق، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام إنه قال: «**من عادى شيعتنا فقد عادانا، ومن والى شيعتنا فقد والانا؛ لأنهم**

القول الخامس من الفصل الحادي والثلاثين. وقد ذكر هذا القول أمين الإسلام في [مجمع البيان: ج ١ ص ٥٣، في] تفسير سورة آل عمران، في روايةٍ عن ابن عباس، قال: الوجه الثاني: إن الاسم صلة، والمراد به المسمى، فكأنه قال: أسألك بك أنت المكنون المخزون الحي القيوم، فالمكنون المخزون صفة اعتبارية بلحاظ الحديث القدسي: «**كنت كنزاً مخفياً .. إلخ**»، والحي صفة ذاتية وهي أن يصح للمتصف بها أن يعلم ويقدّر، وإن شئت فقل: الحيُ مَن كان على صفةٍ يُدرك لأجلها المُدركات، والقيّوم من صفات الأفعال، والقيوم: القائم بتدبير خلقه من إنشائهم ابتداءً وإيصال أرزاقهم لهم كما قال: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾. كذا ذكره الطبرسي، وقد ذكر أيضاً كون (الاسم صلة) في تفسير ﴿بسم الله﴾ مستشهداً بقول لبيد: (ثم اسم السلام عليكما) أي ثم السلام، وكون "الحي القيوم" تفسيراً للاسم أولى؛ لسلامته من التقدير، ولكونه حقيقٌ بالقَسم، فإن الاسم الأعظم جعله تعالى ملزوماً لإجابة الدعاء. (منه رحمه الله).

١) شجرة طوبى: ص ٣، وانظر: بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ١٦٧.

خُلقوا من طينتنا، من أحبهم فهو منّا، ومن أبغضهم فليس منّا، شيعتنا ينظرون بنور الله ويتقلّبون في رحمة الله ويفوزون بكرامة الله، ما من أحد من شيعتنا يمرض إلاّ مرضنا لمرضه، ولا اغتم إلاّ اغتمنا لغمه، ولا فرح إلاّ فرحنا لفرحه، ولا يغيب عنّا أحدٌ من شيعتنا أين كان من شرق الأرض وغربها، ومن ترك من شيعتنا دَيناً فهو علينا، ومن ترك منهم مالاً فهو لورثته. شيعتنا الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويحجّون البيت الحرام، ويصومون شهر رمضان، ويوالون أهل البيت ويتبرّأون من أعدائهم، أولئك أهل الإيمان والتُقى، وأهل الورع والتقوى، من ردّ عليهم فقد رد على الله، ومن طعن عليهم فقد طعن على الله؛ لأنهم عباد الله حقاً وأوليائه صدقاً، والله! إن أحدهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر فيشفّعه الله فيهم بكرامته على الله»[(١)].

٢ـ وفيه، عن الصادق عليه السلام قال: «إن الله (تبارك وتعالى) اطّلع على الأرض فاختارنا واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منّا وإلينا»[(٢)].

وقال الصادق عليه السلام : «رحم الله شيعتنا خُلقوا من فاضل طينتنا وعُجنوا بنور ولايتنا، يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا»[(٣)].

---

١) صفات الشيعة: ص ٣، بحار الأنوار: ج ٦٥ ص ١٦٧.

٢) الخصال: ص ٦٣٥.

٣) شجرة طوبى: ص ٣.

٣ـ وفي (روضة الواعظين) للشيخ الجليل ابن الفتال ـ المتقدم ذكره ـ في "مجلس فضائل الشيعة" من الجزء الثاني ما نصه: قال رسول الله ﷺ: «**يا علي، بشّر شيعتك وأنصارك بخصالٍ عشر: أولها: طيب المولد، وثانيها: حسن إيمانهم بالله، وثالثها: حب الله (عزّ وجل) لهم، ورابعها: الفُسحة في قبورهم، وخامسها: النور على الصراط بين أعينهم، وسادسها: نزع الفقر من بين أعينهم وعن قلوبهم، وسابعها: المقت من الله لأعدائهم، وثامنها: الأمن من الجُذام ـ يا علي ـ وتاسعها: انحطاط الذنوب والسيئات عنهم، وعاشرها: هم معي في الجنة وأنا معهم**»[1].

٤ـ وفيه ما نصه: قال الصادق عليه السلام: «**خرجت أنا وأبي عليه السلام حتى إذا كنا بين القبر والمنبر إذا هو بأناس من الشيعة، فسلّم أبي، ثم قال: إني والله لأحب ريحكم وأرواحكم، فأعينوني على ذلك بورع واجتهاد، واعلموا أن ولايتنا لا تُنال إلاّ بالعمل والاجتهاد، من ائتم منكم بعبد فليقتدِ بعمله، أنتم شيعة الله، وأنتم أنصار الله، وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون إلينا، السابقون في الدنيا إلى ولايتنا، والسابقون إلى الجنة بضمان الله وضمان رسول الله ﷺ، ما على درجات الجنة أحد أكثر أزواجاً منكم، فتنافسوا في فضائل الدرجات، أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات، كل مؤمنة حوراء عيناء، وكل مؤمن صدّيق**»[2].

---

١) روضة الواعظين: ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤، وانظر: الخصال: ص ٤٣ ح ١٠.

٢) ن، م، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

٥ـ وفيه ما نصه: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «**يا علي، شيعتك هم الفائزون يوم القيامة، فمن أهان واحداً منهم فقد أهانك، ومن أهانك فقد أهانني، ومن أهانني أدخله الله نار جهنم وبئس المصير. يا علي! أنت مني وأنا منك، روحك من روحي وطينتك من طينتي، وشيعتك خلقوا من فضل طينتنا، فمن أحبهم فقد أحبنا، ومن أبغضهم فقد أبغضنا، ومن عاداهم فقد عادانا، ومن ودهم فقد ودنا. يا علي! شيعتك مغفور لهم على ما كان فيهم من ذنوب وعيوب. يا علي! أنا الشفيع لشيعتك غداً، إذا قمتُ المقام المحمود، فبشّرهم بذلك. يا علي! شيعتك شيعة الله، وأنصارك أنصار الله، وأولياؤك أولياء الله، وحزبك حزب الله. يا علي سعدَ من تولاك وشقيَ من عاداك. يا علي! لك كنز في الجنة، وأنت ذو قرنيها**»[(١)].

٦ـ وفي (المنتخب) للشيخ فخر الدين، عن الصادق عليه السلام قال: «**رحم الله شيعتنا، إنهم أوذوا فينا ولم نؤذ فيهم**... إلى آخره».

ومنه قوله عليه السلام: «**رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة**»[(٢)].

وفي (بشارة المصطفى) لشيخنا الجليل عماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري ـ أحد علمائنا في القرن السادس ـ في حديث طويل بسنده إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، ذكر فيه شفاعة النبي ﷺ وحوضه، فدونك محل شاهدنا منه:

---

١) ن، م، ص ٢٩٦.

٢) منتخب الطريحي: ص ٢٦٨.

٧ـ قال عليه السلام : «فبين وارد وبين مصروف، فإذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يُصرف عنه من محبينا أهل البيت بكا وقال: يا رب شيعة علي. قال: فيبعث الله إليه ملكاً فيقول له: يا محمد، ما يبكيك؟ فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: وكيف لا أبكي وأناس من شيعة علي بن أبي طالب أراهم قد صُرفوا تلقاء أصحاب النار، ومنعوا من ورود حوضي. قال: فيقول الله (عز وجل) له: يا محمد، قد وهبتهم لك وصفحت لك عن ذنوبهم، وألحقتهم بك ومن كانوا يتولونه من ذريتك، وجعلتهم في زمرتك وأوردتهم حوضك وقبلت شفاعتك فيهم وأكرمتهم بذلك. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: فكم من باكٍ وباكيةٍ ينادون: يا محمداه. إذا كان ذلك، فلا يبقى أحد يومئذ كان يتولانا ويحبنا إلاّ كان من حزبنا ومعنا، ووارِدٌ حوضنا»[١].

٨ ـ وفيه في حديث جليل طويل متصل السند بأمير المؤمنين عليه السلام يحدّث به الحارث الهمْداني، قال عليه السلام في آخره عند ذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قال لي: إنه إذا كان يوم القيامة، أخذتُ بحبل الله أو بحجزته، يعني عصمةً من ذي العرش، وأخذتَ أنت ـ يا علي ـ بحجزتي، وأخذتْ ذريتُكَ بحجزتك، وأخذتْ شيعتُكم بحجزتهم، فماذا يصنع الله (عز وجل) بنبيه؟ وماذا يصنع نبيه بوصيه؟ خذها إليك يا حارث قصيرة من طويلة، أنت مع من أحببتَ ولك ما اكتسبتَ، قالها ثلاثاً»[٢].

---

١) بشارة المصطفى: ص ٢٠.

٢) ن، م، ص ٢٢.

٩ـ وفيه في حديث وصف رسول الله ﷺ الكوثر لأمير المؤمنين عليه السلام قال عليه السلام: «**ضرب رسول الله ﷺ يده على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا علي، إن هذا النهر لي ولك ولمحبيك من بعدي**»[1].

١٠ـ وفي كتاب (الصواعق المحرقة)[2] لابن حجر، في الفصل الأول من الباب الحادي عشر ـ بحسب نقل العلامة الجليل السيد عبد الحسين شرف الدين المتقدم الذكر ـ في (الفصول المهمة)، وكذلك نقل الشيخ سليمان القندوزي في (الينابيع)[3] في الباب التاسع والخمسين، وإليك الحديث حرفياً من (الفصول): قال رحمه الله في ذكره بشائر السنة للشيعة:

روى الحافظ جمال الدين الترمذي عن ابن عباس ـ كما في (الصواعق المحرقة) لابن حجر ـ أنه قال: لما أنزل الله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾ قال رسول الله ﷺ لعلي: «**هم أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضيين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين**»[4].

---

١) ن، م، ص ٢٤.

٢) الصواعق المحرقة: ص ١٦١.

٣) ينابيع المودة: ج ٢ ص ٤٥٢.

٤) الفصول المهمة: ص ٤٦.

١١ـ وفي (الفصول) أيضاً ما نصه: وأخرج الديلمي كما في (الصواعق المحرقة) قال قال رسول الله ﷺ: «يا علي، إن الله قد غفر لك ولوُلدك ولذريتك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك، فأبشر فإنك الأنزع البطين»[1].

١٢ـ وفيه أيضاً ما نصه: وأخرج الطبراني وغير واحد من المحدثين: أن علياً أتى يوم البصرة بذهبٍ وفضةٍ، فقال عليه السلام: «**أبيضاء وصفراء! غري غيري، غري أهل الشام، غداً إذا ظهروا عليك**»، فشق قوله على الناس فذُكر ذلك له، فأذّن في الناس فدخلوا عليه، فقال: «**إن خليلي ﷺ قال: إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غِضاباً مقمحين**»، ثم جمع علي عليه السلام يده إلى عنقه يُريهم الأقماح[2]، انتهى.

وقد روى هذين الخبرين القندوزي في (الينابيع) عن (الصواعق)[2].

١٣ـ وفيه أيضاً، قال السيد رحمه الله : وأخرج أحمد في (المناقب) كما في (الصواعق المحرقة) أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «**أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا**»[3].

١٤ـ وفيه قال: وأخرج الحاكم ـ كما في تفسير آية المودة في القربى من (مجمع البيان) ـ بالإسناد إلى أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتى وخُلقتُ أنا وعليٌّ من شجرة**

---

١) ن، م، ص ٤٧.

٢) ينابيع المودة: ج ٢ ص ٣٥٦ و ٤٤٥ و ٤٥٢، وانظر: الصواعق المحرقة: ص ١٦١ و ١٥٤.

٣) الفصول المهمة: ص ٤، وانظر الصواعق المحرقة: ص ١٦١.

واحدة، فأنا أصلها وعليٌّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى، ولو أن عبداً عبد الله ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالي وهو لا يحبنا، أكبه الله على منخريه في النار». ثم تلا ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، انتهى[١].

فهذه أربعة عشر خبراً في بشائرنا، وبه انتهت بُغيتنا، لما عرفت منا مكرراً من تقصّدنا للعدد المبارك الموافق لعدد من ليس لنا سواهم، فبهم نبتغي رضوان مولاهم (جلّ وعلا).

وإن هذا لموضوعٌ جليلٌ عظيمُ الفائدة، لما فيه من النفع الخطير، ومن ثم جاء فيه عن الرسول وآله (صلى الله عليهم) من صحاح الأخبار شيء كثير، لكنّا اكتفينا بما ذكرناه؛ لأن موضوع كتابنا ـ أولاً وبالذات ـ مخصص بالممادح المحمدية[٢]، وإنما جرى القلم في غير ذلك ثانياً وبالعرض، فالخير بالخير حاصل، ولا خير إلا بسببه ﷺ، وقد أشرنا آنفاً إلى أن ما ذكرناه من الآثار المعصومية في تبشير الشيعة ومدحهم، إنما هو من الحفيظة الدينية، فويل لشانئي الشيعة والناقمين عليهم، وما هو إلاّ من الحسد لأئمتهم المعصومين، **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾**، ولا مصداق

---

١) الفصول المهمة: ص ٤ وانظر: مجمع البيان: ج ٩ ص ٤٨، شواهد التنزيل: ج ٢ ص ٢٠٣.

٢) صحح رحمه الله العنوان إلى (المدائح) في الطبعات اللاحقة، لاحظ: ج ٣ ص ٧ في الهامش.

للآية في المراد منها بآل إبراهيم إلاّ الرسول محمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم، فدونك تصديق قولنا من طريق أهل السنة والجماعة: قال الشيخ سليمان القندوزي الآنف الذكر في (الينابيع) ما نصه: تفسير ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾: أخرج ابن المغازلي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه قال: هذه الآية نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي علي عليه السلام.

وأيضاً: أخرج ابن المغازلي عن جابر الجعفي، عن محمد الباقر رضي الله عنه في هذه الآية قال: «**نحن الناس المحسودون**»[1].

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طُويت أتاح لها لسان حسود

فنسأل الله بحقهم عليهم السلام أن يجعلنا على خدمتهم من الدائبين وإلى فضلهم من الناشرين، رضينا بهم أئمة ورضوا بنا شيعة، وكفانا عزاً وفخراً أن كنا ممن أوذوا فيهم، وكفى شانئينا ذُلاً وذَماً أن كانوا لنا من الظالمين.

ولعل بعض منتقدينا يتحاشى أن يكون من الناصبين لأئمتنا، فيتوصل لذلك بالتشنيع علينا، وقد جاء مؤدى هذا عن إمامنا جعفر الصادق عليه السلام، وهل سبب ذلك إلاّ اعتصامنا بحبل الله المتين، ألا وهو القرآن العظيم، وعدله بنص النبي الكريم وهو علي أمير المؤمنين وآله الأطهار عترة سيد المرسلين (صلى الله عليهم أجمعين). أما كون القرآن هو المراد من المسلّم بين المسلمين، وأما الإشارة بالمراد لأئمة الهدى فقد جاءت به صحاح الروايات، وليس من طريقنا وحسب، بل من طريق أهل السنة المنصفين.

---

١) ينابيع المودة: ج ١ ص ٣٦٢.

النظرة الثانية عشرة

في وجوب الاعتصام والتمسك بهم عليهم السلام، وفضلهم وتحقيق التشيّع، والفرق بينه وبين الحب، ووجوبه عند الجمهور

ذكر القندوزي في (الينابيع) ما نصه:

تفسير ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا**﴾[1]: أخرج الكلبي بسنده عن أبان بن تغلب، عن جعفر الصادق عليه السلام قال: «**نحن حبل الله الذي قال الله** (عز وجل): ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا**﴾».

وأيضاً أخرج صاحب كتاب (المناقب) عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاء أعرابي فقال: يا رسول الله، سمعتك تقول: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً**﴾ فما حبل الله الذي نعتصم به؟ فضرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده في يد علي عليه السلام وقال: «**تمسكوا بهذا، هو حبل الله المتين**»[1]. انتهى.

---

1) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

1) ينابيع المودة: ج ١ ص ٣٥٧ الباب ٣٩.

وما جاء في هذا المعنى وما يضاهيه من جامع فضلهم عليهم السلام من صحاح السنة شيء تجاوز حد الاستفاضة، سيما فيما ورد في وجوب حبهم عليهم السلام والنجاة به، وحرمة بغضهم، والتوعد عليه، بل في بعض الأخبار تكفير مبغضهم، وقد ذكرنا من ذلك كمية تبليغ الأربعين في الشعاع الحادي عشر من (النظرة النفسية)[1]، وكفى في ذلك آية المودة، وقد اعترف بها جل الجمهور، ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾، ومن ثم جعلوا حبهم فريضة.

وممن صرح به: البيهقي، والبُوغي، والشافعي، كما في (الينابيع)[2]، بل صرح غير واحد منهم بادعاء السنة التشيع، ومنهم ابن حجر ـ بحسب نقل حجة الإسلام الخنيزي في كتابه (رد الصراع) الموسوم بـ(الدعوة الإسلامية) المتقدم ذكره ـ قال رحمه الله ما نصه في رده على مصنف (الصراع) في ادعاء نفي السنة موالاة أهل البيت عليهم السلام ـ ما نصه: بل يصرحون ـ فيما وجدناه ـ بموالاتهم ومحبتهم، وبُعدٌ ما بين المشرقين بين رأي المصنف في أن السنة لا يتولّون أهل البيت، وبين رأي ابن حجر في (الصواعق المحرقة) في ص٩٢ في أن السنة هم شيعة أهل البيت، وحكى ذلك لي شيخنا الشيخ عبد الله العاملي المتقدم الذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية)[1]، انتهى.

---

١) انظر: الصفحات ٦٣ ـ ٧١.

٢) ينابيع المودة: ج ٢ باب ٥٩.

١) الدعوة الإسلامية: ج ١ ص ١٢٦.

فحقاً أقول: يحق لأهل السنة أن يرغبوا في حب آل النبي الطاهرين عليهم السلام ويؤكدوا فرضه؛ امتثالاً لأمر الله ورسوله، وخروجاً من نجاسة النُصب، فلا إشكال في نجاسة من نَصب لأهل البيت الطيبين وأظهر عداءهم بأن تديّن ببغضهم أو نَصب العداء لشيعتهم، فيكون حقيقة عداء لهم عليهم السلام.

كذا حققه سيدنا ومرجعنا المحسن الحكيم رحمه الله في (المستمسك) في شرح المسألة الثالثة من نجاسة الكافر في (العروة الوثقى) للسيد الكاظم قدس سره، فنجاسة الناصب من المسلمات بين الشيعة، أما غيره من المسلمين ففتوى جل الشيعة بأنه كالشيعي مطلقاً في الآثار من الطهارة وحرمة المال والدم، وجريان أحكام المواريث والمناكحة، وقد تكرر منّا هذا البيان في غير موضع من كتبنا تعمّداً منّا وإعلاناً للمسلمين بما عليه عملنا.

إذن فيكفي في فضيلة حبهم عليهم السلام الخروج عن النجاسة الذاتية وإن تحقق لك بمجرد عدم الكراهية لهم، لكن المنصف بالحب لهم عليهم السلام له حظه بحسب حبه في طهارة ذاته، إلاّ أنّ عليه أنْ يرتّب آثار الحب من السرور بسرور المحبوب والحزن لحزن أحبائه، وأما التشيع فلا شك أنه أعلى رتب الحب، من ادّعاهُ جذبه الطمع فيما جاء من البشارات للشيعة من طرق النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإشارة بآي الكتاب له.

لكني أقول: ربما يرد سؤال من أحد الشيعة على السنة بأن يقال: هل تتأدى فريضة الحب الواجبة بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله تعالى بدون التشيع؟ وهل الحب عنوان غير التشيع؟ أم هو عنوان واحد؟ ثم يقال: هل

يتصف أهل السنة بآثار التشيع أم لا؟ فأحار عند ذلك في الجواب! فإن قلتُ: لا، كان خلاف مدّعاهم. وإن قلتُ: نعم، ردّ عليّ بما حرره غير واحد منهم من انتقاد الشيعة فيما اختصوا به من العبادات كإقامة تعازيهم عليهم السلام وتهانيهم في أيام وفياتهم ومواليدهم عليهم السلام ولاسيما تعزية الحسين عليه السلام في أيام السنة دائماً، وعلى الخصوص في أيام شهر المحرم، وكذلك زيارتهم عليهم السلام من قرب أو بدلها بالتسليم عليهم من بُعد، وكذلك السجود على التربة الحسينية، والتسبيح بها، إلى غير ذلك من خصائص الشيعة مما تلقوه بالطرق الصحيحة عن النبي وآله المعصومين عليهم السلام، فليس لهم دستور في أخلاقهم ولا تكاليفهم الشرعية من وجوب وندب وكراهية وتحريم وإباحة إلا من الثقلين الأكبر والأصغر، كتاب الله (عز وجل) وعترة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، حيث أوجب التمسك بها، قال صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكرهما: «**وإنكم لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما**» ومؤدى ذلك مستفيض عند الفريقين، ومثله كونهم عليهم السلام أمان أهل الأرض، وكذلك ما يجري مجرى ذلك في الحث على الاقتداء بهم عليهم السلام، وقد أشرنا إليه آنفاً، ولا يتحقق امتثال ذلك إلا باتّباعهم والانقطاع إليهم في كل شيء؛ إذ مجرد الحب بدون آثاره لا يترتب عليه التشيع، فمن صرح بذلك في كتابه فلابد له أن يلتزم بقول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في حق علي أمير المؤمنين في يوم الغدير المسلّم: «**اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيثما دار**» .

فمما جاء عنه عليه السلام في ذلك: ما أورده الشيخ سليمان القندوزي في (الينابيع)، قال ما نصه: ذكرُ ما في (مشارب الأذواق) في مناقبه وذكرُ كلماته التي دلت على أن لابد للمؤمنين أن يحوبه حباً خالصاً من غير أن يدخل في قلوبهم حبُ أعدائه، وذكرُ أن محبيه ينالون ثواب جهاده ولو ولدوا من بَعدُ[1]، انتهى.

إذن فعلى كل منتحل حبَّهم البراءة من كل عدو لهم، وخصوصاً الجائرين عليهم. فقُبح موالاة عدو الحبيب ومعاداة حبيه، مما قام به العقل، وإنما النقل مؤيد له. فأي عقل سليم من التعصب يُجيز لمن يدّعي التشيع أن يوالي من جار على العترة الطاهرة النبوية؟

فالأفعال الشنيعة من العادين على العترة الهادين فقد عرّفت الجاهلين من حاد عن باب حطة باب سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تترك عذراً للجاهلين.

---

١) ينابيع المودة: ج ٢ ص ٦٩ الباب ٥٦.

النظرة الثالثة عشرة

في إلزام السنّة بما التزموا به، وبيان المنصفين لأهل البيت والشانئين لهم، وفي إعراض الكل عنهم عليهم السلام في الأحكام

أ فيجوز في شرع الإنصاف والمروءة أن يأتمّ من يدعي التشيع بأعداء أهل بيت النبوة؟ وهل من معنى للتشيع غير معنى الاتّباع والاقتفاء في الأحكام؟ فعليه يلزم كل مسلم الأخذ بأقوالهم، فما بال الجل منصرف عنهم؟

ومما يثبت قولنا ما ذكره السيد البحاثة الجليل المتثبت في تتبعه شرف الدين ـ المتقدم الذكر ـ في أثناء ما حرره في الفصل الثاني عشر من (الفصول) في إعراض أهل السنة عن مذهب أهل البيت، قال (أعلا الله مقامه) ما نصه: ولو أحصيت جميع ما في كتبهم من حديث ذرية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ما كان إلا دون ما أخرجه البخاري وحده عن عكرمة البربري الخارجي المكذّب. وأنكى من هذا كله: عدم احتجاج البخاري في صحيحه بأئمة أهل البيت النبوي، إذ لم يرو شيئاً عن الصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والزكي العسكري ـ إلى أن قال ـ مع احتجاجه بداعية الخوارج وأشدهم عداوة لأهل البيت عمران بن حطان القائل في ابن ملجم وضربته لأمير المؤمنين عليه السلام:

إنــي لأذكــره يومــاً فأحسبــه — أوفــى البريــة عنــد الله ميزانــا
يا ضربة من تقي ما أراد بهــــا — إلا ليبلغ من ذي العرش رضـوانا[١]

---

١) وهذا مسبوق ببيت قبله لعمران بن حطان المذكور (لعنه الله) كما حرره العالم الفاضل الأديب الجليل الشيخ جعفر النقدي النجفي المعاصر، وهذا نصه:

لله در المرادي الذي فتكت — كفاه مهجة شر الخلق إنسانا

ثم ذكر الشيخ رحمه الله جوابين منظومين أولهما لبكر بن حسان، وثانيهما لأبي الطيب طاهر بن عبد الله بن الإمام الشافعي، فدونك الشعر الأول:

قـل لابـن ملجـم والأقـدار غالبـة — هــدمت ويلــك للإســلام أركانــا
قتلت أفضل من يمشي على قدم — وأول النــاس إســلاماً وإيمانــا
وأعلـم النـاس بـالقرآن ثـم بمـا — سـن الرسـول لنـا شـرعاً وتبيانـا
صــهر النَّبــي ومــولاه وناصــره — أضــحت مناقبــه نــوراً وبرهانــا
وكان منه على رغـم الحسود لـه — مكان هارون من موسى بـن عمرانا
ذكـرت قاتلـه والـدمع منحـدر — فقلت: سبحان رب العرش سبحانا
إنـي لأحسـبه مـا كـان مـن بشـر — يخشـى المعـاد ولكـن كـان شـيطانا
أشـقى مـراد إذا عـدّت قبائلـها — وأخسـر النـاس عنـد اللـه ميزانـا
كعـاقر الناقـة الأولـى التـي جلبـت — علـى ثمـود بـأرض الحجـر خسـرانا
فــلا عفــا الله عنــه مــا تحملــه — ولا سـقى قبـر عمـران بـن حطانـا
لقولــه فــي شــقي ظـل مجترمـا — ونــال مــا نالــه ظلمــاً وعــدوانا
يــا ضـربة مـن تقـى مـا أراد بهـا — إلا ليبلـغ مـن ذي العـرش رضـوانا
بل ضربة مـن غـوى أوردتـه لظـى — فسـوف يلقـى بهـا الـرحمن غضـبانا
كأنه لـم يرد قصداً بضربتــــه — إلا ليصلـى عـذاب الخلـد نيرانــــا

وهاك القول الثاني:

إنـــي لأبـــرأ ممـــا أنـــت قائلـــه / عـن ابـن ملجـم الملعـون بهتانـا
يـا ضـربة مـن شـقي مـا أراد بهـا / إلا ليهـــدم للإســـلام أركانـــا
إنـــي لأذكـــره يومـــاً فألعنـــه / دينـاً وألعـن عمـران بـن حطانـا
عليـه ثـم عليـه الـدهر متصـلاً / لعـــائن الله إســـراراً وإعلانـــا
فأنتمـا مـن كـلاب النـار جـاء بـه / نـص الشـريعة برهانـاً وتبيانـا
عليكما لعنة الجبار ما طلعـــت / شمس وما أوقدوا في الكون نيرنا

وأقول: إن ما أشار إليه من نص الشريعة في هلاك هذين الملعونين وخروجهما من ربقة الإسلام مستفيض، وإن لم يكن متواتر اللفظ فهو متواتر المعنى، فمضمونه قد جاء في الأخبار النبوية عموماً وخصوصاً صريحاً والتزاماً، وطرقه كثيرةً من ثقاة الصحابة والتابعين مشهورة في كتب الفريقين، فالعمومات النبوية كافية في المطلوب، أما المحاربون له عليه السلام فهلاكهم أوضح من الشمس؛ لما استفاض عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند المسلمين من هلاك من قاتل علياً من الناكثين والقاسطين والمارقين، ولا أجد ـ فيما أعلم ـ أحداً توقف فيه من علماء المسلمين، بل بعضهم يرسله إرسال المسلمات، فمنهم كمال الدين بن طلحة في (مطالب السؤال) في شجاعة الأمير عليه السلام، فإنه لما أنهى الكلام على مواقفه في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما نصه: فأردفه بذكر شيء من مواقفه التي زلزل فيها ببأسه ثوابت الأقدام ومقاماته التي دفعته إليها الأقدار في مقاتلة بغاة الإسلام، وحروبه التي أنذره بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قتال الناكثين والقاسطين والمارقين الذين مرقوا من الدين مروق السهام. انتهى.

وفيه أيضاً قال: فمنها وقعة الجمل، فإن المجتمعين لها رفضوا علياً عليه السلام ونقضوا بيعته ونكثوا عهده وغدروا به. انتهى.

ومن ذلك كلمته في حرب صفين قال في أثنائها: فإنها أسفرت عن نفوس آساد مختطفة بالصوارم... ـ إلى أن قال ـ وأنوف من القاسطين مرغمة الأرانب، مهشومة بأيدي بني هاشم... .

وأخذ في ذكر كيفية الحرب ووصفه الإمام علي عليه السلام بما هو أهله، حتى ذكر ليلة الهرير وتعرض لشجاعة الأمير عليه السلام فقال في أثناء ذلك ما نصه: هذا، وعلي عليه السلام فيها كالهزبر الهصور والنمر الجسور لا يعترضه في إدحاض الباطل توهّم فتور ولا قصور يختطف نفوساً ويقتطف رؤوساً، ويسقي القاسطين من صاب المصائب كؤوساً بحربه الفاصم وضربه القاصم وسيفه الجاسم ورمحه الناظم، كلما قصد فارساً أعدمه وألقمه دعاماً، وكلما أردى قتيلاً أعلن بالتكبير فأحصت المؤذنة بعدد من قتله وحصرت الاستعلام عدة من جدله، فكانت خمسمائة وثلاثاً وعشرين قتيلاً.

ثم ذكر أن عدد القتلى من الفريقين ستة وثلاثون ألفاً، حتى تعرض للخوارج، فقال ما نصه: ومنها قتل الخوارج الذين قاموا على سوق مخالفة الملة الإسلامية... ـ إلى أن قال ـ واتفقوا على اتباع هوى نفوسهم الأمارة وقلوبهم العمية، ومرقوا من الدين كما يمرق السهم عن الرمية، فسدد إليهم عليه السلام سهام الانتقام بأيدي نظراته الأمامية. انتهى مرادنا.

وينبغي أن يعرف القارئ أن غرضنا من ذكر خصوص هذه الكلمات وأمثالها من علماء الإسلام ـ في أهل الجمل وصفين والنهروان ـ تحقيق مصداق مفهوم العمومات النبوية المشار إليها آنفاً في هذه الطوائف الثلاث بلا ريبة عند أهل السنة كما أفدناك آنفاً من كون تلك الأخبار الشريفة عندهم من المسلمات.

وممن صرح بذلك: ابن أبي الحديد في شرح خطبة الإمام عليه السلام في تخويف أهل النهروان، فدونك الشاهد من كلامه في شرحه ما نصه: قد تظافرت الأخبار حتى بلغت حد التواتر بما وعد الله تعالى قاتلي الخوارج من الثواب على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... ثم روى عن النبي في الصحاح المتفق عليها ما يصرح بتعيين الخوارج، وزاد فيه عن بعض الصحاح قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «يقتلهم أولى الفريقين بالحق». انتهى.

ثم نقل عن مسند الإمام أحمد رواية عن مسروق عن عائشة فيها ذكرُ رئيس الخوارج، قال مسروق في آخرها: سألتكِ بصاحب هذا القبر، ما الذي سمعتِ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم؟ فقالت: نعم سمعته يقول: «إنهم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم عنده وسيلة». وفيه أيضاً عن مسروق عن عائشة عندما ذُكر عندها قتل ذي

أما ورب الكعبة وباعث النبيين لقد وقفت هنا وقفة المدهوش وقمت مقام المذعور، وما كنت أحسب أن الأمر يبلغ هذا.

وقد باح ابن خلدون بسرّها المكنون حيث قال في الفصل الذي عقده لعلم الفقه وما يتبعه من مقدمته الشهيرة(١) بعد ذكر مذاهب أهل السنة ما هذا لفظه: وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها... ـ إلى أن قال ما نصه ـ وشذ بمثل ذلك الخوارج ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم، بل أوسعوها جانب الإنكار والقدح(٢). انتهى كلام السيد شرف الدين.

فيا أيها المسلمون: انظروا لهذه الكلمات بتأمل وإنصاف كي تعلموا ما فاض منها من البغض والمعادات لمن جعلتم حبهم فريضة امتثالاً لأمر الله بنص رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف هذا المؤدى يلائم ما حرره ابن حجر وغيره في نسبة عموم السنة إلى التشيع إلى أهل البيت الطاهرين؟ وهل ما حرره ابن خلدون هذا إلا مضادة لله ولرسوله؟ فإن كلماته قد صرحت بكون أهل البيت مبتدعين وضُلال، واللّهُ قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وفرض ودهم في كتابه، وقد اعترف به جل المسلمين إن لم نقل الكل،

الثدية قالت: ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «يقتلهم خير أمتي من بعدي».

وكفاك ما في (النهج) وشرحه من كلمات الأمير عليه السلام الكثيرة في مذمة المفتونين ولعنهم وضلالهم من أهل الجمل وصفين والنهروان. (منه رحمه الله).

١) مقدمة ابن خلدون: ص ٤٤٦.

٢) الفصول المهمة: ص ١٨٠ ـ ١٨٢.

والنصوص النبوية في الحث على التمسك بهم مستفيضة غير خفية على المسلمين، ومنها النصوص العلوية، فإنها ممن هو «مع الحق» بلا ريبة عند المسلمين، فمن تلك النص: قوله عليه السلام في خطبته المروية في (النهج) ونقلها القندوزي في (الينابيع): «**انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدىً ولن يعيدوكم في ردىً**... إلخ»[(1)].

فبعد هذا ونحوه مما ألزم المسلمين الحجة في حتم اتّباعهم أئمة الهدى عليهم السلام: أي عذر لابن خلدون والبخاري وأمثالهم من المُعرضين عن العترة الهادية؟ ولم يكتفوا بالإعراض فقط، بل يشنعون عليهم فيجعلونهم من المبتدعين! وهل الابتداع إلا الضلال والإضلال؟ نعم، لهم أن يعتذروا بلسان حال ضمائرهم الفاسدة بأنها لا تقدر أن تُكنّ ما فيها من البغض والشنآن على أمناء الرحمن، وذلك من خُبث الذوات، فلسان قابليتها يعلن بأنها ممنوعة في دخول «باب حطة» وذلك بسوء اختيارهم، والاختيار يشهد به الوجدان ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾، وقد شاؤوا مختارين النصب للأئمة الطاهرين عليهم السلام، فأحياناً يفيض في أقلامهم وألستم تارة بالتنديد بأهل البيت وتارة بشيعتهم المساكين فينبزوهم بالرفض، ﴿**وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ**﴾، لكن القلوب فيها الصمم، لما فيها من الرين، ﴿**كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ ﴿**وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً**﴾، فترى ما في أفئدتهم يجرىي علة ألسنتهم

---

١) نهج البلاغة: ص ١٨٩ خطبة ٩٧. وانظر: ينابيع المودة: ج ١ ص ٨٥ الباب ٣.

بما يُشين أئمة الهدى وشيعتهم حسبما تقتضيه أهواؤهم وتجيش به من الحسد أنفسهم، فتراهم يبهتون تارة وأخرى يصرفون ما تقوله الشيعة من الحق إلى ما ينطبق على ما يريدونه من الباطل، فيلصقونه بالشيعة تنفيذاً لأغراضهم، ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

النظرة الرابعة عشرة

في سؤال الله الخلق عن ولايتهم عليهم السلام
وفيما رواه إخواننا السنة عن النبي في فضلهم، وإلزامهم بلوازمه
وفي الاحتجاج على حُسن التعزية، ودفع الشبهات

أي وربي إن ولاءهم عليهم السلام هو الغنى الأكبر:

ولاؤهم الإكسير والنعمة التي   ستسأل عنها الخلق في يوم يوقفوا

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ قد جاء في تفسيرها عن الفريقين أخبار كثيرة، أن الخلق مسؤولون عن الولاية، ومؤدى الروايات واحد وإن اختلف في الألفاظ، حيث إن ولاية علي عليه السلام مقرونة بولاية آله المعصومين بلا شك، بل هي واحدة، وحبهم كذلك، بل من تتبع الأخبار المعصومية الواردة عن النبي وآله الطاهرين (صلى الله عليهم أجمعين) وجدهم أنهم واحد في الطاعة والولاية والحب وإن تفاوتت رتبهم (صلى الله عليهم).

والذي وقفت عليه من طريق إخواننا السنة المنصفين عشر روايات من طرق أربعة من عشرة علماء تقريباً من الفحول، منهم: الحمويني والترمذي والطبري وغيرهم، ذكر ذلك القندوزي في (الينابيع)، فدونك روايتين مما اجتبيناه بحذف الإسناد ما نصه: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إذا جمع الله الأولين**

والآخرين يوم القيامة ونصب الصراط على جهنم، لم يجز عنها أحد إلا من كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب»[١].

أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إذا كان يوم القيامة لم تزل قدما عبد حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفي ماذا أنفقه، وعن حبنا أهل البيت**»[٢]. انتهى.

قوله: ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ قد ورد فيها في (الينابيع) خمس روايات، ومن طرقها: طريق أبي نعيم والحاكم، فإليك روايتين:

الأولى بحذف السند عن الإمام الرضا عليه السلام قال ما نصه: قال أبي موسى: لقد حدثني أبي جعفر عن أبيه محمد بن علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله: «**يا علي، إن أول ما يسأل عنه العبد بعد موته: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنك ولي المؤمنين بما جعله الله وجعلته، فمن أقر بذلك وكان معتقده، صار إلى النعيم الذي لا زوال له**»[٣].

الثانية: عن الكاظم عليه السلام قال: «**نحن نعيم المؤمن وعلقم الكافر**»[٤].

---

١) ينابيع المودة: ج ١ ص ٣٣٥ الباب السابع والثلاثين.

٢) ن، م، ص ٣٣٦.

٣) ن، م، ص ٣٣٣.

٤) ن، م، ص ٣٣٤.

فبهذا ونحوه يعلم المسلم المنصف أن من أهل السنة المعرضين عن أهل البيت المرجفين بشيعتهم، مخالفون لله ولرسوله ولإخواننا من المسلمين السنة المنصفين، وهم لم يألوا جهداً في نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام.

وقد ألّف بعضهم فيه كتباً مفردة، وبعضهم حرر كثيراً منها في كتب متفرقة، وقد ذكر الثبت الجليل الشيخ سليمان في مقدمة (الينابيع) خمسة عشر عالماً ممن ألّفَ أحد عشر عالماً، منهم: الإمام أحمد والنسائي ولاسيما كتابيهما (المناقب) والحافظ الأصفهاني... وأمثالهم من الفحول، فراجع.

وقد أشرت لذلك في كتاب (النظرات) وذكرت أني أحصيت من كتب إخواننا أهل السنة ألفي حديث في عموم فضلهم عليهم السلام، فكفاهم فخراً كتاب (الينابيع) وإنه لكتاب جليل، وكفى صاحبه فضلاً وفخراً رمزه لحب آل نبيه بما حرر في مقدمته من ذكر العلماء المشار إليهم مع أسماء كتبهم، وقد رتب الأثر في خدمته لهم بتأليفه الكتاب المذكور، وإنه لكتاب جمع فأوعى، تبلغ عدد صفحاته ما يزيد على الأربعمائة أو ينقص عن الخمسمائة من طبع بُمبي، قد حوت مائة باب كلها في فضلهم ولاسيما مثل الباب السادس والخمسين، وعدد صفحاته ما يقارب تسعين صفحة، وخصصته بالذكر لما فيه من المطالب المهمة المعلنة بقرب أهل البيت من الله، المنطوية تحت العناوين الجليلة، ومنها ما أشرنا إليه آنفاً من اشترط حب علي عليه السلام بالخلوص من حب أعدائه، ومن هذا ونحوه تتجلى لنا مزية الشيخ المذكور عن أقرانه من السنة، فإن صح لأحد دعوى التشيع بدون

اعتناق مذهب الجعفرية والتدين بعقائد الشيعة الاثني عشرية، فالحرى بها هذا الرجل المشار إليه، ولا يكون قولي هذا اعترافاً مني بتشيعه ولكني أقول: قد أظهر آثار صدق الود للآل بأجلى مظاهره.

وليس كل من ألف في فضائلهم عليهم السلام يتحقق منه آثار الحب، إذ من آثاره معاداة أعدائهم، فمثل ابن حجر العسقلاني صاحب (الإصابة) يكتب فيه جملة من فضائلهم عليهم السلام ويثني على أعدائهم في مثل قوله: "عمر بن سعد، وهو تابعي، ثقة، وهو الذي قتل الحسين رضي الله عنه"[(١)]، فأنى لهذا والحب وقد ظهرت منه موالاة الأعداء، وصرح بها، بخلاف الشيخ سلمان المذكور فإنه لم يظهر منه من ذلك شيء، فترى فيه أجلى آثار الحب لما اهتم به من التصدي لانتخاب الكتاب المزبور من أجلّ كتب الجمهور كـ(الصحاح الستة) و (مسند أحمد) و (ذخائر العقبى) و (جواهر العقدين) وأمثال ذلك من عيون الكتب من تأليف أعيان السنة، ففي الحقيقة ليس ذلك الكتاب إلا حقائق ما حرروه، فإن كان ثمة انتقاد عليه من أحد السنة، فليورد على الجهابذة المذكورين في كتابه فإنه في الأغلب لا يحرر إلا معين.

وربما ذكر العالم بدون ذكر الكتاب كذكره ابن طلحة الحلبي الشافعي في الباب الرابع عشر المعنون بـ(غزارة علم أمير المؤمنين عليه السلام) عند روايته

---

١) تهذيب التهذيب: ج٧ ص ٣٩٦، برقم ٧٤٧، ولسان الميزان: ج ٧ ص ٣١٨ قال: عمر بن سعد بن أبي وقاص المدني، نزيل الكوفة، صدوق، لكن مَقَتَهُ الناس؛ لكونه كان أميراً على الجيش الذين قتلوا الحسين بن علي...

الأبيات المنسوبة لأمير المؤمنين عليه السلام، والظاهر أنه هو صاحب (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول)؛ لأن لقبه كمال الدين واسمه محمد بن طلحة الشافعي، وهو من علماء القرن السابع، وإن كتابه المذكور لكتاب من أجلّ الكتب، فهو مفيد نافع للمؤمنين في قيام حججهم على ألسنة المتعصبين لما نحن بصدده من إثبات فضل أئمتنا المعصومين عليهم السلام، فقد عقد فيه اثني عشر باباً، لكل إمام باب، أولهم باب سيدهم علي أمير المؤمنين، وفيه اثنا عشر فصلاً، كل فصل فيه قرّة عين الموالين، ومنها: الفصل السادس في فضله عليه السلام، ومما جاء فيه حديث: «أنا مدينة العلم». وإني وإن كنت قد تعرضت إليه في كتاب (النظرات)، لكن لما فيه من مزيد التحليل القيّم الموجّه من هذا العالم الجليل، فالحري جداً تحريره، فإليكه حرفياً: ومن ذلك ما رواه الإمام الترمذي في (صحيحه) بسنده ـ وقد تقدم ذكره في الاستشهاد في صفة أمير المؤمنين عليه السلام بالأنزع البطين ـ: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»، نقل الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود القاضي البغوي في كتابه الموسوم بـ(المصابيح): أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**أنا دار الحكمة وعلي بابها**»، لكنه خص العلم بالمدينة والدار بالحكمة؛ لمّا كان العلم أوسع أنواعاً وأبسط فنوناً وأكثر شعباً وأغزر فائدة وأعم نفعاً من الحكمة، خصص الأعم بالأكبر والأخص بالأصغر، وفي قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك إشارة إلى أن كون علي عليه السلام نازلاً من العلم والحكمة منزلة الباب من المدينة والباب من الدار؛ لكون الباب حافظاً

لما هو داخل المدينة وداخل الدار من تطرق الضياع واعتداد الذهاب عليه، وكان معنى الحديث: إن علياً عليه السلام حافظ العلم والحكمة، ويكفي علياً عليه السلام علواً في مقام العلم والفضيلة، إن جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حافظاً للعلم والحكمة[1]، انتهى.

أقول: لو لم يرد لأمير المؤمنين عليه السلام من تنويه السيد الأكبر والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالفضل إلا مضمون هذا الحديث لكفى؛ لأن دين المصطفى مبني على علمه صلى الله عليه وآله وسلم، ولما جعل نفسه صلى الله عليه وآله وسلم مثال المدينة وعلياً عليه السلام هو الباب، انحصر تحصيل علمه بإتيان الباب طبق ما أمر به صلى الله عليه وآله وسلم في رواية أخرى في (الينابيع) عن (الدر المنظوم) لابن طلحة الحلبي الشافعي[2].

ولابد أن يفهم القارئ أن ليس المقصود من هذا بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعلّم أحداً بل علمه صلى الله عليه وآله وسلم مبثوث لكل من طلبه، بل هو صلى الله عليه وآله وسلم دائب على تعليم المكلفين بطلب وبدون طلب، رغبة منه صلى الله عليه وآله وسلم في إرشادهم، وإنما غرضنا من قضية انحصار العلم بإتيان الباب وهو علي عليه السلام : أن لا حق في خلافه طبق ما أراده صلى الله عليه وآله وسلم في النبوي المسلم بين المسلمين «**علي مع الحق والحق مع علي**»[3]، فمقصوده صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: (فمن أراد العلم فعليه بالباب)

---

١) مطالب السؤول: ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

٢) ينابيع المودة: ج ١ ص ٢٠٥ الباب ١٤.

٣) ورد الحديث بألفاظ مختلفة ومتقاربة المعنى في عدة مصادر، منها: سنن الترمذي: ج ٥ ص ٥٩٢ ذيل ح ٣٧١٤، المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ١٣٤ ح ٤٦٢٩، الرياض النضرة: ج ١ ص ٤٨ ح ٧٨، مناقب الإمام علي بن أبي طالب (لابن المغازلي) : ص ٢٢٠

عدم الخلاف على علي عليه السلام والإلزام بالدخول في هديه، وأن لا يخالفوا له قولاً، فمن جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعلم مخالف لعلم أمير المؤمنين علي عليه السلام فعلمه ليس من عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ لا حق إلا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد أودعه كله علياً وأمره أن يودعه وُلده المعصومين خلفاً بعد سلف، فالحسن الزكي السبط خلف أبيه الأمير عليه السلام وخلفه أخوه الحسين الشهيد عليه السلام ثم وُلده التسعة المعصومون عليهم السلام أولهم زين العابدين علي وآخرهم القائم المهدي، وترتيبهم غير خفي على المسلمين. قال تعالى: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾، وتفسيرها في آل محمد المعصومين (صلى الله عليهم أجمعين)، جاءت به النصوص من الفريقين، فمنها عام ومنها خاص[1] بذرية الحسين

ح ٢٩١، مناقب الإمام علي بن أبي طالب (للخوارزمي) : ص ١٠٤ ح ١٠٧، تاريخ بغداد: ج ١٤ ص ٣٢١ ، تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٠ ص ٣٦١ ، ج ٤٢ ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩، شرح نهج البلاغة: ج ٦ ص ٣٧٦ ، مجمع الزوائد: ج ٧ ص ٢٣٥ ، التفسير الكبير: ١ ص ٢١٠ ، الصواعق المحرقة: ص ٦٤ و ١١٩، كنز العمّال: ج ١١ ص ٦٢١ ح ٣٣٠١٨.

١) ومضمون العموم والخصوص ورد في (مجمع البيان) وكتاب (الصافي) عن السجاد والصادق عليهما السلام تخصيصاً بالحسين عليه السلام، وفي كتاب البحار أخبار خاصة بذرية الحسين عليه السلام، فمنها ما رواه عن أبي هريرة قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية﴾ قال: «جعل الإمامة في عقب الحسين يخرج من صلبه تسعة من الأئمة منهم مهدي هذه الأمة». انتهى.

وفي (الاحتجاج) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة الغدير: «معاشر الناس، القرآن يعرّفكم أن الأئمة من بعده وُلده، وعرّفتكم أنهم مني ومنه حيث يقول الله (عز وجل): ﴿وجعلها

عليه السلام كما في الباب التاسع والثلاثين من (الينابيع) عن (المناقب)، فالعموم مخصص طبق البيانات تصريحاً بأسمائهم وتلويحاً بالكتابة والإشارة إلى

كلمة باقية في عقبه﴾. كذا نقله المحقق المحسن، ونقل هذا المؤدى أيضاً عن (الإكمال) و (العلل) و (المناقب) و (المعاني).

ولا يخفى على المتفطن أن هذا التفسير من بواطن القرآن، فلا يشكل بأن الظاهر يخالفه، حيث إن هاء الضمير عائد لكلمة إبراهيم، وهي توحيده ربه تعالى الذي فطره باستثنائه ربه (عز وجل) مما تبرأ منه، والباطن ليس المقصود استعمال اللفظ الموضوع للمعنى الظاهر في ذلك المعنى الباطن، بل يراد ذلك المعنى الباطن في نفسه حين استعمال اللفظ في ظاهره، أو يراد به لوازم ذلك المعنى الظاهري كما أشار إليه الآخوند الخراساني العظيم قدس سره ، ولعل الآية المذكورة من المقام الثاني.

وإيضاحه: أن كلمة التوحيد من لوازمها النبوة والإمامة بلا شك ـ كما أوضحناه في (النظرة النفسية) ـ وكذلك تحقيق بواطن القرآن وظواهره، بيّنا منه فيها بأحسن ما نقدر عليه من الإيضاح، وكون البواطن إلى سبعة أو سبعين على اختلاف الآراء، مما جاءت به الآثار.

وليس الغرض هنا إلا تقريب تفسير الآية المذكورة إلى ظاهره، والعمدة في ثبوت تخصيص المراد منها بإمامة آل محمد عليهم السلام ـ وعلى الخصوص ذرية الحسين عليه السلام ـ روايات الفريقين كما عرفت، فعقب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخصص من عقب إبراهيم عليه السلام، فتدبر الكلمة النبوية المحررة آنفاً من خطبة الغدير المروية في غير كتاب، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم يشير إليهم عليهم السلام بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنهم مني ومنه»، يعني علياً، فعلي أولاً، فالحسن فالحسين ثم حصرت في ذرية الحسين عليه السلام.

فالأخبار المخصصة لعقبه عليه السلام مخرجه لعقب الحسن، فعقب الحسين عليه السلام من عقب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وله تلك الخصوصية، وتخصيص العام شائع كثير، حتى قيل: "ما من عام إلا وقد خص"، فلا بدع بتخصيص الإمامة بالذرية الزكية طبق الحكمة الإلهية. (منه رحمه الله).

أوصافهم الخاصة بهم عليهم السلام مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى فانظروا من توفدون»، أخرجه الملا في سيرته كما في (الينابيع)[١]، فتبصر بنوره كي يشع عليك من هُداه ما يشرق من مثل ما أشرق علينا منه من تخصيص هذه الأوصاف بأئمتنا المعصومين، إذ هو على حد أمره صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهم، فهو على وزان حديث التمسك وغيره مما هو مؤداه مما شعّ من شمس النبوة مما يلزم الأمة أن تستضيء به في محجة الحق كي تبصر باب الدين، ألا وهو باب علمه صلى الله عليه وآله وسلم، فهم عليهم السلام حفاظ شرعه المقدس وباب مدينة علمه الأقدس، لما عرفت من عموم الحديث النبوي لهم.

وينبغي للقارئ أن يلتفت إلى أن الحديث جار على المجاز كما هو غير خفي، وإليكه مزيداً للفائدة، برواية الشريف الرضي مع إيضاح مجازيته من (المجازات النبوية): قال (أعلى الله مقامه): ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، و (لن تدخل المدينة إلا من بابها). وهذا القول مجاز؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم شبّه علمه بالمدينة المحصنة التي لا يطمع طامع في دخولها ولا الوصول إليها إلا من بابها، وأقام علياً أمير المؤمنين عليه السلام لتلك المدينة مقام الباب الذي يفتح من جهته ويوصل إليها من ناحيته[٢]، انتهى.

---

١) ينابيع المودة: ج ٢ ص ١١٣ ـ ١١٤.

٢) المجازات النبوية: ص ٢٠٨.

فمن تدبّره وعرف صحة بياننا السابق له من انحصار الحق بعد وفاة النبي ﷺ عند حافظي علمه ـ علي وولده المعصومين ـ إذ هم أبواب مدينته للعمومات النبوية كما أسلفنا.

ومنها: ما أخرجه الحمويني بسنده عن سليم بن قيس الهلالي ـ وهو خبر طويل جليل ـ: أن أمير المؤمنين علياً ذكر له فضائل جمة محتجاً بها على المهاجرين والأنصار في علو فضله (عليه أفضل الصلاة والسلام) على من سواه، منها: آية الولاية، وآية التطهير، وحديث الغدير، وآية إكمال الدين وإتمام النعمة، وعندما تلاها النبي ﷺ وبينها قالوا: يا رسول الله، هذه الآيات في علي خاصة؟ قال ﷺ: «بل فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة». قالوا: بيّنهم لنا، قال: «علي أخي ووارثي ووصي وولي كل مؤمن من بعدي، ثم ابني الحسن، ثم الحسين، ثم التسعة من ولد الحسين عليهم السلام، القرآن معهم وهم مع القرآن، لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليّ الحوض»[1].

ومنه قول الأمير عليه السلام: «**أتعلمون أن الله أنزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾؟**» فقال سلمان: يا رسول الله هذا عام أم خاص؟ قال: «**المأمورون فعامة المؤمنين، وأما الصادقون فخاصة، أخي علي وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة**»، قالوا: نعم.

ومنه قوله: «**أنشدكم الله أتعلمون أن الله أنزل في سورة الحج: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾**». فقام سلمان،

---

١) ينابيع المودة: ج ١ ص ٣٤٧ الباب ٣٨.

فقال: يا رسول الله: من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهو شهداء على الناس الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ملة إبراهيم؟ قال ﷺ: «**عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصة**». قال سلمان: بينهم لنا يا رسول الله، قال: «**أنا وأخي علي وأحد عشر من ولدي**». قالوا: نعم[١].

ومن النصوص النبوية ما أخرجه الحمويني والموفق ابن أحمد الخوارزمي كما في (الينابيع) ما نصه: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون»[٢].

فتبصر بأنواره وأمثاله مما أشرق من نفس الحقيقة المحمدية من النصوص العليّة الحاتمة باتباع الأئمة المعصومين والائتمام بهم والأخذ بهديهم، فلا حق واقعي إلا من المعصوم، ومن ثم حصر ﷺ الحق في أقوالهم وأفعالهم عليهم السلام، إذ لا باب لمدينة علمه سواهم عليهم السلام، فهم أبوابه ونوابه على اليقين، فهدفه ﷺ الوحيد حتم انقطاع الأمة لهم والتمسك بهم، وليس من المنقطعين المتمسكين بهم كذلك إلا فرقة واحدة من اثنين وسبعين، وهي غير خفية على العالمين، فهي مستنيرة بإشراق شمس إرشادات سيد المرسلين ﷺ قد تكهربت أنفسها بشعاع أوامره العلوية، فهي لا تزال سائرة إلى السعادة الحقيقية، ففي (الينابيع) عن كتاب (مشكاة

---

١) ن، م، ص ٣٤٨.

٢) ن، م، ج ٢ ص ٣١٦ الباب ٧٧.

المصابيح) ما نصه: عن ثوبان مولى رسول الله قال: سمعت رسول الله يقول: «لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله على الناس»، متفق عليه[١].

فمن تجاهل في معرفتهم فليجبه من سلك محجة هداهم منكراً على من حادَ عنها مستفهماً بقوله:

أفي الفِرَقِ الهُلاّكِ آلُ محمدٍ   أم الفِرَقِ الناجينَ؟ أيهما؟ قل لي[٢]

---

١) ن، م، ص ١٠٦ الباب ٥٦.

٢) هذا البيت من أبيات للإمام الشافعي بحسب نقل الفاضل الجليل الشيخ النبيل الشيخ محمد مرعي الأمين الأنطاكي، الشافعي مذهباً، والشيعي خاتمة، في كتابه (لماذا اخترت مذهب الشيعة) ص٢٥، فيا حبذا تحريرها إتماماً لحجتنا فإليكها:

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم   مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا   وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهو ولائهم   كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل
وإذا افترقت في الدين سبعون فرقة   ونيف كما قد جاء في محكم النقل
ولم يك ناج منهم غير فرقة   فقل لي بها يا ذا التفكر والعقل
أفي الفرق الهلاك آل محمد   أم الفرق الائي نجت منهم قل لي
فإن قلت في الناجين فالقول واحد   وإن قلت في الهلاك حدت عن العدل
إذا كان مولى القوم منهم فإنني   رضيت بهم لا زال في ضلهم ضلي
فخلّو علياً ولياً ونسله   وأنتم من الباقين في أوسع الحل

أبيات تسعة بعدد التسعة المعصومين عليهم السلام وإن هذا لمحبوب، لما أظهره هذا الإمام من الود لآل النبي الطاهرين عليهم السلام فهو دليل لما أشرنا إليه من وجوب حبهم عليهم السلام عند المسلمين.

حررناه بعد فراغنا من تصحيح النسخة الثالثة في ٢٦ صفر، سنة ١٣٩٤هـ. (منه رحمه الله).

فمن ذا الذي سلك سبيلهم وأخذ برشدهم وهداهم، وعمل بأصول الدين وفروعه بمذهبهم وتعاليمهم، فلا يرى المنصف بداً إلا أن يجيب بقوله: هم الفرقة الجعفرية الذين لم يبرحوا في ظل الإرشادات المحمدية العلوية، فهم يستضيؤن بأنواره الإلهية، وقد شعت علينا من إشراقاتها الروحية العقلية والنقلية أشعة جليلة في (نظرتنا النفسية)، فالمستنير بها لابد وأن توصله إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم، من لم يخرجونا من هدى ولم يدخلونا في ردى.

فالحمد لله الذي جعلنا من المهتدين.

هذا وإن العناية الإلهية قاضية بنشر فضائلهم عليهم السلام مهما حاول معاندوهم كتمانها، بل محاولتهم ذلك ربما كان سبباً لانتشار فضائلهم ومناقبهم عليهم السلام، فمن ذلك: ما قاله عروة بن الزبير ـ وهو من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ فإنه قال لأبنائه ما معناه: أحذركم الدنيا، فما بنَت شيئاً إلا وهدمه الدين، ولا تهدم ما بناه الدين، انظروا إلى بني أمية كلما راموا نشر مناقب أسلافهم فكأنما يكشفون عن الجيف، وكلما حاولوا حط قدر علي فكأنما يأخذون بعنقه إلى السماء(١). انتهى.

فلم يزل فضله عليه السلام وفضل ولده المعصومين ينتشر على يد الموالي وغيره ممن لا يدين بإمامتهم، حتى قال ابن أبي الحديد المعتزلي في علي أمير المؤمنين ما مضمونه: وما أقول في رجل كتم أعداؤه مناقبه بغضاً له،

---

١) كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٧.

وستر أولياؤه فضائله خوفاً على أنفسهم، فظهر من بين هذين الإخفائين مناقب ملأت الخافقين[١]، انتهى.

وهو نفسه قد كان لفضلهم من الناشرين[٢] جارياً بذلك مجرى سلفه المتقدمين من السنة المنصفين، فقد أفدناك آنفاً بذكر بعضهم على التعيين،

---

١) نُسب هذا القول لعدة أشخاص: منهم: الخليل بن أحمد الفراهيدي: ما أقول في حق امرئ كتمت مناقبه أولياؤه خوفاً، وأعداؤه حسداً، ثم ظهر من بين الكتمين ما ملأ الخافقين. الرواشح السماوية: ٢٠٣، تنقيح المقال: ج ١ ص ٤٠٣ برقم ٣٧٦٩.

ومحمد بن إدريس الشافعي، إمام المذهب: عجبت لرجل كتم أعداؤه فضائله حسداً وكتمها محبوه خوفاً، وخرج ما بين ذين ما طبق الخافقين. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ج ٢ ص ٢١٦.

والزمخشري: ماذا أقول في رجل أخفى أعداؤه فضائله حقداً وحسداً، وأولياؤه خوفاً فظهر من بين ذين ما ملأ الخافقين. عليٌ في الكتاب والسنة: ج ١ ص ٤٤١.

٢) ورأيه في تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على من سواه من الصحابة مطلقاً رأي جل أصحابه من المعتزلة إن لم نقل الكل، كما حرره في غير موضع من كتابه (شرح النهج: ج ١٠ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧) إشارة وتصريحاً، ومنها مما صرح به فيما خاطب أستاذه النقيب، وهو كلام جليل، به ونحوه تقوم حجة الشيعي على العلامة المعتزلي وأمثاله، قال فيه: إن علياً أفضل الجماعة، وأنهم تركوا الأفضل لمصلحة رأوها، وأنه لم يكن هناك نص يقطع العذر... إلى أن قال: ولكنه رضي بالبيعة أخيراً.

ثم أخذ ينقل كلام أصحابه، وفيه قال: فلما رأيناه قد وافق على ولاية غيره أثبتناه ورضينا لما رضي... ثم قال لأستاذه عندما صدعه بالنص: إنه لم يثبت النص عندنا بطريق يوجب العلم... ثم ادعى التأويل في بعضها وبعدها. قال: فقال لي وهو ضجر: يا فلان! لو فتحنا باب التأويلات لجاز أن نتأول قولنا: لا إله إلا الله... إلخ.

وقد نسج على منوالهم كثير من المتأخرين من غير من عاصرنا ومن

ألا يكفي ابن أبي الحديد في هذا الاعتراف من أستاذه النقيب المنصف السني؟ وقد ذكرتُ كلامه بطوله معه في كتاب (النظرات) فلا حاجة لذكره كله.

وقد أحصيتُ فيها ثلاثة عشر موضعاً من تظلمات أمير المؤمنين عليه السلام في (النهج) وشرحه رداً على العلامة المعتزلي ومن يرى رأيه في دعوى رضا أمير المؤمنين عليه السلام، فدونك موردين منها أخذناهما إكمالاً لهذه الفائدة:

أحدهما: قوله في خطبة له عليه السلام رواها العلامة المعتزلي المذكور عن الكلبي: «إن الله تعالى لما قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالأمر ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة». [انظر: شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ٣٠٨].

ثانيهما: قوله عليه السلام في كتاب كتبه جواباً لأخيه عقيل، مروي في (النهج) وغيره قوله عليه السلام: «اللهم فاجز قريشاً عني الجوازي، فقد قطعت رحمي، وتظاهرت علي ودفعتني عن حقي وسلبتني سلطان ابن أمي وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسابقتي في الإسلام، إلا أن يدعي مدع ما لا أعرفه، ولا أظن الله يعرفه والحمد لله على كل حال». [انظر: شرح نهج البلاغة: ج ٢ ص ١١٩].

فما أدري ماذا يجيبنا العلامة المذكور إذا سئل عن سلب سلطان أمير المؤمنين عليه السلام منه ومن يعني من قريش بهذا؟ وإنه ـ والله ـ لحائر في الجواب! وليس دعواه الرضا بأغرب من جحده نص الغدير الذي يرويه أهل السنة من تسعة وثمانين طريقاً، وبعضهم من مائة وخمسة طرق، وبعضهم من مائة وعشرين طريقاً!!

وقد حققنا ذلك في كتابنا (النظرات) المذكور، وإنما علّقت هذه الفائدة تحذيراً للقراء من الشيعة ممن لا يعلم بحبائله وحبائل أمثاله، فيغترون باعترافه بتفضيله عليه السلام ونشر فضائله الكثيرة ويأخذون آراءه كلها مسلمة بلا تمحيص. فينبغي للبصير الناقد أن يتثبت فيما حرره هذا وغيره من أمثاله، فينتفع بما يعترف مما يكون حجة عليه ويحقق الباقي بمنظار الحق. (منه رحمه الله).

المعاصرين ومن المصريين واللبنانيين، فدونك ذكر بعض أسمائهم وأسماء كتبهم:

للشيخ عبد الله العلائلي أربعة كتب وهم: (سمو المعنى في سمو الذات)، و (أشعة من تاريخ الحسين)، و (أيام الحسين)، و (مثلهن الأعلى خديجة). ولعبد الفتاح مقصود: (الإمام علي بن أبي طالب). ولعباس محمود العقاد: (عبقرية محمد) و (عبقرية الإمام علي). ولعبد الحميد جودة السحّار: (الاشتراكي الزاهد أبو ذر الغفاري)، و (آل البيت). ولمحمد حسنين هيكل: (حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم). ولمحمد يحيى الهاشمي: (الإمام الصادق). وللدكتورة بنت الشاطئ: (بطلة كربلاء زينب بنت الزهراء)، و (أم الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم آمنة)، و (نساء النبي)، و (سكينة بنت الحسين). ولفتحي رضوان: (محمد الثائر الأعظم). ولمحمد عبد الباقي سرور نعيم: (الثائر الأول في الإسلام الحسين). ولطه عبد الباقي سرور نعيم: (خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) . وللشيخ أحمد فهمي: (ريحانة الرسول).

وهذه الكتب لابد وأن تكون مختلفة باختلاف مواضيعها واختلاف آراء مؤلفيها، وإن كان الهدف هو نشر فضل النبي وآله (صلى الله عليهم) وهو واحد، لكن الأفكار غير متفقة، والكتّاب أحرار في آرائهم، والحق أحق أن يتبع. واللازم على الناقد البصير أن يتجرد من العواطف وعصبية التقليد والأهواء عندما يقرأ في الكتب المذكورة وغيرها، فيدرس ما حرر فيها دراسة تحليلية كي يميز بين غثّها وسمينها، ويمحص حقها من باطلها، ويرجع ما هو متنازع فيه إلى ما هو مسلّم فيحكمه عليه، فمن حرر النبوي

المسلم في حق علي عليه السلام: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» لابد له أن لا يترضى عمن حاربه وسبه، بل يلزمه أن يتبرأ ممن عاداه.

فمن المسلمات بين المسلمين أن حرب علي عليه السلام وسبه حرب النبي وسبه صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف يسوغ لمسلم أن لا يتبرأ ممن والى عدوه فضلاً عن معاداة عدوه؟ فمما يدل على ما قلناه: ما في (الينابيع) نقلاً عن (ذخائر العقبى) عن ابن عباس قال: أشهد بالله سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من سبّ علياً فقد سبني ومن سبني فقد سبّ الله ومن سبّ الله أكبه الله على منخريه في النار»[١].

وفي (الينابيع) أيضاً نقلاً عن الترمذي وابن ماجة عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي وفاطمة وحسن وحسين: «أنا سلم لمن سالمتم وحرب لمن حاربتم»[٢].

ومثل ذلك في المعنى مما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم عند الفريقين في إلزام المسلمين باتباع آله المعصومين عليهم السلام والنهي عن مخالفتهم كثير، قد ملأ الطروس والأسماع. فمن ذلك ما في (الينابيع) نقلاً عن (المناقب) في حديثٍ عن حذيفة، ذكر فيه وصيته صلى الله عليه وآله وسلم بالثقلين، قال في آخرها: «فتعلموا منهم فإنهم أعلم منكم»[١].

---

١) ينابيع المودة: ج ٢ ص ١٥٦ الباب ٥٦.

٢) ن، م، ص ٣٤ الباب ٥٤.

١) ن، م، ج ١ ص ١٠٩ الباب ٤.

ومنه حديث آخر في وصيته بالثقلين مخرج من ثلاث طرق، منهم أحمد في (مسنده) ومسلم في (صحيحه)، وفي آخره ذكر الطبراني قوله ﷺ: «فلا تتقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»[1].

والغرض المقصود أن لسان الحق النبوي يدعو كل مسلم ومسلمة إلى موالاة العترة الطاهرة ومعاداة أعدائهم. وليس ذلك إلا بالأخذ بتعاليم أئمة الهدى، فبه يتحقق امتثال أمر الله بالاعتصام بحبله، سواء أريد به الكتاب أم الأئمة، فهم عليهم السلام مصداقه بكلا معنييه، إذ هم قُرناؤه طبق النصوص النبوية التي لا يجحدها إلا مكابر، فهي تفرض على عموم الأمة اعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام وإلا لما كان للنهي النبوي عن التقدم عليهم والتأخر عنهم معنىً، كيف وقد رتب ﷺ الهلاك على ذلك.

ولعل المسلمين السنة رأوا أن تلك النصوص تحتم عليهم نشر فضلهم عليهم السلام، لكون حبهم عليهم السلام فرضاً عليهم ـ كما عرفت ـ كما نقلناه، ولقد أحسنوا إلى الأمة وإلى أنفسهم كثيراً، لكنهم لو التفتوا إلى لوازم ما ينقلونه في حق العترة الهادية عن جدهم ﷺ لرأوا أنهم لم يؤدوا ما أراده ﷺ ، إذ ليس غرضه تحقق الرد فقط بل غرضه لزومهم عليهم السلام ليس إلا، والبراءة من كل من يشينهم. فإنا نلزمهم بما ألزموا به أنفسهم، فعلى المسلمين وجوب البراءة ممن يقول من السنة المتعصبين: إن الحسين قتل بسيف جده

---

١) ن، م، ص ١١٦.

ﷺ ، وممن يتخذ منهم يوم عاشوراء عيداً؟ وأمثالهم ممن أظهر العداء من الخوارج والنواصب وغيرهم.

ولا تنس من أشرنا إليهم آنفاً ممن ذكرهم السيد رضي الله عنه ممن أعرض عن أئمة الهدى ولم يورد عنهم حتى رواية واحدة في كتابه الواسع المسمى عندهم بالصحيح، ومنهم من صرح بأنهم عليهم السلام مبدعون، وأن الجمهور أعرض عن مذهبهم، فهؤلاء وأمثالهم لم تزل ظلمات جهلهم ـ بمساعدة البسطاء من الجاهلين والمعاندين المتجاهلين ـ تغشى أنوار الهدي النبوي في كل عصر وحين، ولولا من قيض الله لهذا الدين من أئمة آل محمد ﷺ وعلمائهم وعلماء المسلمين المصلحين لذهب ما أسسه المصطفى وشيده المرتضى من الدين القيم أدراج رياح المبطلين، فلم تزل الحرب سجال بين الحق والباطل، وهدى العلم وعمى الجهل، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

ومنذ عصر الخلفاء، فالعصور متفاوتة في ظهور نور الهدى وخفائه بظلمة الجهل قوة وضعفاً، فعصر عمر بن عبد العزيز وعصر المأمون أخفّ ظلمة مما سواهما من العصور كعصر معاوية ويزيد، وعصر المنصور والرشيد، وعصر المتوكل وأمثالهم من العباسية والعثمانية ومن سبيله سبيلهم وهواه هواهم، فمن العصور المظلمة: عصر المستعصم بالله، وهو آخر خلفاء بني العباس المنقضية خلافتهم في العراق بهلاكه سنة ستمائة وستة

---

١) سورة التوبة، الآية ٣٢.

وخمسين، وذلك بسبب الفتنة الدامية الواقعة في الشيعة علي يد ولده أبي بكر حينما منع الشيعة عن إقامة تعزية سيد الشهداء سبط المصطفى وريحانته وسيد شباب أهل الجنة أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام، فكانت المدافعة حتى وقعت الواقعة العظيمة بالشيعة، فقَتل منهم خلقاً ينوف على عشرات الألوف، وأعظم نكاية: هتكُ النساء وارتكاب الفاحشة منهم، فأصاب دار الخلافة بغداد هولاكوخان التتري بجنده واستباحتها وقتل خليفتها واستملك العراق؛ نقمة من الله، ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى﴾، وما أدري ما جُرمنا في إقامة مأتم سيد الشهداء، شهيد الحق والفضيلة، منقذ الشريعة المحمدية من الدولة الأموية، بل منقذ الحرية الإنسانية!! وهذا المعنى من البديهيات.

[إقامة المآتم على سيد الشهداء عليه السلام]

أما الاستحباب الشرعي في إقامة مأساته وتجديد ذكراه فهو من مسلمات مذهبنا مذهب العترة الهادية، من كان الضلال في خلافهم بلزوم النبويات المسلمة، بل صريح بعضها كما أشير إليه آنفاً، فطلب الاستدلال على صحة هذا المذهب الجعفري العلوي المحمدي كطلب الاستدلال على ضوء الشمس، فإن كان ثمّةَ انتقاد فعلى قُرناء الكتاب يرد، بل على من أنزل عليه الكتاب، بل على رب الكتاب، وهذا مع غض النظر عن كون الأصل هو الإباحة وإلا ففيه كفاية، إذ لا حظر فيما لم يرد فيه نص خصوصاً وعموماً من الكتاب والسنة القطعية، إلا أن يخالف الإجماع الصحيح

والأدلة العقلية، والتعزية ليست من هذا النحو قطعاً كما تشهد به البديهية، فلا يشك مسلم في سرور الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بها.

وقد أورد بعض علماء أهل السنة في بكائه صلى الله عليه وآله وسلم على هذه المصيبة الكارثة شيئاً كثيراً، فراجع باب الستين من (الينابيع) ترى فيه منتخبات جليلة من كتب الجمهور، وفيه تأثّر الأكوان بالحمرة والدم. وكذلك (تاريخ القرماني) و (تاريخ السيوطي)، وما الشيعة في هذا الباب إلا تبع لأئمتهم عليهم السلام، فكانوا في ذلك خلفاً عن سلف، وإنما العصور تتفاوت في ذلك بظهور نور الهدى وخفائه، فعصر البويهيين ـ جزاهم الله خير الجزاء، وكفّر الله عن سيئاتهم ـ في حدود القرن الرابع إلى أواخر القرن الخامس، له الميزة على ما سواه، ففيه ظهور شعار الآل من المواكب العزائية وتشييد الحضرات المعصومية ببناء القباب وجعل السَدَنة والأبواب، وقد قفّاهم مَن سَلك سبيلهم من الشيعة في التجديد والتعمير، ولم يزل هذا الأثر الجميل يزداد به نور الهدى بعناية الل،ه وتُشرق فيه شمس إرشاد الحق إلى الحق، ومنه إشراقات المنابر الحسينية في جميع الأقطار الإسلامية لما فيها من الإرشادات الجليلة والفوائد القيمة في الدين والأخلاق وتطهير القلوب بزواجر المواعظ، وحثها على القربات بالطاعات وترك المحرمات بالتهديدات والترغيبات، وقد انتعش منها الإسلام والمسلمون عموماً وخصوصاً، وللشيعة خصوصاً ثمرة الدمعة الجارية، وفيها محو الذنوب وتبوّء الجنان ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، طبق عقيدتهم المستفادة من أخبار

أئمتهم عليهم السلام المستفيضة بذلك، فلم تزل العصور نيرة قد انسبق فيها فجر الحق والهداية وانقشع فيها ليل الضلال والغواية، فانتشر فيها فضل العترة الطاهرة النبوية في الفرق الشيعية والسنية، فلم يزل نور فضلهم عليهم السلام يشتد إشراقُ شعاعه حتى جاء العصر الذي ألغيت فيه فوارق العصبية وأشرقت فيه شمس الحرية والإنسانية، توثيقاً لعرى الأخوّة البشرية، فبذلك تضاعف إشراق شمس النبوة والإمامة، وانبسط شعاعه على عقول الخصوص والعموم من الشيعة والسنة المنصفين، وذلك ببركات ما ظهر من الضوء المنير في طُروس تآليفهم القيّمة في أهل بيت الطهارة، وفاقاً للأمر النبوي الإلهي ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

وقد أشرنا آنفاً في ذلك لبعض علماء السنة المتقدمين المصريين واللبنانيين من المتأخرين، وقد اشتعل نبراس الحق في أكثر كتبهم الجليلة فيها قامت للشيعة الحجة في واضح المحجة، ولكن ينبغي للباحث عن حقائق الحق أن لا يعتمد إلا على ما يوافقه بواضح البرهان؛ كي يسلم من حبائل بعض الآراء المختلطة بالأهواء الحاصلة من مزج الغث بالسمين؛ للتلبيس على الجاهلين، ولتنفيذ الأغراض الباطلة من بعض المؤلفين.

فتذكّر أيها القارئ ما أشرنا إليه آنفاً من إلزامهم بما هو مسلّم، كي تقوى على مُحاجة من يورد الشبهات على أهل بيت العصمة، فسل الحصّار المصري: كيف جاز له أن يكتب في كتابه الموسوم بـ (محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم) : أن ابنه الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة ألقى بيده إلى التهلكة؟

أهل كان الحصّار وأمثاله جهالاً بما ورد عن جده المصطفى ﷺ في حقه وحق أخيه؟ كلا! بل هم معاندون متجاهلون.

ألم يعلم ما اعترف به جمهور المسلمين بما جاء في حقهما عنه ﷺ من أنحاء التكريم والتعظيم من إظهار محبة الله ورسوله لهما، والدعاء منه ﷺ بمحبة الله لمن أحبهما والبراءة من أعدائهما ولعنهم، وقوله: إنهما «سيدا شباب أهل الجنة»، يكرر ذلك في غير موضع، والتصريح بإمامتهما عموماً مع الأئمة المعصومين وخصوصاً لهما[١].

ففي (الينابيع) عن كتاب (مودة القربى) عن سلمان الفارسي قال: دخلت على النبي ﷺ ، فإذا الحسين بن علي على فخذيه وهو يقبل خديه ويلثم فاه ويقول: «أنت سيد بن سيد أخو سيد، وأنت إمام بن إمام أخو إمام، وأنت حجة بن حجة أخو حجة، وأنت أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم».

وفي الكتاب المذكور: أخرج الترمذي عن يعلى بن مري قال: قال رسول الله ﷺ : «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»[١].

---

١) ونص قوله ﷺ فيهما عليهما السلام: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» من روضة الواعظين: ص ١٢٥.

١) يتابيع المودة: ج ٢ ص ٣٤ ب ٥٤. وكذلك في كتاب (نزهة المجالس): ج ٢ ص ١٨٤ وفي كتاب (الاتحاف بحب الأشراف) : ص ١٢٩، كلاهما من كتب علماء أهل السنة، كما نقله الفاضل الشيخ باقر شريف القرشي في كتاب (حياة الإمام الحسن عليه السلام)

وإنه لحجة، وأيٌّ حجة أوضح منها؟! فبه انسد باب كل معترض بأي شبهة أو إشكال عليهما عليهما السلام، ولكن الجهل لا يتناهى والتجاهل أعظم منه.

ولعل من أشرنا إليه وأمثاله من الجاهلين أو المتجاهلين لا يتفطنون لمعنى الحديث، فيحسبون أن مراده صلى الله عليه وآله وسلم القيام والقعود هو المعارف من انتصاب القامة وضدها، فيكون كلامه صلى الله عليه وآله وسلم من أسقط الكلام، ولا تستنكر من حملنا إياهم على هذا، فمن عميت بصيرته يصدر منه أكثر من هذا، وإلا فما معنى التعريض بريحانة المصطفى ومن هو حبيب الله وحبيب رسوله لارتكاب هذه الموبقة ومخالفة الله ورسوله، ألم يعلم هؤلاء المتعرضون بما احتج به أخوه الحسن الزكي سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيد شباب أهل الجنة وخليفة المسلمين بعد أبيه؟ ألم يُجب عليه السلام أصحابه عند معارضتهم له بصلح معاوية بالنبوي المذكور، ويحتج به فيقول: (إذن فأنا إمام إن قمت وإمام إن قعدت).

وبالجملة، أما عندنا معشر الشيعة فأبواب الإشكالات كلها مسدودة عن أئمتنا عليهم السلام وهو من ضروريات مذهبنا، وإلا فلا عصمة، فلا قدوة بهم، فلا إمامة. وأما عند غيرنا من المسلمين المنصفين، فقد كفونا مؤنة الجاهلين والمتجاهلين. ففي الباب الرابع والخمسين من (الينابيع) نخبة وافرة من كتب

صفحة ٤٢ في هامشه، ونقل أيضاً (أعزه الله) أن في كتاب (منهاج السنة) صفحة ٤١٠ الجزء الرابع لابن تيمية: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للحسن والحسين: «أنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة»، وفيه قال صلى الله عليه وآله وسلم في الحسين عليه السلام مرة: «هذا إمام بن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة». (منه رحمه الله).

الجمهور تنوف على عشرات الأخبار في حقهما عليهما السلام خاصة، وكذلك (منتخب كنز العمال) للمتقي الهندي الذي بهامش (مسند أحمد).

ثم نسأل من عنيناهم بالمُحاجّة: هل كان الله ورسوله يعلمان بما يؤول إليه أمر الحسنين عليهما السلام أم لا يعلمان؟ فهل يقولون: لا؟ أم يقولون: نعم؟ فلابد لهم أن يقولوا: نعم، وإلا كفروا، فإذا كانت أفعالهما في علم الله ورسوله، فلابد وأن يكون بأمر خاص من الله تعالى، وإلا فالإيراد على الله، حيث أمر رسوله بالحث على محبتها ونصرتهما، والبراءة من أعدائهما، أو على رسوله حيث امتثل أمر الله.

أضف إلى ذلك: الآثار الخيرية في الكون من الصلح الحسني والنهضة الحسينية التي هي مظهر الرموز النبوية في سيدي شباب أهل الجنة، فمبدأ نقض البدع الأموية، تكوّنت من بذور الآراء الحسنية، ولولا ذلك لما تم انكشاف نوايا معاوية[١] لعموم الناس، ويكفي الناس تصريحه للمغيرة بحسده للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبغضه، وما ولده يزيد إلا سيئة من سيئاته. ولا غرو أن لو قيل: إن نهضة الحسين الشهيد نمو تلك البذور الزكية، فلولا صلحه الشريف لقتل (روحي فداه) ولا يُقتل قطعاً حتى يُقتل الحسين، بل بنو هاشم، وإلى ذلك أشار في جوابه لبعض أصحابه بما معناه: لو لم أصالح لما

---

١) راجع (النصائح الكافية) لابن عقيل و (شرح النهج) لابن أبي الحديد ترى في ذلك قصة قبيحة لسنا بصدد بيانها. (منه رحمه الله).

بقي منكم نافخ ضرمةً، فقضية الطفَّ حسنية[١] أولاً ثم حسينية ثانياً، وبتلك النهضة الشريفة فاضت الخيرات في البرية في شرق الأرض وغربها ﴿فَانْظُرْ

---

١) هذه إشارة إلى سر صلح الإمام الحسن الزكي ودفع الإيراد عليه، وإن الشيعة لفي غنى عن ذلك، ولكن الأغيار تتشبث بما يُشين أئمتنا، وكتابنا هذا لا يسعنا البسط فيه، إذ ليس من موضوعه هذا البيان، وأن فيما أبرزه الشيخ الجليل والبحاثة الكبير العلامة الشيخ راضي آل ياسين (أعلى الله مقامه) في كتابه الموسوم بـ(صلح الحسن) لغنىً وكفاية، فقد انجلت فيه الحقيقة كالشمس الضاحية وانجلت فيه تلك العويصة المشكلة ببيان لم يسبقه عليه سابق، قد حرره في طُروس تنقص عن الأربعمائة بقليل، وكل صحيفة منه تعشي بصائر المجحفين على أولياء الله الصالحين بما فيها من نبراس نور الهدى، الماحي لكل ظلمة من ظلمات عمى البصائر، فالسِفرُ المذكور بحرٌ غزير تتغطمط فيه أمواج إرشادات مؤلفة الماجد إلى أسرار ذلك الصلح الشريف، وفيه ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ فمن تأمل فيه ليصد به الاعتراض، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا﴾ فبه قد سما مذهب آل محمد وشيعتهم إلى سماء كمال أئمة الهدى عموماً وتمام كمالات الحسن الزكي المجتبى خصوصاً، فإن فعله عليه السلام هذا مستند إلى الأمر الإلهي الخاص به، ضرب به فوق سماء العصمة سرادق الحفظ لشيعته ومواليه، وغزا فيه مناوئيه ومعاديه، ولم يزل فلك ذلك الرأي الأقدس مزهراً بمصابيح الرحمة بمن اقتدى بأهل بيت العصمة، وما بيان هذا الإشعاع من أشعة لا تحصى، برزت من نور طُروس سِفر شيخنا المذكور الشيخ راضي آل ياسين رحمه الله الذي أبرز لنا فيه شمس إمامة إمامنا الأكرم سبط النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد طبع في سنة ١٣٧٣هـ.

ولعمري إنه لكتاب كريم، فجزى الله مصنفه أفضل جزاء المحسنين، فلقد أقر به عين سيد المرسلين وعلي أمير المؤمنين وجميع أئمتنا المعصومين، فأفئدة الشيعة مستنيرة بما حصل لها من قوة اليقين، فوجب عليهم عموماً وخصوصاً القيام بواجب شكر ذلك الشخص الكريم أعني الشيخ راضي آل ياسين، فممن قام بلواء الشكر له السيد الجليل

العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين المتقدم ذكره في الكتاب، فقد صدر الكتاب المذكور بكلمة حُررت في اثنتي عشرة صفحة، ويا لها كلمة شريفة، ولعمري إنها لمن كلمات الله العليا، فقد مثل المؤلف الشيخ راضي بأجلى مظاهره للناظرين، وأظهر فيه كتابه ماثلاً بين يدي القارئ، قد أجمل فيه من تلك التفاصيل الجليلة بمعان قوية في ألفاظ جزيلة، حتى أرى المسلمين عموماً والشيعة خصوصاً ما أراده الشيخ المذكور من كشف الستار الملقى على تلك الآراء الحسنية، فجعل السيد أسرار تلك الآراء العالية بارزة للخلق كالشمس الصاحية، فما حرره رضي الله عنه في تلك الكلمة الطيبة المفيدة القيمة لدرة يتيمة تستمد من نورها بصائر المحقين وتغشى بصائر المبطلين، فمنها: تصريحه بأن الحسنين عليهما السلام قاما بقيام بات لحبال الظلم ماح لظلمة لجور، وأنهما وجهان لرسالة واحدة، فالأول حسني والثاني حسيني، فانتصار الدين بالثاني متفرع من الوجه الأول، فإنه الأساس، فلا مسَبَب إلا بسبب، فإن الحسن الزكي عليه السلام لو لم يصالح لقُتل؛ لعدم القوة الجيشية؛ لما ظهر من خيانة أكثره، وهو يعلم بما وعد كبراء المصر من الخيانة بتسليمه أسيراً إلى معاوية، ولا يقتل عليه السلام إلا بعد قتل أخيه، ولا يقتل أخوه إلا بعد قتل الهاشميين ومن بقي من الأبرار من الهمْدانيين، فبذلك يفنى صف أهل البيت المجاهدين.

فلتراجع، ففيه تحقيق أنيق عن قعود الزكي عليه السلام فإنه قيام بأمر الله ومطابق لسياسة الظروف الحسنية، كما أن قيام أخيه الحسين عليه السلام بأمر الله، غير أن السيد أشار فيه بمزيد تحقيق من أنه مرتكز على قعود أخيه الحسن عليه السلام وأن قضية الطف ليست بأعرق في التضحية من قضية ساباط المدائن، حيث كان فيها الحسن الزكي في موقف المجاهد الصابر، فنتج من ذلك أن قضية الطف كان حسنية قبل كونها حسينية، وكلمته تلك فيها مزيد من التوضيح فلتتدبر.

وإني لمعجب بها، فيحسن أن ألتقط منها بعضاً من تلك الكلمات النيرات، فدونك نبذة من الصحيفة الثالثة، فإنه رضي الله عنه بعد أن بين مناكر الأمويين وأخلاقهم السيئة وكيدهم وبغيهم للإسلام وخصوصاً أبي سفيان ومعاوية، قال رضي الله عنه ما نصه:

لما ظهر الإسلام وفتح الله لعبده ورسوله فتحه المبين، ونصَره ذلك النصر العزيز، انقطعت نوازي الشر الأموي وبطلت نزعات أبي سفيان ومن والاه مقهورة مبهورة متوارية بباطله من وجه الحق الذي جاء به محمد ﷺ عن ربه (عز وجل) بفرقانه الحكيم وصراطه المستقيم، وسيوفه الصارمة لكل من قاومه، وحينئذ لم يجد أبو سفيان وبنوه ومن والاهم بُداً من الاستسلام حقناً لدمائهم المهدورة.

ثم أخذ رحمه الله في بيان نفاقهم وتربصهم الدوائر بالنبي وآله، وتأليفه ﷺ إياهم ونسيان الناس نواياهم الأولى بإلقاء غطاء نفاقهم عليهما وتمكين الخلفاء معاوية من إمارة الشام حتى صارت كأنها خاصة به... . إلى أن قال السيد رحمه الله ما نصه:

وهذا ما أطغى به معاوية وأرهف عزمه على تنفيذ خططه الأموية، وقد وقف الحسن والحسين من دهائه ومكره إزاء خطر فظيع يهدد الإسلام باسم الإسلام، ويطغى على نور الحق باسم الحق. وكانا في دفع هذا الخطر أمام أمرين لا ثالث لهما: إما المقاومة وإما المسالمة، وقد رأيا أن المقاومة في دور الحسن تؤدي لا محالة إلى فناء هذا الصف المدافع عن الدين وأهله، والهادي إلى الله (عز وجل) وإلى صراطه المستقيم، إذ لو غامر الحسن بنفسه وبالهاشميين وأوليائهم فواجه بهم القوة التي لا قبل لهم بها، مصمماً على التضحية تصميم أخيه يوم الطف لانكشفت المعركة عن قتلهم جميعاً ولانتصرت الأموية بذلك نصراً تعجز عنه إمكانياتها.

ثم ذكر رحمه الله ضرر تضحية الحسن عليه السلام بنفسه على الدين وأهله، وأن انتصار الدين ينحصر بصلحه مع معاوية، لكشفه عن مكنونات ما أضمر معاوية والخبثاء من أهل المكر والنفاق من الأموية وغيرهم، وأن الإمام الحسن عليه السلام قد أحكم شرائط الصلح بالعهود الموثقة لذلك الغرض كي تتضح حجة الله على خلقه فيكون بذلك حفظ الدين.

حتى قال رحمه الله ما نصه: وبالجملة فإن هذه الخطة ثورة عاصفة في سلم لم يكن له بد، ملأه ظرف الحسن، إذ التبس فيه الحق بالباطل وتسنى للطغيان فيه سيطرة مسلحة ضارية، ما كان الحسن بادي هذه الخطة ولا بخاتمها بل أخذها فيما أخذه من إرثه وتركها مع ما

تركه من ميراثه، فهو كغيره من أئمة هذا البيت، يسترشد الرسالة في إقدامه وفي إحجامه، امتحن بهذه الخطة فرضخ لها صابراً محتسباً، وخرج منها ظافراً طاهراً، لم تنجسه الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسه من مدلهمات ثيابها، أخذ هذه الخطة من صلح الحديبية فيما أثر من سياسة جده ﷺ، وله فيه أسوة حسنة.

ثم أخذ في بيان حُسن ذلك في السياسة الهاشمية أولاً وأخيراً، إلى أن قال رضي الله عنه: تهيأ للحسن بهذا الصلح أن يغرس في طريق معاوية كميناً من نفسه يثور عليه من حيث لا يشعر فيرديه، وتسنّى له به أن يلّغم نصر الأموية ببارود الأموية نفسها فيجعل نصرها جفاءً وريحها هباءً، لم يطل الوقت حتى انفجرت أولى القنابل المغروسة في شروط السلم، انفجرت من نفس معاوية يوم نشوته بنصره، إذ انضم جيش العراق إلى لوائه. ثم ذكر ما قال معاوية على منبر النُخيلة من إظهار جبروته وطلبه الدنيا فقط وإلغائه شروط الصلح والنيل من علي وابنه الحسن، وجواب الحسن له وذكره آبائهما وأمهاتهما ولعنه الأموية بقوله: (فلعن الله أخملنا ذكراً وألأمنا حسباً)، وأخذ السيد رضي الله عنه في بيان مناكر معاوية وجوره بقتله الأبرار وتأييده الفجار، وذكر موافقة فاتحته لخاتمته باستخلافه يزيد، وبيّن مناكره من قضية الطف والحرّة وحرقه الكعبة وأمثال ذلك من الأعمال الفظيعة، وذكر انتصار الحسن الزكي بالصمت والصبر حتى أجلى الستار عن مساوئ الأمويين بقوله رضي الله عنه: ومهما يكن من أمر فالمهم أن الحوادث جاءت تفسر خطة الحسن وتجلوها وكان أهم ما يرمي إليه (سلام الله عليه) أن يرفع اللثام عن هؤلاء الطغاة ليحول بينهم وبين ما يبيتون لرسالة جده من الكيد، وقد تم له كل ما أراد حتى برح الخفاء وآذن أمر الأموية بالجلاء، والحمد لله رب العالمين، وبهذا استتب لصنوه سيد الشهداء أن يثور ثورته الجبّارة التي أوضح الله بها الكتاب وجعله فيها عبرة لأولي الألباب. وقد كانا عليهما السلام وجهين لرسالة واحدة كل وجه منهما في موضعه منها وفي زمانه من مراحلها، يكافئ الآخر في النهوض بأعبائها ويوازيه بالتضحية في سبيلها، فالحسن عليه السلام لم يبخل بنفسه ولم يكن الحسين عليه السلام أسخى منه في سبيل الله، وإنما صان نفسه بجندها في جهاد صامت فلما حان الوقت كانت شهادة حسنية قبل أن تكون حسينية، وكان يوم (ساباط)

إِلَى آَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ألا بحق الأخوّة الإنسانية والرابطة الدينية، تدبر ـ أيها المسلم ـ فيما أشرنا إليه آنفاً من فوائد الآثار الحسينية، أليست الألطاف الإلهية منتشرة بها في الأقطار الإسلامية؟ وهل هي إلاّ من آثار رحمة الله التي فيها حياة الأرض وأهلها؟ وأي حياة أنفع من حياة السعادة الحقيقية؟ وهل حياة الأرض وأهلها إلاّ بالعلم والعمل؟ فلا جُزاف لو قلنا: إن تلك الآثار المقدسة هي من شعار الإسلام وجميع المسلمين، لا من شعار الفرقة الشيعية فقط، إذ أكثر أهل النِحَل الدينية على طبقاتهم مستفيدون من تلك التعاليم المقدسة.

أو ليس للمواكب العزائية على الحسين الشهيد المظلوم عليه السلام الفضل والفضيلة، ونوادي مأساته الجليلة، وشخوص المؤمنين لزيارته من سائر

أعرق بمعاني التضحية من يوم الطف لدى أولي الألباب ممن تعمق، لأن الحسن عليه السلام أعطى من البطولة دور الصابر على احتمال المكاره في صورة مستكين قاعد، وكانت شهادة الطف حسنية أولاً وحسينية ثانية؛ لأن الحسن عليه السلام أنضجَ نتائجها ومهد أسبابها، كان نصر الحسن عليه السلام الدامي موقوفاً على جلو الحقيقة التي جلاها لأخيه الحسين عليه السلام بصبره وحكمته، ويجلوها انتصار الحسين نصره العزيز وفتحُ اللّهِ له فتحَه المبين. انتهى.

وبه انتهاء مرادنا، فهذه درر خمس من كلمه رضي الله عنه الطيب قد قشعت بأنوارها ظُلم شُبه المبطلين، وكانت شُهباً ثواقب نرمي بها أشاكيل المتعرضين، وكفى بها. وظهر نور صلح سيدنا الحسن الزكي عليه السلام، فبه تكوّن الركن الثالث للدين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين. (منه رحمه الله).

الأقطار ـ خصوصاً في أيام الفضائل ـ آثاراً عظيمة في إظهار مآثر الدين الإسلامي وأهله؟ ومن يجادل في هذا فهو مكابر لوجدانه، فلنعرض له سؤالاً بضرب مثال ونرجو منه الجواب:

ماذا يقول في رجل أجنبي عن الإسلام وأهله من الأوروبيين أو غيرهم من أهل النِحَل، توجه للشعب الإسلامي يستفسر عن حقيقة خططه، صحتها أو بطلانها، مستدلاً على ذلك بمراسمه ومزاياه، ملتمساً منها أنوار هداه، أفتُراه يستنير بما خالف قانونه بما قنَّنه أهل العصر الحاضر من الأحكام المختصة بالآراء وبسط الحرية القاصمة للقيود الدينية مما كان ـ بزعمهم ـ يروّح النفوس الإنسانية، من اللهو والطرب والفسوق بأنواعه، والإقبال بكلّيتهم على تلك الشهوات الناشئة من حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة...؟

كلا، بل يناله من ذلك ما يغشي البصائر، ﴿**ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾، لكن الله بنور هدى أوليائه أرشد خلقه إلى الآثار الإسلامية، فحينما يستبصر المستشرق يرى شموس الأعلام الحسينية مشرقة الأشعة على أقطار المسلمين، فهي لا تقصر عن نوادي الأبحاث الدينية، كالجامع الأزهر بمصر، ومدارسنا الجعفرية بالنجف الأشرف وغيرها، بل هي أظهر من ذلك كله بتوسط ظهور تلك الآثار في شهر عاشوراء وأشهر فضائل الزيارات.

والمستبصر الطالب لدين الإسلام لا يبتغي إلاّ الآثار الإلهية. فأي مظاهر للدين أنشر من تلك الآثار الحسينية فهي محمدية علوية جعفرية، ولا جُزاف في القول بأنها السبب العظيم في ظهور المذهب الشيعي كما اعترف به غير واحد من الأغيار، ومن ثم انتشرت مزايا آل محمد عليهم السلام ومآثرهم، وظهرت أسرار كلماتهم وتعاليمهم الدينية في التكاليف والأخلاق الإنسانية وبيان الحكم والأحكام الربانية، حتى عَرف عموم الجاهلين بمركز إدارتهم الشريعة المحمدية، لأن علمهم عليهم السلام لدني كما اعترف به غير واحد من أهل السنة، فالأحكام المقطوع بصدورها عنهم موافقة لأحكام الله الواقعية المنحصرة في مدينة علم المصطفى، وقد جعلهم صلى الله عليه وآله وسلم الأبواب كما أشرنا إليه آنفاً.

فحكم الله واحد من أول ما شرع عند محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فاستودعه علي المرتضى عليه السلام، حتى انتهى إلى قائمهم وخاتمهم إمام عصرنا المهدي ابن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف، فبسبب غيبته ـ التي لا يعلم سرَّها على التحقيق إلاّ الله الحكيم المطلق ـ وقع الاختلاف في فروع المسائل الفقهية بين المجتهدين من علمائنا بتفاوت الآراء باختلافها في طرق الاستنباط من تطبيق الفروع على الأصول والنظر في المعقول والمنقول بتفاوت الأخبار من صحيح وحسن وموثق وضعيف؛ وذلك بسبب اختلاف الرواة.

وعلماؤنا رضي الله عنهم لم يألوا جَهداً في استفراغ الوسع لاستنباط الأحكام الجزئية والكلية من أدلتها التفصيلية، فإن أئمة الهدى قد جعلوهم حُكّاماً علينا، ونوّاباً في إيصال الأحكام إلينا حسب ما يؤدي إليه اجتهادهم، وهم

رضي الله عنهم وإن اختلفوا في جزئيات الأحكام، لكنهم كثيراً ما يتفقون في كليات مضبوطة مسلّمة الورود عن أئمتهم عليهم السلام، بل بعضها كان من ضروريات المذهب الجعفري، وما ذلك إلا بسبب اتحاد المنبع والاتفاق في المشرب، فالمذهب الجعفري نُسب إلى سيدنا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بسبب اتجاه الظروف في نشره، وإلاّ فأولهم محمد وأوسطهم محمد وآخرهم محمد وكلهم محمد (صلوات الله عليهم أجمعين).

فهذه أربعة عشر نظرة في فضله صلى الله عليه وآله وسلم مع آله المتفرع فضلهم عليهم السلام من فضله صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا العدد المبارك الموافق لعدد الأربعة عشر المعصومين، النبي والزهراء والأئمة الاثني عشر (سلام الله عليهم).

وقد عرفت أن قصدنا من هذا العدد الموافقة لعدد يتعلق بهم عليهم السلام تيمّناً وتبركاً، وهو تمام الجزء الثاني من كتابنا (النظرة الإلهية) وهو اسم الكتاب الأصلي، وإنما كتب اسمه في الجزء الأول بالنظرات من رأي الناشر لأمر ارتآه، هو أعرف به، وما أحببنا مخالفته، ومن ثم جعلناه في كلمتنا في مقدمة الجزء الأول، وعدلنا هنا إلى الاسم الأصلي؛ موافقة لما حرره ابن عمنا الفاضل الشيخ عبد الهادي الفضلي في تقريظه الكتاب المحرر في أول هذا الجزء، والحمد لله كما هو أهله وكما يستحقه، وصلى الله على محمد وآله.

وقد انتهى العمل على تصحيح وتخريج مصادر هذا الجزء
ونحن في بلدة الشويكة العزيزة بالقطيف المحروسة
أيام شهر رمضان المبارك سنة ١٤٤٠ هـ
والحمد لله بدءً وختاماً

مصادر التحقيق

ـ ا، أ، إ ـ

الاحتجاج: أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، مطبعة النعمان، الأولى، ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م ، النجف الأشرف.

الاستبصار:

الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر الأندلسي، دار الجيل، الأولى، ١٤١٢ هـ، بيروت.

الاعتقادات في دين الإمامية: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي ـ دار المفيد للطباعة والنشر، الثانية ١٤١٤ هـ، بيروت.

الأزهار الأرجية: الشيخ فرج بن حسن العمران، الناشر: مؤسسه طيبه لإحياء التراث، الأولى، ١٤٣٠ هـ ، بيروت. وأيضاً: منشورات دار هجر، الأولى، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م، بيروت.

أسد الغابة: ابن الأثير علي بن محمد بن محمد الشيباني، دار الكتاب العربي، بيروت.

أسرار العارفين: السيد جعفر بن السيد باقر آل بحر العلوم، طبع ونشر مكتبة فدك، الأولى، ١٤٢٨ هـ، قم المقدسة.

الأغاني: أبو الفرج الأصبهاني، دار إحياء التراث العربي.

الأمالي: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، مؤسسة البعثة، الأولى ١٤١٧ هـ، قم المقدسة.

الأنوار النعمانية: المحدث السيد نعمة الله الموسوي الجزائري، الرابعة، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد محمد بن محمد العكبري البغدادي، مجموعة مؤلفاته، دار المفيد، الثانية، ١٤١٤ هـ، بيروت.

ـ ب ـ

بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، بيروت.

بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: عماد الدين محمد بن أبي القاسم الطبري الإمامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الأولى، ١٤٢٠ هـ، قم المقدسة.

البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، الأولى ١٤٠٨ هـ، بيروت.

بصائر الدرجات الكبرى: أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار، منشورات الأعلمي، ١٤٠٤ هـ، طهران.

ـ ت ـ

تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٧ ، بيروت

تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م، دار الفكر، بيروت.

تذكرة الفقهاء: الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي ـ مؤسسة آل البيت، الأولى، ١٤١٤ هـ ـ ١٣٧٢ هـ ش، قم المقدسة.

تصحيح اعتقادات الإمامية: محمد بن محمد بن النعمان العكبري (المفيد)، مجموعة مؤلفاته، دار المفيد، الثانية ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، بيروت.

تفسير الصافي: المولى محمد بن مرتضى بن محمود المعروف بـ(الفيض الكاشاني)، مكتبه الصدر، الثانية، ١٤١٦ هـ، طهران.

تفسير جوامع الجامع: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، الأولى، ١٤١٨ هـ، قم المقدسة.

تفسير العياشي: محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي ـ المكتبة العلمية الإسلامية ـ طهران.

تفسير القمي: علي بن إبراهيم، مؤسسة دار الكتاب، الثالثة، ١٤٠٤ هـ، قم المقدسة.

التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): الفخر الرازي، محمد بن عمر البكري، الثالثة، بيروت.

تهذيب الأحكام: محمد بن الحسن الطوسي، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٠ هـ، طهران

تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، الأولى، ١٤٠٤ هـ، بيروت

تنقيح المقال في علم الرجال: الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد حسن المامقاني، مؤسسة آل البيت، الطبعة الأولى، قم المقدسة.

التوحيد: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، منشورات جماعة المدرسين، الأولى، قم المقدسة.

- ح -

الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: الشيخ يوسف بن أحمد البحراني ـ مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين ـ قم المقدسة.

حقائق الأصول: السيد محسن الطباطبائي الحكيم، مكتبة بصيرتي، الخامسة، ١٤٠٨ هـ، قم المقدسة.

حياة الحيوان الكبرى: محمد بن موسى بن عيسى الدميري، دار الكتب العلمية، الثانية، ١٤٢٤ هـ، بيروت.

- خ -

الخرائج والجرائح: قطب الدين سعيد بن عبد الله الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي، الأولى، ١٤٠٩ هـ، قم المقدسة.

الخصال: محمد بن علي ابن بابويه الصدوق القمي، منشورات جماعة المدرسين، الأولى ١٤٠٣ هـ، قم المقدسة.

- د -

دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين البيهقي، الأولى، ١٤٠٥ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

الدعوة الإسلامية إلى وحدة أهل السنة والإمامية: الشيخ أبو الحسن علي بن حسين الخنيزي، مطبعة الإقبال، الثانية، ١٤٣٤ هـ، بيروت.

الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، مجمع أهل البيت العالمي، الأولى، ١٤٢٩ هـ، قم المقدسة.

ديوان العلامة الجشي (المجموعة الشعرية): الشيخ علي بن حسن الجشي القطيفي، منشورات مؤسسة الهداية، الأولى، ٢٠٠٣ م، بيروت.

- ذ -

ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: شمس الدين محمد بن مكي العاملي (الشهيد الأول)، مؤسسة آل البيت، الأولى، ١٤١٨ هـ، قم المقدسة.

- ر -

رسائل الشريف المرتضى: السيد علي بن الحسين الموسوي، مطبعة سيد الشهداء، نشر دار القرآن الكريم (مدرسة السيد الگلپايگاني)، الأولى، ١٤٠٥ هـ، قم المقدسة.

الرواشح السماوية: السيد محمد باقر الحسيني الأسترآبادي (الميرداماد)، مؤسسة دار الحديث، الأولى، ١٤٢٢ هـ / ١٣٨٠ هـ ش، قم المقدسة.

روضة الواعظين: محمد بن الحسن الفتال النيسابوري ـ الشريف الرضي ـ قم المقدسة.

الرياض النظرة في مناقب العشرة: محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

- س -

سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سيرة ابن إسحاق (السير والمغازي) : محمد بن إسحاق المطلبي، تحقيق محمد حميد الله، طبع معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، وأيضاً تحقيق سهيل زكّار، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م، دار الفكر، بيروت.

ـ ش ـ

شجرة طوبى: الشيخ محمد مهدي الحائري، المكتبة الحيدرية، الخامسة، ١٣٨٥ هـ، النجف الأشرف.

شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المعتزلي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: الحافظ عبيد الله بن أحمد (الحاكم الحسكاني) ، الأولى، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، طهران.

ـ ص ـ

الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، الرابعة، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م، بيروت.

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر، بيروت.

صفات الشيعة: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، انتشارات عابدي، طهران.

الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي المكي، مكتبة القاهرة (شركة الطباعة الفنّية المتّحدة).

- ض -

ضياء المصنفين في المواعظ والحكم: السيد محمد علي بن السيد محمد باقر الموسوي الخفري، مطبعة النجف الأشرف.

- ط -

الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، دار صادر، ١٤٠٥ هـ، بيروت.

- ع -

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: زكريا بن محمد بن محمد القزويني، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م، بيروت.

عوالم العلوم (عوالم سيدة النساء فاطمة الزهراء): الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدّسة.

عيون أخبار الرضا: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق القمي، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، بيروت.

عليٌ في الكتاب والسنة والأدب: الحاج حسين الشاكري، الناشر: المؤلف نفسه، الأولى، ١٤١٨ هـ، قم المقدسة.

- ف -

فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين: أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن المؤيد الحمويني الجويني الشافعي، بيروت.

الفصول المهمة في تأليف الأمة: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، مؤسسة البعثة، الأولى، طهران.

الفصول المهمة في معرفة الأئمة: علي بن محمد بن أحمد المالكي، دار الحديث، الأولى، ١٤٢٢ هـ، قم المقدسة.

- ق -

القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- ك -

الكافي: ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني البغدادي، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، طهران.

كتاب سليم بن قيس: سليم بن قيس الهلالي الكوفي، مؤسسة دليل ما، الأولى، ١٤٢٢ هـ، قم المقدسة.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - دار المعرفة - بيروت.

كشف المراد شرح تجريد الاعتقاد: الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي، تعليق الشيخ حسن زاده آملي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، السابعة، ١٤١٧ هـ، قم المقدسة.

كفاية الأصول: الآخوند الشيخ محمد كاظم الخراساني، مؤسسة آل البيت، الأولى، ١٤٠٩ هـ، قم المقدسة.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المتقي الهندي، علي بن حسام الدين البرهان فُوري، طبعة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- ل -

لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي، الثانية، ١٩٧١ م/ ١٣٩٠ هـ ، بيروت.

- م -

المجازات النبوية: محمد بن الحسين الموسوي الشريف الرضي، منشورات بصيرتي، قم المقدسة.

مجمع البحرين: فخر الدين بن محمد علي الطريحي، نشر مرتضوي، الثانية ١٣٩٠ هـ ش، طهران

مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، الأولى، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م، بيروت

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيتمي، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٠٨ هـ، بيروت

مختصر بصائر الدرجات: حسن بن سليمان بن محمد الحلي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة

مروج الذهب ومعادن الجوهر: علي بن الحسين بن علي المسعودي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، دار الهجرة، قم المقدسة

مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع إسلام: زين الدين بن علي العاملي (الشهيد الثاني)، مؤسسة المعارف الإسلامية، الأولى، ١٤١٣هـ، قم المقدسة.

المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الفكر ١٣٩٨ هـ، ودار الكتب العلمية ١٤١١ هـ، بيروت

مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق.

مسند أحمد: أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني البغدادي، دار الفكر، بيروت.

مصباح المتهجد: الشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي، الأولى، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

مطالب السؤول: محمد بن طلحة الشافعي، تحقيق ونشر: ماجد أحمد العطيّة.

المعارف: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار المعارف بمصر، الثانية، ١٩٦٩م، القاهرة.

معالم العلماء: محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، قم المقدسة.

معجم رجال الحديث: السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، مؤسسة الإمام الخوئي، الخامسة، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م، قم المقدسة.

مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر: أحمد بن عبد العزيز الجوهري البصري، مكتبة الطباطبائي، المطبعة العلمية، الأولى، قم المقدسة.

مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، الرابعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، منشورات ذوي القربى، الأولى، ١٤٢٦ هـ ـ ١٣٨٤ هـ ش، قم المقدسة.

مناقب الإمام علي بن أبي طالب: ابن المغازلي علي بن محمد الواسطي الشافعي، منشورات سبط النبي، ١٤٢٦ هـ ـ ١٣٨٦ هـ ش، قم المقدسة.

منتخب الطريحي (المنتخب من المراثي والخطب): الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة.

منتهى المطلب: العلامة الحسن يوسف بن المطهّر الحلي، مجمع البحوث الإسلامية، الأولى، ١٤١٣هـ، مشهد المقدسة.

من لا يحضره الفقيه: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق، منشورات جماعة المدرسين، الطبعة الثانية، قم المقدسة.

ـ ن ـ

النصائح الكافية: السيد محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي، دار الثقافة، الأولى، ١٤١٢ هـ، قم المقدسة.

النظرة النفسية: الشيخ منصور بن عبد الله البيات، الثانية، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩م ، دار كميل.

النكت الاعتقادية: محمد بن محمد بن النعمان العكبري (المفيد) ، مجموعة مؤلفاته، دار المفيد، الثانية ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، بيروت.

ـ ي ـ

ينابيع المودة لذوي القربى: سليمان بن إبراهيم القندوزي البلخي الحنفي ـ تحقيق السيد علي جمال أشرف الحسيني ـ الأولى ١٤١٦ هـ، دار الأسوة، قم المقدسة.

فهرس مطالب الكتاب

تمهيد ١١

النظرة الأولى: في تبشير الأنبياء والكتب السماوية بالنبي وآله المعصومين ومدائح الكتابيين لهم، وإشارة خاصة بفضل أهل الكساء ١٥

الكلام في العلة الغائية ١٧

تبشير الكتب السماوية به ﷺ ١٩

مدائح بعض الكتابيين لأهل البيت عليهم السلام ٢١

تبشير قس الأيادي بالنبي وآله الطاهرين ٢٢

تبشير سيف بن ذي يزن بالنبي ﷺ ٢٦

بشارة أخرى من قس ٢٧

تبشير سطيح الكاهن بالنبي ﷺ ٢٧

تبشير الأحبار بالنبي ﷺ..................................... ٢٩

صفة النبي ﷺ من التوراة..................................... ٢٩

تبشير شمعون بالنبي وآله وصفتهم ٣١

النظرة الثانية: في أجوبة الإمام الكاظم عليه السلام لليهود عن آيات النبوة من (البحار) واعترافهم بها ٣٦

خضوع العدو له صلى الله عليه وآله وسلم ٣٧

اعتراف اليهود بنبوته صلى الله عليه وآله وسلم وقهر أعدائه ٣٨

اعتراف أعدائه بعلمه صلى الله عليه وآله وسلم بالمغيبات............ ٣٨

في إبرائه المجنون وشيء من معاجزه صلى الله عليه وآله وسلم ٤٠

في معاجزه صلى الله عليه وآله وسلم بتكثيره الطعام ونطق الجماد ٤٢

في إخباره صلى الله عليه وآله وسلم بالغيب وتكثيره الماء ٤٥

في معاجزه صلى الله عليه وآله وسلم وإسلام اليهود واعترافهم بالحق لأئمتنا عليهم السلام ٤٦

النظرة الثالثة: في فضله وشرفه وتفضيله على الأنبياء وما جاء فيه من الآيات المشيرة إلى افتقاره لمولاه............ ٤٨

في خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم وعلو شرفه ٥٢

في تفضيله صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء عليهم السلام ٥٥

في سماح شريعته ﷺ ٥٩

النظرة الرابعة: في ما يمتاز به ﷺ على من سواه من الأنبياء وغيرهم من المزايا والخصائص في الواجبات والمحرمات والمباحات له ﷺ وما منحه الله به من الكرامات ٦١

في خصائصه وعدد نسائه ﷺ ٦٥

مشاركة الأمير عليه السلام له ﷺ في ذلك ٦٧

الكلام على وجوب القسمة عليه ﷺ وعدمها ٦٩

في عموم ولايته ﷺ لتزويج من شاء من أمته ٧١

في أمره ﷺ بتبشير زينب وتحريم زوجاته على غيره ٧٣

النظرة الخامسة: في اللطايف النبوية ومقايسته من الأنبياء وعلوه عليهم وفيها ست وعشرون طريفة ٨١

النظرة السادسة: في وجوب طاعته ﷺ والتفويض تحقيق التفويض وبيان الصحيح من الفاسد والإشارة لبعض آراء العلماء في قضية العلية والكلام على نسبة السهولة له ﷺ وتزييفه والأدلة على وجوب طاعته بالعقل والنقل بعدة آيات وأخبار ٨٨

في وجوب طاعته ﷺ من الأخبار ٩٠

في الفرق بين التفويض الصحيح والفاسد ٩٤

في بطلان تفويض المفوضة الملعونين ٩٦

في بيان ما ينفى وما لا ينفى من علم الغيب عنهم عليه السلام ١٠٠

في الفرق بين الغلو والتقصير ١٠٣

في بيان اتفاق العلماء على تنزيههم عليهم السلام عن الربوبية ١٠٥

النظرة السابعة: في حرمة إيذائه ﷺ ووجوب تكريمه وتوقيره وقد جاء في ذلك شيء كثير كتاباً وسنة.. ١٠٨

في بيان آية النجوى ١١٢

النظرة الثامنة: لزوم العصمة وتحقيقها والخلاف في تعريفها وفي ذلك تنقيحات طريفة في دفع الشبهات عنها عما يوهم خلافها من الآيات ... ١١٦

ثناء المؤلف على الصدوق وتحقيقه في كلامه ١٣٣

النظرة التاسعة: في نفي السهو عن النبي وآله مطلقاً ودفع الشبهات التي تعلق بها الجمهور من الأخبار وتزييفها وهذا جار في جميع المعصومين من

الأنبياء والأوصياء في كل الأمور الوضعية والشرعية وفيها حاشية فيها كلمة علية في بيان الاحتجاج بإجماع الطائفة الشيعية ١٤٦

النظرة العاشرة: في أعلميته صلى الله عليه وآله وسلم وعلمه بالغيب بتعليم الله وتوريثه ذلك لعلي وولده المعصومين ودفع الشبهات عن ذلك بتقرير علمائنا وبعض علماء إخواننا.. ١٦٦

النظرة الحادية عشرة: في استغاثة المؤلف من الجائرين وتحقيق جليل في لفظ الحي القيوم وفي سبق خلق محمد وآله (ع) وفضلهم وتبشير شيعتهم بنجاتهم ١٨٠

النظرة الثانية عشرة: في وجوب الاعتصام والتمسك بهم عليهم السلام وفضلهم وتحقيق التشيع والفرق بينه وبين الحب ووجوبه عند الجمهور............ ١٩٠

النظرة الثالثة عشرة: في إلزام السنة بما التزموا به وبيان المنصفين لأهل البيت والشانئين لهم وفي إعراض الكل عنهم عليهم السلام في الأحكام.......... ١٩٥

النظرة الرابعة عشرة: في سؤال الله الخلق عن ولايتهم عليهم السلام وفيما رواه إخواننا السنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فضلهم وإلزام إخواننا بلزومه وفي الاحتجاج على حسن التعزية ودفع الشبهات عن الحسنين عليهما السلام وآثار صلح الحسن ونهضة الحسين عليهما السلام ٢٠٢